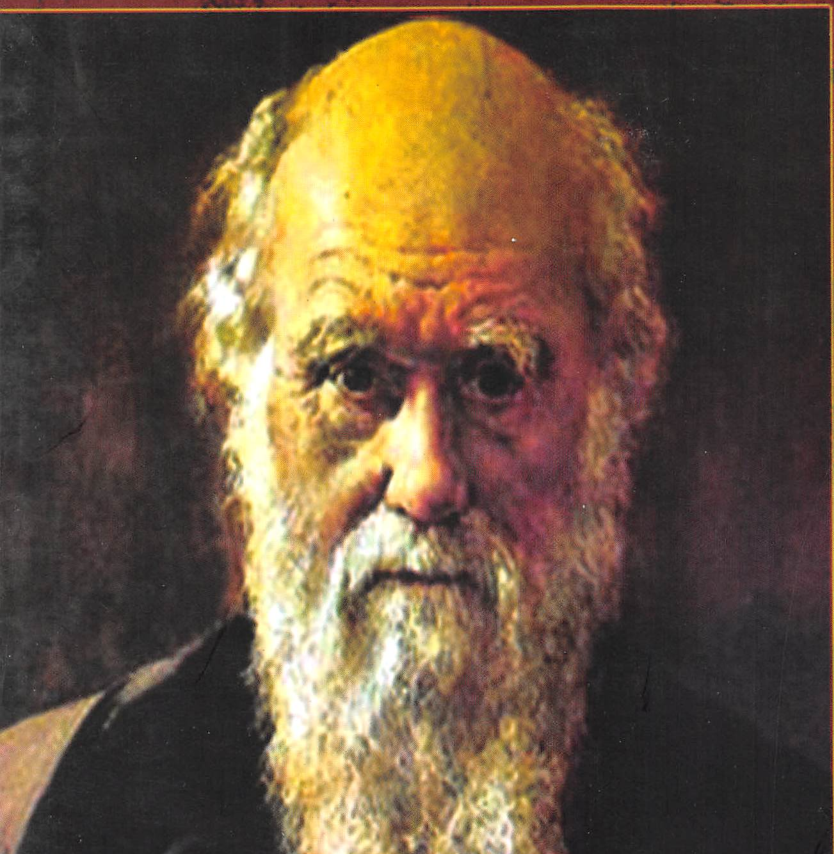
قصة حياة
تشارلس داروين



تحرير: فرانسيس داروين

ترجمة وتقديم: مجدى محمود المليجى

المشروع القومي للترجمة
المركز القومي للترجمة
170

تعاقبت أعداد تقدر بالألاف أو الملايين من البشر على الحياة على سطح كوكبنا الأزرق، وعاشوا واندثروا بدون ترك أى أثر عليها، سوى إفرازاتهم وشرورهم. ولكن من ضمن هذا القطيع برز عدد قليل منهم ، كانوا قادة ومفكرين ومصلحين وعلماء، هم الذين استطاعوا بإنجازاتهم، أن يحققوا التقدم الذى وصل إليه الصنف البشرى، ومن ضمن هؤلاء الخالدين، وأصحاب العلامات على الطريق، هو عالمنا "تشارلس داروين". ولقد أثرى البشرية بأبحاثه وأفكاره التى تضمنتها كتبه، والتى هى الأساس فى فهمنا للعلوم الحيوية بكل تشعباتها، ولكن لكى نستطيع التذوق بصدق ما تحتويه، فلا غنى عن الاطلاع على التفاصيل الخاصة بسيرته الحياتية، وهى التى تصادف أنه قام بكتابتها بنفسه، كذكرى لأولاده، فوقعت بين أيدينا، علاوة على ما قام أولاده، وخاصة فرانسيس، بإضافته من تاريخ للعائلة، واسترجاعات شخصية لهم عن حياتهم مع والدهم. فجاء كل ذلك مجلداً معبراً بصدق وصراحة، عن الشىء الذى يميز المبدعين، عن باقى البشر.

قصة حياة
تشارلس داروين

المركز القومى للترجمة

تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ بإشراف: جابر عصفور

إشراف: فيصل يونس

- العدد: 1703
- قصة حياة تشارلس داروين
- فرانسيس داروين
- مجدى محمود المليجى
- الطبعة الأولى 2011

هذه ترجمة كتاب:

Life and Letters of Charles Darwin

Edited by Francis Darwin

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. , Opera House, El Gezira, Cairo

Tel.: 27354524 - 27354526 **Fax:** 27354554

E-mail: egyptcouncil @ yahoo. com

قصة حياة
تشارلس داروين

تحرير

فرانسيس داروين

1888

ترجمة وتقديم

مجدى محمود المليجى

2011

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

داروين، فرانسيس، ١٨٤٨- ١٩٢٥.
قصة حياة تشارلس داروين/ تحرير: فرانسيس داروين،
ترجمة وتقديم: مجدى محمود المليجى
ط ١ – القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١١
٤١٢ ص ، ٢٤ سم
١ – العلماء الإنجليز
٢- داروين، تشارلس روبرت، ١٨٠٩- ١٨٨٢
(أ) المليجى، مجدى محمود (مترجم ومقدم)
(ب) العنوان ٩٢٥

رقم الإيداع ١٦٥٦٧ / ٢٠١٠
الترقيم الدولى : I.S.B.N -978-977-704-249-9
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

قائمة اللوحات

اللوحـــات

إلى أولادى

لقد سعدت بكم .. فاسعدوا معى بهذا الكتاب..

واجعلوه نبراسا لكـــم...

مـجـدى

تقديــم الكتــاب

•عندما تصديت لترجمة أهم كتاب لـ"تشارلس داروين"، "نشأة الأنواع الحية" The Origin of Species، المشهور تحت عنوان "أصل الأنواع"، لم يكن يدور فى خلدى مقدار عظمة هذا الإنسان، ولا الكم الكبير من الكتب التى قام بنشرها. وعندما انتهيت من ترجمة ذلك الكتاب، الذى استغرق منى حوالى خمسة آلاف ساعة، على مدى ما يزيد على العامين من العمل المتواصل، شعرت بفراغ شديد، ولم أجد ما يملؤه، إلا البدء على الفور بترجمة الكتاب الثانى فى الأهمية بالنسبة لمنشوراته، وهو ما يعتبر تكملة أو جزءا ثانيا من كتابه الخالد، ألا وهو كتاب "نشأة الإنسان والانتقاء الجنسى Descent of Man, and Sexual Selection، وقد استغرق بدوره حوالى خمسة آلاف ساعة، على مدى العشرين شهرا، ويبدو بعد ذلك أننى أصبت بداء الإدمان على كتابات "داروين"، وما تلقيه محاولات ترجمة تعبيراته والمصطلحات الواردة بها، من تحديات أمام ذهنى، وحيث إن هذه التحديات والأحاجى قد كانت هى هدفى الأساسى، لمحاولة المحافظة على سلامة ذهنى من الخرف لأطول وقت ممكن، لم يعد أمامى مناص من الاستمرار فى تتبع كتبه، ومحاولة استكمال ترجمة المهم منها، لكى تنضم كوحدة متكاملة، إلى مكتبات المستخدمين للغة العربية.

•أتبعت بناء على ذلك الكتابين الأولين، بكتاب ثالث من أعظم أعماله، خاص بموضوع مختلف لكنه تابع لنفس المسيرة، وهو كتاب "التعبير عن الانفعالات فى الإنسان والحيوانات" The Expression of Emotions in Man and Animals، وعند انتهائى منه، وجدت أننى قد انغمست تماما فى تلافيف ذهن "داروين"، وما أنتجته قريحته، وأصبحت متشوقا للتعرف على كل ما يدور حوله،

وعلى شخصيته، وتصرفاته، والمقومات التى أدت إلى نبوغه، وإلى تلك الغزارة فى الإنتاج العلمى الرصين.

•تصادف فى ذلك الوقت أن تقابلت مع شخص عظيم، من كبار المترجمين وأفضلهم خلقا، وهو الأستاذ "شوقى جلال"، الذى نصحنى بالاستمرار فى هذا المسعى، والقيام بترجمة القصة الحياتية لتشارلس داروين، رغم أنه كان قد قام بالتحرير فى وقت مبكر لعرض مختصر عنها، ولم يعتبر قيامى بذلك تقويضا لما سبق له القيام به، لكنه استكمال قام هو نفسه بالمطالبة به.

•بدأت بناء على ذلك ، فى البحث عن مصدر للحصول على نص السرد الذاتى لقصة حياة داروين، وعندما عثرت على الكتاب الأصلى المحتوى على ذلك، تبين أنه يمثل الباب الثانى من كتاب تم إصداره فى عام ١٨٨٨، أى بعد وفاته بخمس سنوات، بواسطة ابنه "فرانسيس داروين". وهذا الكتاب مكون من ثلاثة مجلدات، تبلغ فى مجموعها ما يزيد عن الألف صفحة، وتحت عنوان "حياة ورسائل تشارلس داروين" Life and Letters of Charles Darwin.

•وجدت أن من المهم للقارئ المهتم بداروين، الاطلاع على الأبواب الثلاثة الأولى الموجودة فى المجلد الأول، حيث إنها تتناول فى الباب الأول التاريخ العائلى، وفترة تكوين " تشارلس داروين " والقرابات الحميمة له، التى كان لها اتصال به أو تاثير عليه. أما الباب الثانى فهو خاص بسرده الذاتى لقصة حياته، الذى قام بتحريره فى السنوات الأخيرة من عمره، كسجل متروك لأولاده، وليس بغرض النشر. وكان الباب الثالث ينصب على استرجاعات ابنه "فرانسيس" ، التى تلقى الضوء على حياته من وجهة نظر أكثر الأقرباء المحتكين به، على مدى العديد من السنين.

•يصبح لدينا على هذا الأساس المدار الكبير المحيط بحياة داروين، ثم بؤرة حياته المكتوبة بخط يده، وأخيرا الرؤية من أحد التوابع التى كانت تدور فى فلكه،

وتلك الثلاثية كفيلة بتقديم صورة تفصيلية ومتكاملة عن هذا الرجل، والظروف التى قام فيها بإنجاز أعماله، التى تمثل إحدى علامات الطريق المهمة على درب التقدم الإنسانى، والتى لا تحدث إلا على مسافات زمنية متباعدة، تقدر بعدة قرون.

● أما بالنسبة للجزء الخاص بالرسائل، فقد وجدت أنه ضخم جدا، ولا يحتوى على إضافات مهمة بالنسبة لحياة "داروين"، ولو أنها تلقى الضوء على ما كان يدور فى محيط الحياة العلمية والثقافية لتلك الحقبة. ولهذا قصرت هذا المجلد على الأبواب الثلاثة الأساسية الأولى من الكتاب الأصلى - حتى يمكن إصداره بحجم مناسب، وهو يحتوى على الأشياء المهمة التى أرمى إلى إظهارها، المتعلقة بشخصيته، وطريقة معيشته والمنهاج الذى كان يتبعه .

●لدينا فى هذا الكتاب صورة شاملة لقصة تفوق ونبوغ علمى، ودأب على العمل ونجاح شخصى، وسمو أخلاقى، منذ بدايتها وتطوراتها ومصادفاتها من الممكن اتخاذها نبراسا ومصدرا لدروس مستفادة، بالنسبة للأجيال الموجودة والقادمة ، من شعوب هذه المنطقة متحدة اللسان، ومتقاربة الثقافة، لعلها تكون حافزا لهم لاتباع نفس هذا السراج والمنهاج فى الحياة، والدقة فى إنجاز الأعمال، والمثابرة فى أدائها، واتباع النظام والترتيب، وهى الأشياء التى تمثل حجر الأساس، فى نجاح أى عمل يقوم به الإنسان.

* نجد هذه القصة الحياتية من الدروس ما يكفى لبث الطمأنينة فى قلوب الشباب وأولياء أمورهم، التى تفيد بأن الإنسان ينبغ، عندما يعثر على ما يناسب أهواءه وسجاياه من نشاط، وما يكفى لإثارة اهتمامه، وقد تثبت الأيام أن من يتم اعتباره فاشلا فى مرحلة مبكرة من حياته، من الممكن أن يتحول عند سنوح الفرص الملائمة، إلى أحد النوابغ المعطائين، عندما يجد المتنفس الصحيح لطاقاته ومواهبه. وقد يكون فى ذلك رد على ما استحدثته المؤسسات التعليمية من أنظمة "المجموع التراكمى" و" مرتبة الشرف".

قمت بترجمة هذا الكتاب طبقا لإصداره الأول عام ١٨٨٧ ، من قبل ابنه "فرانسيس داروين" Francis Darwin ، مع المحافظة على الإغفالات المذكورة فى مقدمته، ليتمكن الجميع من قراءتها، فى صورة بعيدة عن إثارة الحساسيات والاعتراضات، التى قد تثور فى أذهان البعض، وتجنبا لإثارة مشاعرهم وإحجامهم، عن قراءة هذا النموذج من الحياة الجادة الساعية إلى التقدم العلمى الأمين والجاد. ثم قمت بإلحاق ترجمة الفقرات المسقطة، فى حاشية تالية لترجمة السيرة والاسترجاعات، حتى تكون فى متناول يد من تتطلع نفسه، إلى الإلمام بجميع الجوانب الموجودة فى شخصية داروين، وذلك انطلاقا من التزام الأمانة التامة، فى الترجمة التى أضعها دائما نصب عينى، مع التجاهل التام لأى مشاعر شخصية أو تحفظات اجتماعية، من شأنها تشويه النص الأصلى الذى تصديت لترجمته، ولإيمانى بأن أى تصرف من جانب المترجم، من شأنه أن يحدث تحريفا فى الصورة الكاملة الدقيقة للعمل، وما يترتب على ذلك من زيغ أثناء استعراضه، أو القيام بنقده نقدا موضوعيا أمينا – تاركا حرية الإغفال لجزء دون المساس بالمضمون الأصلى، لمن لا يستسيغه.

تلى تلك الحاشية المحتوية على الإسقاطات، ترجمة خطاب التأبين الذى ألقاه "الأستاذ هوكسلى" Prof. Huxley فى ١٨٨٢/٤/٢٧، وتم اختتام الترجمة بمسرد للمصطلحات والألفاظ الواردة بالكتاب، وذلك لما أرجو من أن يكون فيه فائدة للمطلع على الترجمة من جهة المصطلحات العلمية أو الألفاظ غير شائعة الاستخدام، فى كل من اللغتين الإنجليزية والعربية. وقد قمت كما اعتدت فى جميع أعمالى السابقة فى الترجمة، التى كان معظمها لأعمال "تشارلس داروين"، باستخدام حق الاجتهاد ، فى نحت وتصويب وتغيير بعض المصطلحات التى أعتقد أنها زائغة، مع تحمل مسئولية هذه الاجتهادات والتصرفات، والإقرار بأنها شخصية، وقمت بوضع علامة نجمة (*) أمام كل منها، مع وضع علامة (#) أمام أى مصطلح غامض، فشلت كل جهودى فى ترجمته، للفت نظر أى شخص أكثر

منى كفاءة، لمحاولة القيام بما عجزت عن تحقيقه. وكل ما أرجوه من المختصين والعلماء، تقليب الفكر فيما ذهبت إليه من اجتهادات، فإن أصبت فيما ذهبت إليه، نلت عن ذلك ثوابين، أما لو كنت مخطئا، فيتوجب علىَّ الاعتذار، لكن يتبقى لى ثواب واحد، وهو المحاولة.

مجدى المليجى

قائمـــة بالكتب التى أصدرها " داروين "

- ١٨٣٦ : "خطاب"، A Letter ، يحتوى على ملحوظات عن الحالة الأخلاقية الموجودة فى "تاهيتى"، ونيوزيلاندا، وخلافهما - بواسطة "القبطان فيتزروى" وتشارلس داروين .

- ١٨٣٩ : يوميات وتعليقات (رحلة السفينة البيجل البحرية)

Journal and Remarks(The vayage of the Beagle).

- ١٨٣٩ - ١٨٤٣ : حيوانات رحلة البيجل البحرية - ٥ أجزاء

Zoology of H.m.s. Beagle .

- ١٨٤٢ : التركيب والتوزيع للحيود المرجانية

The Structure and Distribution of Coral Reefs.

- ١٨٤٤ : ملاحظات جيولوجية حول الجزر البركانية

Geological Observations of Volcanic Islands.

- ١٨٤٦ : ملاحظات جيولوجية حول أمريكا الجنوبية

Geological Observations on South America .

- ١٨٤٩ : الطبقات الأرضية، من كتيب خاص بالاستفسار العلمى، معد لاستخدام رجال بحرية جلالة الملكة، ومعد للرحالة بوجه عام

Geology from a Manual of Scientific enquiry,Prepared for the use of her Majesty`s Navy;and Adapted for Travelers in General .

• ١٨٥١ : دراسة مفردة عن الطائفة الفرعية للهدابيات، مع تصاوير لجميع الأنواع . فهديات الأهاب *، أو الهدابيات المسوقة *

A Monograph of the Sub-class Cirrepedia witg Figures of all the Species.The Lepadidae,or pedunculated Cirripedes.

• ١٨٥١ : دراسة مفردة عن فهديات الأهاب الأحفورية، أو الهدابيات المسوقة الأحفورية الخاصة ببريطانيا العظمى

A Monograph on the Fossil Lepadidae, or Pedunculated Cirripedes of Great Britain.

• ١٨٤٥ : دراسة مفردة عن الطائفة الفرعية للهدابيات، مع تصاوير لجميع الأنواع. الحشفيات البحرية*(أو الهدابيات الجالسة)، المثألات*، وخلافها

A Monograph of the Sub-class Cirrepedia with Figures of all the Species. The Balanidae (or Sessile Cirripedes),the. Verrucidae,etc.

• ١٨٤٥ : دراسة مفردة عن الحشفيات* والمثأللات* الأحفورية، الخاصة ببريطانيا العظمى

A Monograph on the Fossil Balaidae and Verrucidae of Great Britain.

• ١٨٥٨ : حول استدامة الضروب والأنواع، عن طريق الوسائل الطبيعية للانتقاء

On the Perpetuayion of Varieties and Species by Natural Means of Selection.

* ١٨٥٩ : " حول نشأة الأنواع الحية عن طريق الانتقاء الطبيعى، أو انحفاظ على الأعراق المفضلة، أثناء الصراع من أجل الحياة

On the Origin of species by means os Natural Selection, or the Preservation of favoured Races in the Struggle for Life.

• ١٨٦٢ : حول الوسائل المستنبطة المختلفة التى يتم بواسطتها، تلقيح السحلبيات البريطانية والأجنبية، عن طريق الحشرات

On the Various Contrivances by Which British and Foreign orchids are Fertilized by Insects .

• ١٨٦٨ : تمايز النباتات والحيوانات تحت تأثير التدجين (جزئين)

Variation of Plants and Animals under Domestication .

• ١٨٧١ : نشأة الإنسان وعلاقة الانتقاء بالجنس

The Descent of Man, and Selection in Relation to Sex .

• ١٨٧٢ : التعبير عن الانفعالات فى الإنسان والحيوانات

The Expression of Emotions in Man and Animals .

• ١٨٧٥ : حركة وسلوكيات النباتات المتسلقة

Movements and Habits of Climbing Plants .

• ١٨٥٧ : النباتات الآكلة للحشرات

.Insectivorous Plants .

- ١٨٧٦ : تأثير التلقيح التهجينى والذاتى فى المملكة النباتية

The Effects of Cross and Self-Fertilisation in the Vegetable Kingdom .

- ١٨٧٧ : الأشكال المختلفة من الزهور الموجودة على النباتات التابعة لنفس النوع

The Different forms of Flowers on Plants of the Same Species .

- ١٨٧٩ : فاتحة وملحوظة ابتدائية، "فى كتاب" إرنست كراوس، عن "إرسموس داروين"

"Preface and a Preliminary Notice" in Ernst Krause's Erasmus Darwin .

- ١٨٨٠ : القدرة على الحركة الموجودة فى النباتات

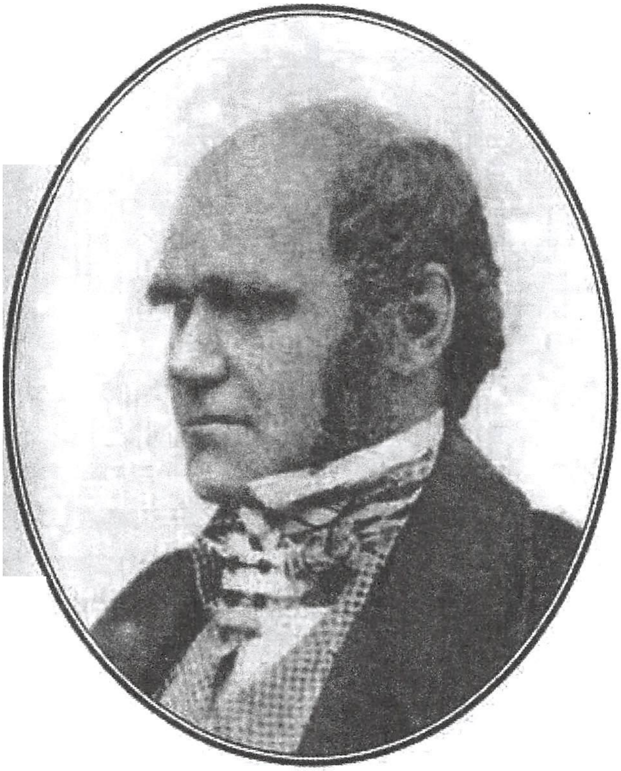
The Power of movement in Plants .

- ١٨٨١ : التكوين للتربة النباتية من خلال مفعول الديدان

The Formation of Vegetable Mould Through the Action of Worms .

- القصة الذاتية لتشارلس داروين (تم إصداره بواسطة ابنه فرانسيس داروين)

Autobiography of charles Darwin (Edited by Francis Darwin)



لوحة (٢)

داروين فى العقد الخامس

الجـــزء الأول

عـائـلة داروين

أصل العائلة – القرن السابع عشر – القرن الثامن عشر – إراسموس داروين – دكتور ر.و. داروين – إراسموس داروين الصغير

تبين أكثر سجلات العائلة إيغالا فى القدم، أن التابعين لعائلة "داروين"،كانوا من الملاك الموسرين للأرض، المقيمين على الحدود الشمالية من "لينكولنشير" Lincolnshire، بالقرب من "يوركشير" Yorkshire. ورغم أن الاسم غير معتاد حاليا فى إنجلترا، فإننى أعتقد أنه ليس مجهولا فى المناطق المجاورة لـ"شيفيلد" Sheffield وفى "لانكشاير" Lancashire. ونجد بالرجوع إلى عام ١٦٠٠ أنه يتم هجاء[1] الاسم بطرق متنوعة "ديرونت"، Derwent و"دارون" Darwen، و"دارويين" Darwynne، وخلافه. ومن المحتمل بناء على ذلك، أن العائلة قد ارتحلت[2] فى تاريخ غير معلوم من "يوركشير"، أو "كامبرلاند" Camberland، أو "دربيشير" Derbyshire، حيث يوجد "ديرونت" Derwent كاسم لأحد الأنهر.

يدعى أول جد أعلى لدينا علم به، "وليام داروين" William Darwin، الذى عاش حوالى عام ١٥٠٠ فى "مارتون" Marton، بالقرب من "جينزبره" Gainsborough. وقد ورث ابن حفيده[3]، "ريتشارد داروين" Richard Darwyn أرضا فى "مارتون" وأماكن أخرى، وقام فى وصيته المؤرخة فى ١٥٨٤ " بتخصيص[4] مبلغ ثلاثة شلنات وأربع

---

(١) هجاء = تهجية Spell
(٢) يرتحل Migrate
(٣) ابن الحفيد Great grandson
(٤) يورث (يخصص) بوصية Bequeath

بنسات، لصالح إقامة لافتة بشعار جلالة الملكة، فوق الباب الخاص بجوقة المنشدين(١)، الموجودين فى أبرشية " مارتون "(٢) [1]

يبدو أن ابن هذا الـــ"ريتشارد"، المدعو "وليام داروين William Darwin" - والذى كان يوصف على أساس أنه "رجل محترم-(٣)، قد كان رجلا ناجحا. حيث قام علاوة على احتفاظه بأرض أسلافه(٤) فى "مارتون"، بالاكتساب من خلال زوجته، وعن طريق الشراء، لعزبة(٥) فى "كليثام"، الموجودة فى أبرشية "مانتون Manton"، بالقرب من "كيرتون ليندس" Kirton Lindsey، وقام بتوطيد إقامته هناك. وقد ظلت هذه العزبة من ممتلكات العائلة إلى عام ١٧٦٠. ولا يوجد منها الآن سوى بيت ريفى(٦) بحوائط سميكة، والبعض من برك الأسماك(٧) والأشجار القديمة، التى تبين أين كان "القصر العتيق" Old Hall ينتصب فى يوم من الأيام، وحقل مازال يعرف محليا، على أساس أنه "حقل داروين الخيرى" Darwin Charity، نتيجة لأنه كان خاضعًا لتعليمات، فى صالح فقراء "مارتون". ولابد أن "ويليام داروين" كان مدينا، على الأقل بشكل جزئى، فى ارتفاع منزلته، إلى تعيينه فى عام ١٦١٣ عن طريق الملك چيمس الأول James I، فى منصب القيم(٨) على دار السلاح(٩) الملكية فى "جرينتش" Greenwich. ويبدو أن المنصب كان يساوى ٣٣ جنيها فقط فى العام، ومن المحتمل أن الواجبات كانت اسمية(١٠) تقريبا، وقد احتفظ بهذا المنصب إلى وقت مماته أثناء الحروب الأهلية(١١).

---

(١) جوقة المنشدين Choir
(٢) أبرشية كنسية Parish church
(٣) رجل محترم * Gentleman
(٤) سلف = جد أعلى Ancestor
(٥) عزبة Estate
(٦) بيت ريفى Cottage
(٧) بركة أسماك Fish-Pond
(٨) قيـــم * Yeoman
(٩) دار السلاح * Armoury
(١٠) اسمى Nominal
(١١) حـــرب أهلـــية Civilwar

قد تقوم الحقيقة بأن هذا الـــ"ويليام" كان خادما ملكيا، بتفسير لماذا التحق ابنه- وكان يسمى أيضًا "وليام"- بخدمة الملك عندما كان صبيا تقريبا، كقائد ملازم[1] فى فرقة خيالة "السير ويليام بيلهام" Sir William Pelham. وقد تمت عند التسريح[2] الجزئى للجيوش الملكية، والانسحاب للباقى إلى "إسكتلندة" Scotland، مصادرة[3] ممتلكات الصبى بواسطة البرلمان[4]، لكنه استردها عند توقيعه على تحالف الخضوع والاتفاق Solemn League and Convenant، وبعد قيامه بتسديد غرامة[5]، لابد أنها أثرت على تدابيره المالية بشدة، حيث يتحدث فى التماس مرفوع إلى الملك "تشارلس الثانى"، عن خرابه التام تقريبا، لتمسكه بالقضية الملكية.

أصبح "وليام داروين" فى غضون فترة "الاشتراك فى اليسر"[6]، محاميا، أمام المحكمة العليا[7]فى "لينكولن"، ومن المحتمل أن ظروفه أدت إلى زواجه من ابنة "إراسموس إيرل" Erasmus Earle، المحامى من الطراز الأول[8]، ولهذا السبب استمد ابن حفيده، "إراسموس داروين" Erasmus Darwin الشاعر، هذا الاسم المعمدانى[9]. وقد أصبح فى آخر الأمر، المسجل[10] لمدينة "لينكولن".

ولد الابن الأكبر لهذا المسجل، ويدعى أيضا "وليام"، فى عام ١٦٥٥، وتزوج وريثة "روبرت وارينج" Robert Waring، التى تنتمى إلى عائلة محترمة

---

(١) قائد ملازم * Captain-Lieutenant
(٢) تسريح (من الجيش) Dispersion
(٣) يصادر Sequestrate
(٤) البرلمان = مجلس نواب الأمة Parliament
(٥) غرامة Fine
(٦) الاشتراك فى اليسر * (جمهورية كرومويل) Commonwealth
(٧) محامى أمام المحكمة العليا Barrister
(٨) محامى من الطراز الأول Serjeant-at-law
(٩) الاسم المعمدانى * Christian name
(١٠) مسجل Recorder

فى "ستافورد شير" Staffordshire. وقد ورثت هذه السيدة من عائلة "لاسيلس" Lassells أو Laseelles، العزبة[١] والقصر[٢] الموجودين فى "إلستون" Elston، بالقرب من "نيو أرك" Newark والذى بقى منذ ذلك الحين من ممتلكات الأسرة[2]. وهناك صورة مرسومة لوجه[٣] هذا الـ"ويليام داروين" موجودة فى "إلستون"، تبينه على أساس أنه رجل حسن الطلعة، بشعر مستعار[٤] مكتمل التدلى[٥].

رزق هذا الـ"ويليام" الثالث بولدين، هما "ويليام"، و"روبرت" الذى تلقى التعليم ليصبح محاميًا. وقد تركت ممتلكات "كليثام" Cleatham، لـ"ويليام"، ولكنها بانتهاء خط الأسرة ببنات، عادت إلى الأخ الأصغر، الذى تسلم "إلستون". وقام "روبرت" عند وفاة والدته بالتخلى عن مهنته، وأقام بعد ذلك إلى آخر عمره فى "قصر إلستون". وقد كتب "تشارلس داروين" عن هذا الـ "روبرت" [3] ما يلى:-

"يبدو أنه كان يتمتع ببعض التذوق للعلم، لأنه كان أحد الأعضاء المبكرين فى "منتدى سـبالدينج" Spalding Club المشهور، وقد قام "الدكتور ستوكيلى" Dr. Stukeley، الجامع والدارس المشهور للأشياء العتيقة[٦]، فى مقالته العلمية "تقرير عن هيكل عظمى مكتمل تقريبا لحيوان ضخم، إلى آخره" An Account of the almost entire sceleton of a Large Animal & C.، المنشور فى "محاضر الجلسات الفلسفية" Philosophical Transactions، فى أبريل ١٧١٩، باستهلال مقاله بما يلى: " تلقيت من صديقى "روبرت داروين" المحترم[٧]، من "لينكولن إن"، وهو

---

(١) عزبة Manor

(٢) قصر Hall

(٣) صورة مرسومة لوجه Portrait

(٤) شعر مستعار Wig

(٥) مكتمل التدلى Full-bottomed

(٦) جامع أودارس للأشياء العتيقة Antiquary

(٧) المحترم Esq.

شخص ذو فضول[١]، تقريرا خاصا بهيكل عظمى[٢] بشرى[٣] مطبوع[٤] فى الصخر، تم العثور عليه مؤخرًا بواسطة كبير "إلستون"، إلى آخره". ويتحدث "ستوكيلى" بعد ذلك عن هذا الاكتشاف، على أساس أنه نادر جدًا، "ولم تتم ملاحظة مثل هذا من قبل، طبقًا لمعلوماتى فى هذه الجزيرة". وانطلاقا من نوعية الابتهالات[٥] المكتوبة بواسطة "روبرت"، وتوارثتها العائلة، فإنه كان مناديًا[٦] قويًا بكبح الشهوات[٧]، وكان ابنه ينادى دائمًا فيما بعد بشكل قوى بما يلى:-

من نهار لا يشرق،

من صبى يشرب الخمر،

من زوجة تتكلم اللاتينية،

يا مولاى الكريم أنقذنى!

"من المحتمل أن يتم تفسير خط الأنساب الثالث عن طريق زوجته، وهى أم "إراسموس"، التى كانت سيدة مثقفة جدًا. فقد ورث الابن الأكبر لـ"روبرت" إقطاعية "إلستون"، وتوفى هناك عند عمر اثنين وتسعين عامًا، وهو مازال أعزب. وكان يتمتع بتذوق شديد للشعر، مثل أصغر إخوته "إراسموس". وقد قام "روبرت" بالتثقف أيضًا فى علم النبات، وعندما كان رجلا عجوزا، قام بنشر كتابه "أساسيات علم النبات" Principia Botanica. وهذا الكتاب كمخطوط يدوى محرر بشكل جميل، وقد صرح والدى (الدكتور ر.و. داروين" Dr. R.W. Darwin) بأنه يعتقد أنه نشر،

---

(١) فضول = حب استطلاع Curiousity

(٢) هيكل عظمى Scceleton = Skeleton

(٣) بشرى Human

(٤) مطبوع Impressed

(٥) ابتهال Litany

(٦) منادى = مدافع Advocate

(٧) كبح الشهوات Temperance

لأن عمه العجوز لم يستطع تحمل أن يكون من شأن مثل تلك الرسومات الطباشيرية[١] أن يتم إهدارها، لكن من الصعب أن يكون هذا عادلا، لأن الكتاب يحتوى على الكثير من الملحوظات اللافتة للنظر عن الأحيائيات[٢]، وهو موضوع كان مهملاً بشكل تام فى إنجلترا فى القرن الماضى. والأكثر من ذلك، أن العامة شعروا بالتقدير للكتاب، حيث إن النسخة التى فى حوزتى، تابعة للإصدار الثالث.

(١) الرسم بالطباشير • Caligraphy

(٢) الأحيائيات = علم الأحياء Biology

ترتيب القرابة الخاصة بـ "تشارلس داروين"

"رزق روبرت داروين" من "إليستون" Robert Darwin of Elston ١٦٨٢ - ١٧٥٤، بثلاثة أولاد:

"وليام ألـفـى داروين" William Alvey Darwin (١٧٢٦-١٧٨٣)، الذى رزق بولد هو "وليام براون داروين" William Brow Darwin (١٧٧٤-١٨٤١)، وابنة هى "آن داروين" Anne Darwin، التى تزوجت "صامويل فوكس" Samuel Fox، وأنجبا ولدا هو "وليام داروين فوكس" William Darwin Fox.

"وليام براون داروين" William Brawn Darwin (١٧٧٤ - ١٨٤١)، الذى رزق بابنتين هما "تشارلوت داروين" Charloote Darwin، التى تزوجت "فرانسيس رودس" Francis Rhodes الذى أصبح "فرانسيس داروين" Francis Darwin الخاص بـــ "كريسكلد" Kreskeld و"إليستون" Elston - والابنة الثانية هى "سارة داروين" Sarah Darwin التى تزوجت "إدوارد نويل" Edward Noel.

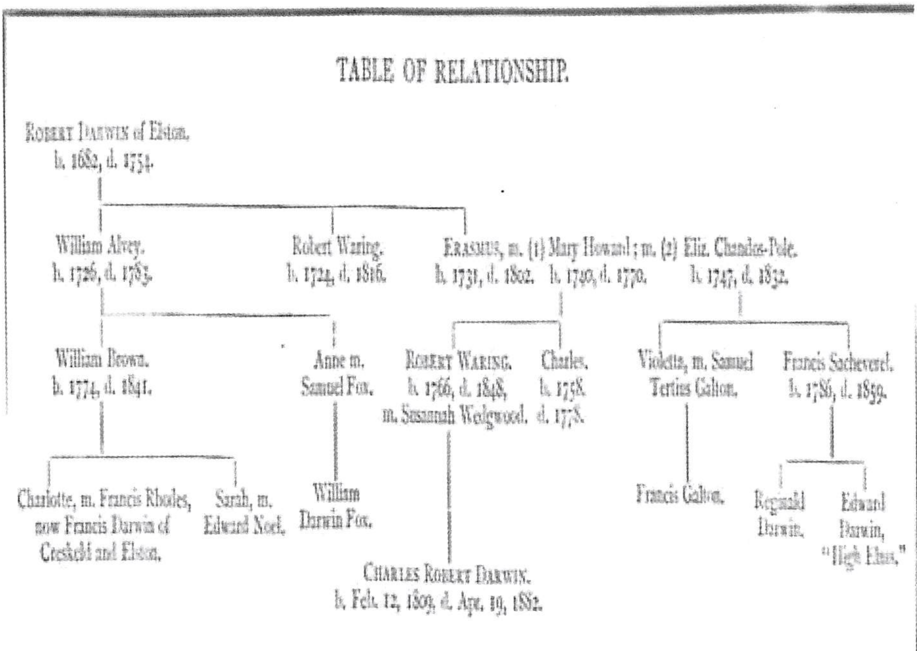
- "إراسموس داروين" Erasmus Darwin (١٧٣١ - ١٨٠٢) الذى تزوج مرتين:-

"مارى هوارد" Mary Howard (١٧٤٠ - ١٧٧٠) وكان له منها ولدان : "تشارلس داروين" Charles Darwin (١٧٥٨ - ١٧٧٨) و"روبرت ورراينج داروين" Robert Waring Darwin

"إليزابيث تشاندوس - بول" Eliz. Chandos-Pole (١٧٤٧ - ١٨٣٢) التى كان له منها ابنة وابن، والابنة اسمها "فيوليتا داروين" Violetta Darwin، التى تزوجت "صامويل تيرتيوس جالتون" Samuel Tertius Galton، وأنجبا ولدا هو

"فرانسيس جالتون" Francis Galton - أما الابن فهو "فرانسيس ستشيــڤيريل داروين" Francis Sacheverel Darwin (١٧٨٦ - ١٨٥٩) الذى أنجب ولدين هما "ريــچنالد داروين" Reginald Darwin و"إدوارد داروين" Edward Darwin (الدردار العالى High Elms).

• "روبرت وارينج داروين" (١٧٦٧ - ١٨٤٨) تزوج "سوزانه ويدجوود" Susannah Wedgwood ورزق بـــ "تشارلس روبرت داروين" فى ١٢ فبراير ١٨٠٩ الذى توفى فى ١٩ إبريل ١٨٨٢.



لوحة (٣)

شجـرة العـائلة

قام الابن الثانى، "وليام ألـــفـــى" William Alvey، بنقل "إلستون" إلى حفيدته، "الراحلة السيدة داروين" Late Mrs. Darwin، صاحبة "إلستون" و"كريسكيلد" Creskeld. وأصبح الابن الثالث مديرا لشئون "إلستون"، حيث كانت المعيشة فيه منحة خاصة بالعائلة. أما الابن الرابع، وهو الطفل الأصغر، فكان "إراسموس داروين"، الشاعر الفيلسوف.

يوضح الجدول المرفق انحدار "تشارلس داروين" عن "روبرت"، وعلاقته مع بعض الأعضاء الآخرين من العائلة، الذين وردت أسماؤهم فى سيرة حياته ومراسلاته. وقد قمت بضم "ويليام داروين فوكس" William Darwin Fox إليهم، وهو واحد من أوئل المتراسلين معه، و"فرانسيس جالتون" Francis Galton، الذى ظل على صداقة حميمة معه لأعوام كثيرة. ويوجد هناك أيضًا، اسم "فرانسيس سانتشـــفيريل داروين" Francis Socheverel Darwin، الذى ورث الحب للتاريخ الطبيعى عن "إراسموس"، وقام بنقله إلى ابنه "إدوارد داروين" Edward Darwin، المؤلف (تحت اسم "الدردار السامق" High Elms) لكتاب "كتيب حارس الطرائد" Gamekeeper's Manual (الإصدار الرابع، عام ١٨٦٣) الذى يقوم بتوضيح ملاحظات دقيقة، عن السلوكيات الخاصة بحيوانات مختلفة.

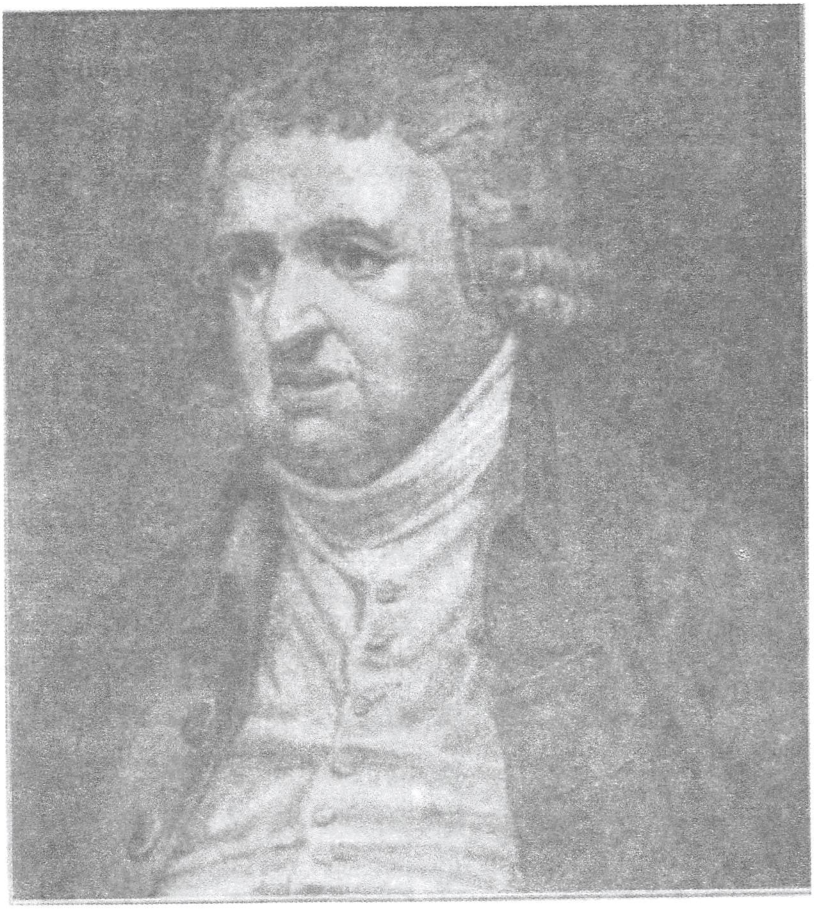
من المشوق دائما، مشاهدة إلى أى مدى من الممكن تتبع المميزات الشخصية لأى إنسان، الموجودة فى آبائه الأعلين(١). وقد ورث "تشارلس داروين" قامة(٢) "إرسموس" الطويلة، لكن ليس قوامه(٣) لكن لا يوجد فى ملامحه أى تماثل من الممكن تتبعه، لتلك الملامح الخاصة بجده. وكما يبدو، لم يكن لدى "إراسموس" أيضا، ولع بالرياضة البدنية والرياضات الميدانية، التى كانت من الصفات المميزة بشكل خاص لــ "تشارلس دارون" عندما كان رجلا يافعًا، رغم أنه كان حائزا مثل حفيده،

---

(١) الأب الأعلى = السلف — Fore father

(٢) قامة — Stature

(٣) قوام — Figure



لوحة (٤)

إراسموس داروين – جد "تشارلس"

على ولع لا يقهر(١) بالعمل الذهنى الشاق. وكانت النزعة الخيرية والتعاطف مع الآخرين، والجاذبية الشخصية العظيمة من السمات الشائعة فى كلّ منهما. وكان "تشارلس داروين" حائزًا بأعلى درجة، على ذلك "الخيال الخصب" الذى يتحدث عنه، على أساس أنه كان من المميزات القوية لدى "إراسموس"، وعلى أساس أنه يؤدى إلى نزعته التى لا تقاوم، لوضع النظريات(٢) والتعميم(٣)". وقد كانت هذه النزعة الموجودة فى "تشارلس داروين" مكبوحة بشكل كامل، عن طريق التصميم على وضع نظرياته تحت الاختبار إلى أقصى حد. وكان لدى "إراسموس" ولع شديد بجميع الأصناف من الآليات، وهو الشىء الذى لم يكن "تشارلس داروين" يستسيغه على الإطلاق. ولم يكن لدى "تشارلس داروين" المزاج الأدبى، الذى جعل "إراسموس" شاعرا، علاوة على كونه فيلسوفا. وهو يكتب عن "إراسموس" قائلا [4]:- "لقد صدمت عند استعراض جميع خطاباته، بعدم اهتمامه بالشهرة، والغياب التام لجميع العلامات الدالة على المغالاة فى تقدير قدراته الشخصية، أو فى النجاح لأعماله". ويبدو بالفعل، أن تلك الصفات تشير إلى السمات البارزة بشكل لافت للنظر، الموجودة فى طابعه الشخصى. إلا أننا لا نجد عند "إراسموس" أى دليل يشير إلى التواضع والبساطة، اللذين شابا طبيعة "تشارلس داروين" الكاملة. إلا أن التفجر السريع للغضب، الذى يتم استثارته فى "إراسموس"، عند رؤيته لأى عمل وحشى أو انعدام للعدالة، يعيدنا إلى تذكر تصرفات "تشارلس".

يبدو لى فى مجمل الأمر، أننا لا نعرف القدر الكافى عن المزاج الشخصى الجوهرى، لطابع "إراسموس داروين"، لكى نحاول القيام بأكثر من المقارنة السطحية، وقد تخلف لدىّ انطباع، بانه بالرغم من التماثلات الكثيرة الموجودة بين الرجلين، فإنهما كانا تابعين لنمطين مختلفين. وقد اتضح أن "الآنسة سيوارد" Miss

---

(١) لا يقهر Indomitable

(٢) يضع نظرية Theorise

(٣) يعمم Generalise

Seward و"السيدة سكيميلـــبينينك" Mrs. Schimmelpenninck قامتا بتحريف طابع "إراسموس داروين" [5]. إلا أنه من المحتمل إلى أقصى حد، أن الأخطاء التى قامتا بتضخيمها، قد كانت إلى حد ما من مميزات الرجل، وهذا ما يقودنى إلى الاعتقاد، بأن "إراسموس" كان يتمتع بقدر معين من الفظاظة(١)، أو الصرامة فى المزاج، وهو الشيء الذى لم يكن موجودا فى حفيده.

ورث أولاد "إراسموس داروين" بدرجة ما، بعضا من تذوقاته الفكرية(٢)، حيث يقوم "تشارلس داروين" بالكتابة عنهم على أساس أنهم كالتالى [6]:-

" كان الابن الأكبر، تشارلس" (ولد فى ٣ سبتمبر ١٧٥٨)، شابا واعدا بشكل غير عادى، ولكنه توفى (فى ١٥ مايو ١٧٧٨) قبل أن يبلغ الواحد والعشرين من العمر، نتيجةً لتأثيرات جرح تلقاه، أثناء قيامه بتشريح دماغ طفل. وكان قد ورث عن والده تذوقا قويا لفروع العلم المختلفة، ولكتابة الأشعار، والآليات.. وورث أيضا التمتمة(٣). وأملا فى شفائه من ذلك، قام والده بإرساله إلى "فرنسا"، عند بلوغه ثماني سنوات من العمر (١٧٦٦-١٧٦٧) بصحبة مدرس خصوصى، ظانا أنه، إذا لم يسمح له بالتحدث باللغة الإنجليزية لبعض الوقت، فمن الممكن لعادة التمتمة أن تختفى، وقد كان من الغريب أنه بعد مضى سنوات على ذلك، لم يعد يتمتم على الإطلاق عندما يتحدث باللغة الفرنسية. وكان يقوم عند عمر مبكر جدا، بجمع العينات من جميع الأصناف. ثم أرسل عند بلوغه السادسة عشرة، لمدة عام إلى كلية "كنيسة المسيح" Christ Church بـــ"أوكسفورد" Oxford، ولكن المكان لم يرق له، ودار في ذهنه (طبقا لكلامات والده) أن : "عنفوان(٤) ذهنه قد فتر(٥) فى متابعة(٦) الروائع التقليدية(٧) مثل "هرقل" Hercules، وهو يعمل على فلكة

---

(١) فظاظة — Acerbity

(٢) فكرى — Intellectual

(٣) تمتمة — Stammering

(٤) عنفوان — Vigour = Vigor

(٥) يفتر = يهن = يضعف — Languish

(٦) يتابع = يتتبع — Pursuit

(٧) روائع تقليدية * — Classical elegance

المغزل[١]، وكان متلهفًا للانتقال إلى الممارسة الأكثر مشقة[٢]،والالتحاق بكلية الطب التابعة لـــ "إدنبره" Edinburgh. وقد أمضى ثلاثة أعوام فى "إدنبره" وهو يعمل جاهدا على دراساته الطبية، ويوالى باجتهاد[٣]، جميع المرضى التابعين لأبرشية "واترليث" Waterleith، ويقوم بتزويدهم بالعقاقير اللازمة" وقد قامت "الجمعية الطبية" Aesculapian Society بمنحه أول وسام[٤] ذهبى فى تاريخها، لاستقصائه التجريبى حول الصديد[٥] والمخاط[٦]. وظهرت ملاحظات عنه فى مختلف الجرائد، وأجمع كل المحررين على نشاطه وقدراته غير العادية. ويبدو أنه كان يقوم مثل والده، باستثارة المودة الدافئة فى أصدقائه. وتحدث عنه "الأستاذ دونكان" Prof. Duncan بمودة دافئة إلى أقصى حد، بعد مرور سبعة وأربعين عامًا على وفاته، عندما كنت طالبا يافعا فى كلية الطب بـــ"إدنبره".

"ليس لدى فيما يتعلق بالطابع الخاص بابنه الثانى "إراسموس" (ولد فى ١٧٥٩)، سوى القليل الذى من الممكن أن يقال، حيث يبدو رغم قيامه بكتابه الشعر، أنه لم يكن حائزا على أى من تذوقات والده الأخرى. ومع ذلك، كانت له تذوقاته الخصوصية الأخرى، مثل علم الأنساب[٧]، وجمع العملات النقدية، والإحصائيات[٨]. وقد قام في صباه بإحصاء جميع المنازل الموجودة فى مدينة "ليتشفيلد" Lichfield، وتحقق من أعداد القاطنين فى أكبر عدد كان فى استطاعته منها، وتوصل بهذا الشكل إلى حصر للسكان[٩]، وعندما تم القيام بأول حصر حقيقى

---

(١) فلكة المغزل — Distaff
(٢) شاق = قوى — Robust
(٣) اجتهاد — Diligence
(٤) وسام = نوط — Medal
(٥) صديد — Pus
(٦) مخاط — Mucus
(٧) علم الأنساب — Genealogy
(٨) إحصائيات — Statistics
(٩) حصر السكان — Census

للسكان، تبين أن تقديره كان مضبوطًا تقريبا. وقد كان مزاجه[١] هادئًا ومنطويا[٢]. وكان لدى والدى إيمان قوي بقدراته، ومن المحتمل أن ذلك كان رأيا منصفا، حيث لم يكن من شأنه لو لم يكن الأمر كذلك، أن تتم دعوته للقيام برحلات معه، وأن تتم دعوته للزيارة لمدد طويلة، من قبل رجال متميزين بطرق مختلفة، مثل "بولتون Boulton المهندس، و"داى" Day المتخصص فى علم الأخلاق[٣] والروائى[٤]". ويبدو أن وفاته عن طريق الانتحار[٥] فى عام ١٧٩٩، قد حدثت وهو فى حالة من فقدان العقل[٦] الابتدائى[٧].

ولد "روبرت وارينج"، والد "تشارلس داروين" فى ٣٠ مايو ١٧٦٦، ودخل فى سلك مهنة الطب مثل والده. وقام بالدراسة لعدة أشهر فى "ليدن" Leyden، وحصل على شهادة "دكتور طبيب" M.D. [7] من هذه الجامعة فى ٢٦ فبراير ١٧٨٥. و"قام والده (إراسموس) باستدعائه [8] إلى "شروزبرى" Shrewsbury، قبل أن يبلغ الواحد والعشرين عامًا من العمر (١٧٨٧) وترك له عشرين جنيها، قائلاً "أخبرنى عندما تريد المزيد، وسوف أرسله إليك". وأرسل إليه أيضا عمه المدير لشئون "إلستون" فيما بعد، عشرين جنيها أخرى، وقد كان ذلك مجموع المساعدة المالية[٨] التى تلقاها [9] على الإطلاق. وقد قال "إراسموس" لــ"السيد إدجورث" Mr. Edgeworth، إن ابنه "روبرت"، بعد مرور ستة أشهر فقط على استقراره فى "شروزبرى"، كان لديه بالفعل ما بين الأربعين والخمسين مريضا". وأصبح لديه

---

(١) مزاج = نزعة = ميل — Disposition
(٢) منطوى — Retiring
(٣) متخصص فى علم الأخلاق — Moralist
(٤) روائى = قصصى — Novelist
(٥) انتحار — Suicide
(٦) فقدان العقل = الخبل — Insanity
(٧) ابتدائى — Incipient
(٨) مالى — Pecuniary

بحلول العام التالى، عدد له اعتباره من المرضى، وظل يتعامل دائمًا بعد ذلك، مع عدد كبير منهم.

اقترن "روبرت وارينج داروين" (فى ١٨ إبريل ١٧٩٦) بـــ"سوزانه" Susannah، ابنة صديق والده "جوسيا ويدجوود" Josiah Wedgwood، من "إتروريا" Etruria، وكانت عندئذ فى الثانية والثلاثين من العمر. ولدينا صورة مرسومة صغيرة جدا[(١)] لها، بوجه بشوش وسعيد بشكل ملحوظ، يحمل بعضا من التشابه مع صورة مرسومة[(٢)] بواسطة السير جوشوا رينولدز" Sir Joshua Renolds لوالدها، بسيماء[(٣)] معبرة عن الطبيعة الرقيقة والمتعاطفة، التى تعزوها "الآنسة ميتيارد" Miss Meteyard إليها [10]. وقد توفيت فى ١٥ يوليو ١٨١٧، أى قبل زوجها الذى توفى فى ١٣ نوفمبر ١٨٤٨ باثنين وثلاثين عاما. وقد أقام "الدكتور داروين" قبل زواجه لمدة عامين أو ثلاثة أعوام، فوق "تل سانت جون" St. John's Hill، ثم انتقل بعد ذلك إلى "كريسنت" (الهلال) Crescent، وهو المكان الذى ولدت فيه ابنته الكبرى "ماريان" Marianne، واستقر فى آخر الأمر فى الـــ"ماونت" Mount، فى الجزء المعروف فى "شروزبرى" Shrewsbery بـــ "فرانكويل" Frankwell، حيث ولد الأطفال الآخرون. وقد تم بناء هذا المنزل بواسطة "الدكتور داروين"، حوالى عام ١٨٠٠، وهو الآن فى حوزة "السيد ســـبنسر فيلـــبس" Mr. Spencer Phillips، ولم يحدث به إلا القليل من التعديلات. وهو منزل ضخم، غير مزخرف، مربع، من الحجر الأحمر، والشىء الأكثر جاذبية فى معالمه، بيت النباتات الزجاجى[(٤)] الجميل، الذى ينفتح على الغرفة الصباحية.

---

(١) صورة مرسومة صغيرة جدا (على عاج)= منمنمة — Miniature

(٢) صورة مرسومة لشخص — Portrait

(٣) سيماء — Countenance

(٤) بيت النباتات الزجاجى • — Green house



لوحة (٥)

عـــائلة ويد جورد

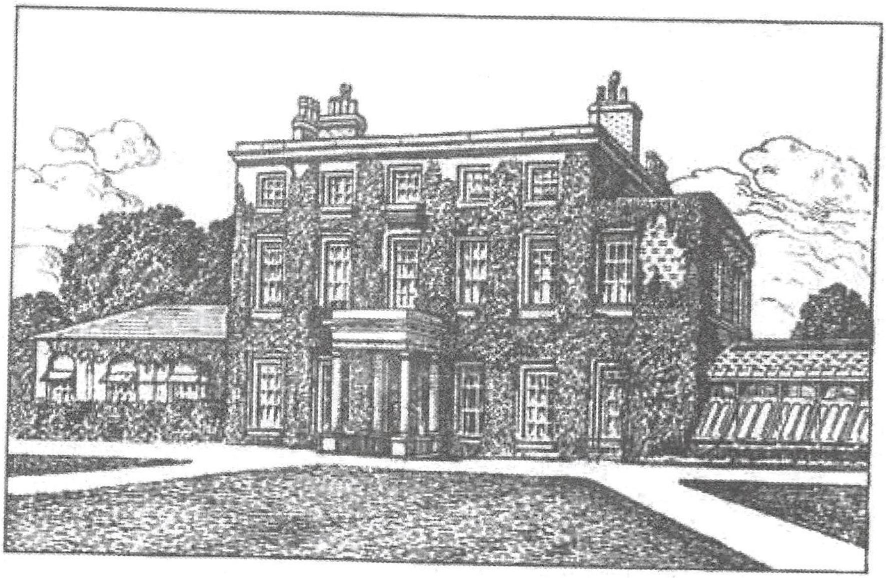
جوشوا ويد جورد، جد "تشارلس" داروين، إلى أقصى اليمين سوزانة ويدجورد التى أصبحت والدة" تشارلس" على الجواد فى المنتصف

يقع المنزل فى مكان فاتن، على قمة جرف شديد الانحدار(١) يؤدى إلى الـــ "سيـــڤيرن" Severn. ويخترق الجرف المقسم إلى مصاطب، ممشى طويل، يصل فيما بين النهايتين، ومازال يسمى إلى الآن "ممشى الدكتور". وتنمو على نقطة من هذا الممشى، شجرة كستناء إسبانى(٢)، تنثنى فروعها إلى الخلف متوازية مع بعضها بطريقة غريبة، وكانت الشجرة المفضلة لــ"تشارلس داروين"، عندما كان صبيا، حيث كان له ولاخته "كاثرين" Catherine مقعد خاص بكل منهما.

كان الدكتور يستمد الكثير من المتعة من حديقته، وكان يزرعها بالأشجار والشجيرات الزينية، وكان ناجحا بشكل خاص فى زراعة أشجار الفواكه، وأعتقد أن ولعه بالنباتات كان تذوقا مشتقا(٣) عن الولع الذى كان لديه للتاريخ الطبيعى. أما بالنسبة لحضانة الحمام Mount Pigeons التى قامت "الآنسة ميتيارد" Miss Meteyard بوصفها، فلم أسمع عنها من أكثر الناس معرفة به، فلم يكن تقرير "الآنسة ميتيارد" دقيقًا بشكل تام، فى الكثير من النقاط. وعلى سبيل المثال، فلا يصح وصف "الدكتور داروين"، بأنه يملك ذهنا فلسفيا حيث كان ذهنه متجها بشكل خاص إلى التفصيل، وليس إلى التعميم. علاوة على أن الذين يعرفونه بشكل حميم، يصفونه بأنه كان قليل الأكل بشكل ملحوظ، وهكذا فإنه لم يكن "من الأكولين العظام، يأكل إوزة على العشاء، بنفس السهولة التى يأكل فيها الآخرون طائر حجل" [11]. أما فيما يتعلق بأمور الملبس، فإنه كان محافظًا، وكان يرتدى إلى نهاية حياته، بنطالا يصـــل إلى الركب(٤) وطماقا(٥) من قمـــاش رمـــادى مسمر(٦)،

---

(١) شديد الانحدار Steep
(٢) شجرة كستناء إسبانى Spanish Chestnut
(٣) مشتق Kindred
(٤) بنطال يصل إلى الركب Knee-breeches
(٥) طماق = غطاء للحذاء Gaiters
(٦) قماش رمادى مسمر Drab



لوحة (٦)

منزل الـ"ماونت": - شيد عام ١٨٠٠ - حيث ولد "تشارلس داروين"

وهذا مخالف بالتأكيد، لما قالته "الآنسة ميتيارد"، عن التزرر[١] فوق الركبة – وهو نوع من الزى معروف لنا بشكل رئيسى، فى رماة الرمانات[٢]، فى أيام "الملكة آن" Queen Anne، وفى قاطعى الأخشاب[٣] وصبية الحرث[٤] المعاصرين[٥].

كان "تشارلس داروين" يحمل أقوى مشاعر الحب والاحترام لذكرى والده، وكان تذكره[٦] لكل شىء يتعلق به واضحا بشكل غريب، وكان يتحدث عنه كثيرا، وعادة ما يفتتح أى نادرة[٧] بعبارة على شاكلة: "والدى، الذى كان أكثر الرجال الذين عرفتهم حكمة، إلى آخره". وكان من المثير للدهشة مدى وضوح تذكره لآراء والده، إلى درجة أنه كان يستطيع الاستشهاد[٨] ببعض الأمثال السارية[٩] أو تلميحاته، فى معظم حالات الأمراض. وكان– كقاعدة عامة– قليل الإيمان بالأطباء، ولهذا كان إيمانه المطلق بغريزة "الدكتور داروين" الطبية وطرقه فى العلاج، لافتا للنظر بشكل أكبر.

كان تبجيل "داروين" لوالده بدون حدود، ومثيرا للعواطف. وكان يميل إلى إصدار الأحكام على كل شىء فى العالم، بشكل مجرد من الأهواء[١٠]، لكنه كان يتلقى كل ما يقوله والده بإيمان مطلق. وتتذكر ابنته "السيدة ليتشفيلد" Mrs. Litchfield قوله، إنه يأمل فى ألا يكون من شأن أى واحد من أولاده، الإيمان بأى شىء لأنه قاله، إلا إذا كانوا هم أنفسهم مقتنعين بصدقه، وهو شعور على النقيض تماما من طريقته فى الإيمان.

---

(١) يتزرر	Button
(٢) رماة الرمانات	Grenadiers
(٣) قاطع الأخشاب = الحطاب	Wood-cutter
(٤) صبى الحرث	Ploughboy
(٥) عصرى	Modern
(٦) تذكر	Recollection
(٧) نادرة = قصة لطيفة	Anecdote
(٨) استشهاد = اقتباس	Quote
(٩) مثل سائر	Maxim
(١٠) مجرد من الأهواء *	Dispationate

تركت زيارة قام بها "تشارلس داروين" إلى "شروزبرى" فى عام ١٨٦٩، انطباعًا قويًا على ذهن ابنته التى كانت ترافقه، عن الحب الذى يكنه لموطنه القديم. فقد صحبهم المقيمون فى ذلك الحين بالمنزل، فى جولة بين أرجائه ومتعلقاته، وقاموا بكرم ضيافة لم يكن فى موضعه، بالبقاء مع المجموعة على مدى الجولة كلها. وعندما كانوا على أهبة الرحيل، قال "تشارلس داروين" بنظرة ندم مثيرة للحزن، "أنا على يقين لو سمح لى بالبقاء بمفردى، فى ذلك البيت الزجاجى للنباتات لمدة خمس دقائق، لكان في استطاعتى رؤية والدى فى كرسيه ذى العجلات[١]، بنفس الوضوح كما لو كان هناك أمامى".

قد توضح تلك الحادثة صدق ما أذهب إليه، من أن ذكرى والده، الذى أحبه بشكل أكبر من أى شيء آخر، قد كانت تلك الخاصة به عندما أصبح رجلا عجوزا. وقد دونت "السيدة ليتشفيلد" Mrs Litchfield، القليل من الكلمات، التى توضح بشكل جيد، شعوره تجاه والده، حيث قامت بوصفه على أساس، أنه يقول باقصى درجات الاحترام الرقيق،: "أعتقد أن والدى كان قليل الإنصاف معى، عندما كنت يافعا، ولكننى أصبحت فيما بعد شاكرا لشعورى، بأننى أصبحت موضع تفضيله الأساسى". وكان لديها ذكرى حية، للتعبير عن الخيال الحالم[٢] السعيد، الذى كان مصاحبا لتلك الكلمات، وكأنه كان يقوم باستعراض كل العلاقة، وأن الذكرى تركت لديه إحساسا عميقًا بالسكينة والعرفان بالجميل.

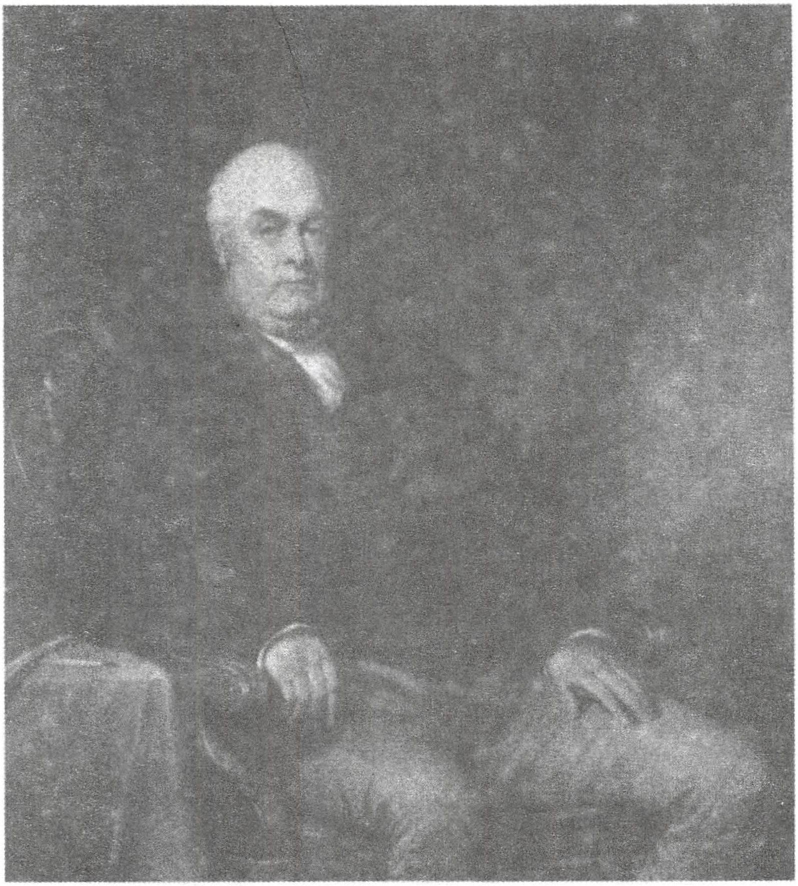
قام "تشارلس داروين" بإضافة التالى إلى استجماعات [٣] سرده الذاتى لقصة حياته، وقد تمت كتابتها حوالى عام ١٨٧٧ أو ١٨٧٨.

---

(١) كرسى ذو عجلات Wheelchair

(٢) خيال حالم Reverie

(٣) استجماعات = ذكريات Recollections



لوحة (٧)

الدكتور روبرت وارينج داروين"

والد "تشارلس داروين"

"يعن لى أن أضيف فى هذا المكان صفحات قليلة تدور حول والدى، الذى كان بطرق كثيرة، رجلا جديرا بالاعتبار. فإنه كان يبلغ حوالى ستة الأقدام والبوصتين فى الطول، مع أكتاف عريضة، وكان غاية فى البدانة[١]، إلى درجة أنه كان أضخم رجل شاهدته فى حياتى. وقد بلغ عند قيامه بوزن نفسه فى آخر مرة ٢٤ حجرا، لكنه زاد بعد ذلك فى الوزن بشكل كبير. وقد كانت مميزاته الذهنية الرئيسية، تتمثل فى قدراته على الملاحظة وتعاطفه، اللذين لم أشاهد فى حياتى من يفوقه فى أى منهما، أو حتى يساويه فيهما. ولم يكن تعاطفه مقصورا على مصائب الآخرين، ولكن بدرجة كبيرة تجاه العمل على بث السرور فى جميع المحيطين به. وقد قاده ذلك إلى القيام دائما بالتخطيط، لمنح السرور للآخرين، ورغم كراهيته للتبذير[٢]، إلى القيام بالكثير من الأفعال السخية[٣]. وعلى سبيل المثال، جاء إليه "السيد ب. -"، وهو صانع متواضع موجود فى "شروزبرى"، فى أحد الأيام، وقال له إنه على وشك إعلان إفلاسه[٤]، إلا إذا استطاع على الفور اقتراض[٥] عشرة آلاف جنيه، لكن لم يكن فى استطاعته تقديم أى ضمان[٦] قانونى لهذا القرض. وقد استمع أبى إلى الأسباب التى تدعو إلى تصديق أن فى استطاعته القيام فى آخر الأمر بتسديد المبلغ، وشعر نتيجة لإدراكه الحسى[٧] البديهى[٨] للطابع بشكل أكيد بأن من الممكن الوثوق به. وقام على هذا الأساس بتقديم هذا المبلغ إليه، رغم أنه كان مبلغا كبيرا بالنسبة له فى شبابه، وقد استعاد هذا المبلغ، بعد مرور بعض الوقت.

---

(١) بدين — Corpulent
(٢) تبذير — Extravagance
(٣) سخى — Generous
(٤) إفلاس — Bankrupt
(٥) يقترض — Borrow
(٦) ضمان — Security
(٧) الإدراك الحسى — Perception
(٨) بديهى — Intuitive

أظن أن تعاطفه هو الذى منحه قدرة غير محدودة على اكتساب الثقة، وقام ذلك بالتالى بجعله غاية فى النجاح فى مهنته كطبيب. فقد بدأ الممارسة للطب قبل أن يبلغ الواحد والعشرين من العمر، وكانت أتعابه فى غضون العام الأول كافية، لتسديد مصاريف جوادين وخادم. وأصبحت عيادته فى السنة التالية، ضخمة واستمر الحال على ذلك لمدة تقرب من الستين عاما، ثم توقف بعدها عن التردد على أى عيادة. وقد كان نجاحه كطبيب جديرًا بالملاحظة بشكل أكبر، حيث أخبرنى، أنه شعر فى بداية الأمر بالكراهية لمهنته، إلى درجة أنه لو كان متأكدا، من أن لديه حد الكفاف[1] أو لو كان والده قد أعطاه حق الاختيار، لما كان من الممكن لأى شيء، أن يغريه باتباع هذه المهنة. وكان التفكير حتى نهاية حياته فى إجراء أى عملية جراحية، يصيبه بالغثيان تقريبا، وكان من الصعب عليه أن يحتمل رؤية أى شخص ينزف دما - وهو ذعر قام بنقله لى - وأتذكر الرعب الذى شعرت به عندما كنت صبيا فى المدرسة، عند قراءتى ما حدث لـ" پلينى" Pliny، من أنه نزف حتى الموت، وهو مستلق فى حمام دافئ.

"نتيجة لقدرة والدى على اكتساب الثقة، كان الكثير من المرضى- وخاصة السيدات- يستشيرونه عند المعاناة من أى مكربة، كنوع من أنواع الاعتراف الكنسى. وقد قال لى إنهم كانوا يبدءون دائما بالشكوى بطريقة مبهمة حول صحتهم، وبالتجربة، كان سريعا ما يخمن حقيقة الأمر. وكان يقوم عندئذ باقتراح، أن المعاناة ناتجة عن أذهانهم، وعندئذ كان من شأنهم الإدلاء بجميع متاعبهم، ولم يكن يسمع أى شيء بعد ذلك يتعلق بأجسادهم .. وقد تلقى والدى نتيجة لمهارته فى اكتساب الثقة، الكثير من الاعترافات الغريبة، المتعلقة بالشعور بالكرب والإثم. وكان يقوم بالتعليق فى كثير من الأحيان، على العدد الكبير من الزوجات التعيسات، اللاتى قابلهن. وتبين فى حالات عديدة أن الأزواج والزوجات عاشوا بشكل حسن مع بعضهم البعض، لمدة تتراوح ما بين عشرين وثلاثين عامًا، ثم

---

(١) حد الكفاف = الكفاف Pittance

شعروا بعد ذلك بكراهية بعضهم للبعض الآخر بشكل مرير، وهو يعزو ذلك إلى فقدانهم للرابطة المشتركة بينهم، نتيجة لاكتمال نمو أطفالهم.

إلا أن القدرة الملحوظة إلى أقصى حد- التى كان والدى يتمتع بها- كانت النفاذ إلى الطابع، وحتى إلى أفكار الذين يراهم، حتى لبرهة قصيرة. وكانت هناك أمثلة كثيرة على هذه القدرة، ويبدو البعض منها وكأنه خارق للطبيعة[1]. وقد أنقذت تلك المقدرة والدى من عقد صداقات، مع أناس لا يستحقونها (مع استثناء واحد، لكن سريعا ما تم اكتشاف طابع هذا الرجل). فقد حضر أحد رجال الدين إلى "شروزبرى"، وبدا على أساس أنه رجل ثرى؛ وقام كل شخص بالتردد عليه، ودعى إلى عدد كبير من المنازل. وقد قام والدى بزيارته، وعند عودته إلى المنزل، طلب من أخواتى بدون إبداء تفسير، أن يقمن بدعوته أو دعوة عائلته إلى منزلنا، وذلك لأنه شعر بشكل مؤكد، بأن الرجل ليس محلا للثقة. وقد لاذ الرجل بعد مرور شهور قليلة بالفرار[2] فجأة، لأنه كان غارقا فى الديون، وتبين أنه لا يتعدى أن يكون محتالا[3] معتادا. ونجد هنا حالة من الثقة، التى ليس من شأن الكثيرين من الناس المغامرة بها. وقام أحد "الأيرلنديين" المحترمين، بزيارة والدى فى أحد الأيام، مع أنه غريب تماما عنه، وقال إنه فقد كيس نقوده[4] وأنه من المزعج له بشكل شديد، الاضطرار إلى البقاء فى "شروزبرى"، الى أن يصل إليه تحويل مالى[5] من "أيرلندة". وطلب من والدى إقراضه عشرين جنيها، وقد قام والدى على الفور بذلك، لأنه شعر بأنه متأكد من أن القصة حقيقية. وبمجرد انقضاء المدة التى من الممكن خلالها ورود خطاب من "أيرلندة"، جاء خطاب مملوء بالتشكرات الغامرة، ومتضمنًا -حسب قوله- ورقة نقدية من بنك إنجلترا

(١) خارق للطبيعة — Super-natural
(٢) يفر — Bolt
(٣) محتال — Swindler
(٤) كيس النقود — Purse
(٥) تحويل مالى — Remittance

بمبلغ عشرين جنيها، لكن لم يكن هناك أى ورقة مالية داخل المظروف. وسألت والدى إن لم يكن ذلك قد أذهله، ولكنه أجاب: لا على الإطلاق،. وفى اليوم التالى وصل خطاب آخر، متضمنا الكثير من الاعتذارات، لإغفاله (مثل أى "أيرلندى" حقيقى) وضع الورقة المالية، داخل خطاب اليوم السابق. وقام أحد الرجال المحترمين بإحضار ابن أخيه إلى والدى، والذى كان مخبولا، إلا أنه كان رقيقا جدا، وقد دفع خبال الرجل اليافع، إلى اتهام نفسه بجميع الجرائم التى تحت القبة السماوية. وعندما تحدث والدى بعد ذلك مع العم، قال له "أنا متأكد من أن ابن أخيك مذنب حقيقة بـــ .. (وهو جرم شنيع)". وعندها قال العم "يا إلهى الكريم، من أخبرك بذلك يا دكتور داروين، لقد كنا نظن أنه ليس فى استطاعة أحد معرفة هذه الحقيقة عدانا". وعندما أخبرنى والدى بهذه القصة بعد مرور سنوات طويلة، وسألته كيف استطاع أن يميز بين الاتهام الحقيقى، من ضمن باقى الاتهامات الشخصية الزائفة، وكان رد والدى متطابقا جدًا مع خصائصه المميزة، حيث قال إنه لا يستطيع تفسير كيفية حدوث ذلك.

"توضح القصة التالية مدى صحة التخمينات التى كان فى استطاعة والدى القيام بها. فقد كان "اللورد شيلبورن" Lord Shelburne، الذى أصبح فيما بعد "ماركيز لانسداون" Marquis of Lansdowne، مشهورا (طبقا للتعليق الذى أدلى به "ماكولاى" Macaulay فى موضع ما) لمعرفته بالشئون الأوروبية، وهو الأمر الذى كان يزهو به بشكل كبير. وبعد أن استشار والدى فى أمر طبى، بدأ يحاضره(١) حول الأحوال فى "هولندة" Holland. وكان والدى قد درس الطب فى جامعة "ليدن" Leyden، وذهب فى أحد الأيام التى كان فيها هناك، فى مسيرة طويلة فى الريف مع أحد الأصدقاء، الذى اصطحبه إلى منزل أحد رجال الدين (ولنقل إنه المبجل السيد أ. -، وذلك لأننى نسيت اسمه)، الذى كان مقترنا بسيدة إنجليزية. وكان والدى فى غاية الجوع، وكان هناك القليل من الأكل باستثناء الجبن، الذى لم يستطع

---

(١) يحاضر = يخطب Harangue

والدى على الإطلاق تناوله. وقد أصيبت السيدة العجوز بالدهشة، وشعرت بالأسى نتيجة لذلك، وقامت بالتأكيد لوالدى أنه جبن ممتاز، أرسل إليها من "بوود" Bowood، مقر "اللورد شيلبورن"، وتعجب أبى من سبب إرسال الجبن إليها من "بوود"، ولم يدر بخلده شيء عن ذلك، إلى أن لمع الخاطر فى ذهنه بعد مرور سنوات كثيرة، عندما كان "اللورد شيلبورن" يتحدث عن "هولندة". وعند ذلك قال: من شأنى الاعتقاد نتيجة لما شاهدته من أمر "المبجل السيد أ. -"، أنه رجل قدير جدًا، وعلى علم جيد بأحوال 'هولندة". وقد لاحظ والدى أن النبيل[١]، قام على الفور بتغيير موضوع المحادثة، وظهر عليه الانزعاج[٢]. وفى صباح اليوم التالى، تلقى والدى مذكرة من النبيل، قائلا إنه قام بتأجيل البدء فى رحلته، وأنه يرغب بشكل خاص فى رؤية والدى. وعندما ذهب إليه، قال النبيل "دكتور داروين، إنه أمر فى غاية الأهمية لى وللمبجل السيد أ. -، أن نعلم كيف اكتشفت أنه مصدر معلوماتى حول هولندة". وهكذا كان على والدى شرح ملابسات الأمر، وهو يعتقد أن "اللورد شيلبورن" كان مبهوتا بشدة، من مهارته اللبقة فى التخمين، لأنه ظل يتلقى على مدى العديد من السنوات التالية، الكثير من الرسائل اللطيفة الصادرة عنه، من خلال العديد من الأصدقاء. وأعتقد أنه قد أخبر أولاده بهذه القصة، وذلك لأن "السير س. لايل" Sir C. Lyell سألنى منذ عدة سنوات ماضية، عن سبب شعور "الماركيز لانسداون" (وهو الابن أو الحفيد للماركيز الأول) بالاهتمام الشديد تجاهى، رغم عدم رؤيتى أو رؤية عائلتى على الإطلاق. وعند إضافة أربعين عضوا جديدا (والذين كان يطلق عليهم فى ذلك الحين الأربعون لصا) إلى "النادى الأثينى" Athenaeum Club، كان هناك الكثير من التدقيق[٣] للانضمام إليهم، وبدون أن أقوم بالاتصال مع أى شخص، رشحنى "اللورد لانسدون"، وتوصل إلى انتخابى[٤].

---

(١) نبيل (لقب) Earl
(٢) ينزعج = يجفل = يروع Startle
(٣) تدقيق Canvassing
(٤) ينتخب Elect

ولو صحت فرضياتى، فقد كانت تلك أحداثا غريبة[١] ومتسلسلة[٢]، تبدأ من أن والدى لم يستطع أكل الجبن منذ نصف قرن مضى فى هولندة، وقادتها إلى انتخابى كعضو فى النادى الأثينى.

"قادته حدة قوة ملاحظته، إلى التوقع بمهارة ملحوظة، لمسار مرضى، وقام باقتراح تفصيلات صغيرة لا نهاية لها لجلب الارتياح. وقيل لى إن طبيبا يافعا فى "شروزبرى"، يكن الكراهية لوالدى، كان معتادا على التصريح، بأنه لم يكن رجلا علميا بشكل كامل، إلا أن قدرته على التوقع لنهاية أى مرض، كانت لا تجارى. وعندما كان يفكر فيما مضى، بأن من شأنى أن أصبح طبيبًا، كان يتحدث معى كثيرا حول مرضاه. وكانت ممارسة الاستنزاف الدموى للمرضى شائعة بوجه عام، لكن أبى كان مصرًا على أن ذلك يسبب شرا، أكبر بكثير من النفع الذى يعود به، ونصحنى إذا ما أصبت أنا شخصيًا بمرض، ألا أسمح لأى طبيب بأن يأخذ منى إلا كمية بسيطة إلى أقصى حد من الدم. وقبل أن يتم التعرف على مرض التيفود[٣]، على أساس أنه مرض واضح المعالم، أخبرنى والدى بأن نوعين متباينين تماما من الأمراض، يتم خلطهما تحت مسمى الحمى التيفوسية[٤]. وكان معارضا عنيفًا[٥] لشرب الخمر، ومقتنعا بكل من تأثيرات الكحول الشريرة المباشرة والموروثة، عند تعاطيه باعتياد، حتى لو كان ذلك بكمية معتدلة، فى الأغلبية العظمى من الحالات. إلا أنه قام بالاعتراف والتقديم لحالات بعض الأشخاص، الذين استطاعوا شرب الخمر بكميات ضخمة طوال حياتهم، دون المعاناة بشكل واضح، من أى تأثيرات ضارة، وكان يعتقد بأن فى استطاعته فى كثير من الأحيان، التنبؤ بمن لن يعانى بهذا الشكل. ولم يقم شخصيا بشرب قطرة من أى شراب كحولى على الإطلاق. وتذكرنى هذه الملحوظة بحالة توضح، كيف يمكن

---

(١) غريب Queer
(٢) تسلسل Concatenation
(٣) مرض التيفود Typhoid
(٤) الحمى التيفوسية Typhus Fever
(٥) عنيف = متطرف Vehement

لأى شاهد تحت تأثير أكثر الملابسات ملاءمة، أن يكون مخطئًا بشكل تام. حيث دار جدل قوى بين والدى وأحد المزارعين المحترمين، لمنعه من شرب الخمور، وتشجع بأن قال له، إنه شخصيا لم يلمس على الإطلاق أى مشروب روحى. وعندها قال الرجل: "هيا، هيا، يا دكتور، هذا لن يفيد - رغم أنه من الرقيق جدا منك أن تقول ذلك لمصلحتى - ولكننى أعلم أنك تتناول كوبا كبيرا دافئا من "الـــچين" Gin والماء كل ليلة بعد العشاء [12]. وبناء عليه سأله والدى، عن كيفية علمه بذلك. فأجاب الرجل: " كانت طاهيتى خادمة المطبخ لديك لمدة عامين أو ثلاثة أعوام، وقد شاهدت كبير الخدم وهو يقوم كل يوم بإعداد الـــچين والماء لك". وكان تفسير ذلك، أن والدى كانت لديه عادة قديمة بشرب ماء دافئ فى كوب طويل وكبير جدا بعد عشائه، وكان كبير الخدم معتادًا على وضع بعض الماء البارد أولاً فى الكوب، الذى ظنت الفتاة بشكل خاطئ أنه چين، ثم يقوم بعد ذلك بملء الكوب بالماء المغلى، من غلاية(١) المطبخ.

"كان والدى معتادًا على التصريح لى بالكثير من الأشياء الصغيرة، التى وجدها مفيدة فى ممارسته الطبية. ومنها قيام السيدات فى كثير من الأحيان بالبكاء، أثناء التصريح له بمشاكلهن، ويتسببن بهذا الشكل فى فقدان الكثير من وقته الثمين. وسريعا ما وجد أن رجاءه بالضبط والكبح لأنفسهن، دائمًا ما يجعلهن يمعن فى البكاء، ولذلك كان يقوم فيما بعد دائما، بتشجيعهن على الاستمرار فى البكاء، قائلا إن من شأن ذلك التفريج عنهن، أكثر من أى شىء آخر، ومع النتيجة الثابتة بأنهن سريعا ما يتوقفن عن البكاء، ويصبح فى استطاعته سماع ما يردن قوله، وإعطاؤهن نصيحته. وعندما كان المرضى المعتلون بشكل شديد جدا، يرغبون بشدة(٢) فى تناول طعام غريب أو غير طبيعى، كان والدى يسألهم، عمن قام بوضع تلك الفكرة فى رءوسهم، وعندما كانوا يجيبون بأنهم لا يعرفون كان من شأنه السماح لهم بتجربة الطعام، وكثيرا ما كان ذلك يتم بنجاح، على أساس أنه كان

---

(١) غلاية Boiler

(٢) يرغب بشدة = يشتاق Crave

واثقا من أن لديهم نوعا من الرغبة الغريزية، لكن إذا أجابوا بأنهم سمعوا أن الطعام المذكور قام بمفعول جيد مع شخص آخر، فإنه كان يرفض الموافقة على ذلك بشكل صارم.

" قام في أحد الأيام بتقديم عينة صغيرة غريبة من الطبيعة البشرية. فعندما كان رجلا يافعا جدا، تم استدعاؤه للتشاور مع طبيب العائلة، في حالة خاصة برجل محترم ذى مكانة عالية في "شروپشير" Shropshire. وكان الطبيب العجوز قد أخبر الزوجة، أن العلة ذات طبيعة من شأنها أن تنتهي بالوفاة. واتخذ والدى وجهة نظر مختلفة، وأصر أن من شأن الرجل أن يشفى من مرضه: وقد ثبت أنه كان مخطئا تماما في جميع الاعتبارات (وأعتقد أن ذلك تم عند تشريح الجثة(١)) وكان عليه تحمّل خطئه. وأصبح عندئذ مقتنعا بأنه لن يتم بعد ذلك استشارته عن طريق هذه العائلة، ولكن بعد مرور أشهر قليلة، أرسلت الأرملة في طلبه، بعد أن قامت بالاستغناء عن طبيب العائلة العجوز. وبوغت والدى بشكل كبير من هذا، إلى درجة أنه سأل أحد أصدقاء الأرملة، لكى يعرف سبب العودة إلى استشارته. وأجابت الأرملة هذا الصديق: "بأنها لن تعود إلى رؤية هذا الطبيب العجوز الكريه، الذى قال منذ البداية إن من شأن زوجها أن يموت، بينما كان الدكتور داروين يصر دائما، أن من شأنه أن يشفى!". وفي حالة أخرى قال والدى لسيدة، إن من شأن زوجها أن يتوفى بشكل مؤكد. وبعد مرور بضعة أشهر شاهد الأرملة، التي كانت امرأة متعقلة(٢) جدًا، وقالت له: "أنت رجل صغير السن جدًا، وأرجو أن تسمح لى بأن أنصحك بالقيام دائما بإعطاء الأمل لأطول مدة ممكنة، لأى قريب حميم، يتولى العناية بأى مريض. لقد جعلتنى أشعر بالقنوط(٣)، وفقدت قوتى منذ تلك اللحظة ".

وقال والدى إنه شاهد في كثير من الأحيان، الأهمية العظمى للاحتفاظ بالأمل

---

(١) تشريح الجثة Autopsy
(٢) متعقل Sens-ible
(٣) قنوط Despair

لصالح المريض ولقوة من يقوم بتمريضه. وقد وجد من الصعب فى بعض الأحيان، تماشي ذلك مع الحقيقة. إلا أن رجلا محترما متقدما فى العمر، لم يسبب له مثل هذا الارتباك. فقد تم استدعاؤه بواسطة "السيد ب. -" الذى قال "نتيجة لكل ما شاهدته وسمعته عنك، أعتقد أنك نوع من الرجال، الذى من شأنه أن يتكلم بصدق، ولو قمت بسؤالك، فسوف تخبرنى عن الوقت المتوقع لوفاتى. وأنا أرغب حاليا بشدة فى أن تقوم بالعناية بى، إذا كان لك أن تعدنى، مهما قلت لك، بأن تقوم بشكل دائم بالتصريح لى، بأننى لن أموت". وقد أذعن[1] والدى بناء على التفاهم الضمنى، بأن كلماته لن يكون لها فى الحقيقة أى معنى.

"كان والدى يتمتع بذاكرة تفوق المعتاد، وخاصة بالنسبة للتواريخ، وبهذا الشكل كان يعرف يوم الولادة، والزواج، والوفاة الخاصين بعدد كبير من الأشخاص الموجودين فى "شروزبرى"، وقد أخبرنى فى إحدى المرات، بأن هذه القدرة قد أزعجته، لأنه إذا سمع تاريخا فى أى وقت، لا يستطيع نسيانه، وبهذا الشكل كان كثيرا ما يتم استرجاع وفاة العديد من الأصدقاء إلى ذهنه. وكان على علم- بناء على ذاكرته القوية- بعدد خارج عن المعتاد من القصص الغريبة، التى كان يحب سردها، لأنه كان من كبار المتحدثين. وكان بشكل عام، ذا روح معنوية مرتفعة، ويقوم بالضحك والدعابة مع كل شخص وفى كثير من الأحيان مع القائمين بخدمته بأقصى درجة من الحرية، إلا أنه كان يتمتع بمهارة جعل كل شخص يطيعه حرفيا. وكان الكثير من الأشخاص يهابونه. وأتذكر والدى وهو يقول لنا بابتسامة فى أحد الأيام، قيام العديد من الأشخاص بسؤاله عما إذا كانت "الآنسة وهى سيدة متقدمة جدا فى العمر موجودة فى "شروزبرى"-، قد ترددت عليه، إلى درجة أنه قام فى آخر الأمر، بالاستفسار عن سبب سؤالهم إياه، وعند ذلك قيل له إن "الآنسة -"، التى أغضبها والدى إلى حد بعيد، كانت تقول لكل شخص، بأنها سوف تزوره، وتخبر "هذا الطبيب البدين العجوز بوضوح تام، برأيها فيه". وقد قامت بزيارته بالفعل، لكن شجاعتها خانتها، ولم يكن فى استطاعة أحد أن يكون مهذبا وودودا،

---

(١) يذعن Acquiesce

بشكل أكبر مما قامت به. وذهبت عندما كنت صبيا، للإقامة فى منزل "-"، وكانت زوجته مخبولة، وبمجرد مشاهدتى، دخلت المسكينة فى أقصى حالة من الذعر رأيتها فى حياتى، وكانت تبكى بشكل مرير، وتسألنى مرارا وتكرارا"، هل سيأتى والدك ؟" لكن سريعًا ما تم تسكين روعها. وعند عودتى إلى منزلى، سألت والدى عن سبب خوفها إلى هذه الدرجة، فأجاب بأنه سعيد جدا لسماع ذلك، لأنه قام بإخافتها عامدا، شاعرا بشكل مؤكد، بأن من شأنها أن يتم الحفاظ عليها بشكل آمن وأكثر سعادة، بدون أى تقييد، إذا كان فى استطاعة زوجها أن يقوم بالتأثير عليها، فى أى وقت تصبح فيه شديدة الانفعال والتهيج، عن طريق اقتراح القيام باستدعاء "الدكتور داروين"، وقد نجحت تلك الكلمات بشكل كامل معها، طوال البقية الباقية من عمرها.

"كان والدى حساسا جدا، إلى درجة أن الكثير من الأحداث الصغيرة، كانت تضايقه أو تؤلمه بشكل كبير. ولقد قمت بسؤاله فى إحدى المرات، عندما تقدم فى العمر ولم يكن يستطيع المشى، لماذا لا يقوم بالخروج بالعربة للتريض، فأجابنى "كل طريق موجود فى "شروزبرى" مرتبط فى ذهنى، بحدث مؤلم ما". إلا أنه كان يتمتع بشكل عام بروح معنوية مرتفعة. وكان من السهل جدا إغضابه بشكل شديد، لكن سماحته كانت بلا حدود. وكان محبوبا على نطاق واسع، وبشكل عميق.

"كان والدى حريصا ورجل أعمال جيدًا، وبهذا الشكل، نادرا ما فقد أية أموال عن طريق أى استثمار، وترك لأطفاله ممتلكات ضخمة جدا. وأتذكر قصة توضح كيف يكون من السهل للمعتقدات الزائفة تماما، أن تنشأ وتنتشر. فقد قام "السيد إ. -"، -وهو شخص محترم تابع لواحدة من أقدم العائلات الموجودة فى " شرو يشير"، والشريك الرئيسي فى أحد المصارف(١)،- بالانتحار. وتم استدعاء والدى كإجراء شكلى، ووجده متوفيا. ومن الممكن لى أن أذكر فى سياق الموضوع، لتوضيح كيف كان يتم التصرف فى الأمور فى تلك الأيام الخوالى، أنه نتيجة لأن "السيد إ. -" كان رجلا عظيما بالفعل، ومحترما بشكل عام، لم يتم القيام

---

(١) مصرف = بنك Bank

بأى تحقيق[١] حول جثمانه. وظن والدى أثناء عودته إلى المنزل، أن من الواجب عليه المرور على المصرف (الذى كان له حساب فيه)، لكى يبلغ الشركاء فى إدارته بالحدث، ولم يكن من البعيد عن الاحتمال، أن يكون من شأن ذلك أن يتسبب، فى تسارع الناس على المصرف. وانتشرت القصة بالفعل بشكل بعيد وواسع، بأن والدى ذهب إلى المصرف، وقام بسحب جميع أمواله، ثم غادره، وعاد إليه مرة أخرى، وقال "يعن لى أن أخبركم، بأن "السيد إ. -"قام بقتل نفسه"، ثم انصرف. ويبدو أنه كان من المعتقدات الشائعة، أن النقود التى يتم سحبها من أى مصرف، لا تكون فى أمان، إلى أن يمر الشخص خارجا من باب المصرف. ولم يسمع أبى هذه القصة، إلا بعد مرور بعض الوقت، عندما صرح الشريك القائم بالإدارة، بأنه قد تخلى عن قاعدته المستديمة، التى لا تسمح على الإطلاق لأى شخص، بالاطلاع على حساب إنسان آخر، بقيامه بعرض السجل[٢] الخاص بحساب والدى، على العديد من الأشخاص، على أساس أن ذلك يثبت، أن والدى لم يقم بسحب بنس واحد فى ذلك اليوم. فقد كان من المشين لوالدى، أن يكون قد قام باستخدام معلوماته المهنية، من أجل الحصول على ميزة شخصية. وبالرغم من ذلك، نال هذا التصرف المزعوم الإعجاب، من قبل بعض الأشخاص، وبعد مرور عدة سنوات، علق أحد الرجال المحترمين قائلا: "آه، يا طبيب، إنك رجل أعمال رائع، لقد كنت غاية فى البراعة، فى إخراج أموالك سالمة من ذلك المصرف".

"لم يكن ذهن والدى علميا، ولم يحاول القيام بتعميم معلوماته تحت قوانين عامة، إلا أنه قام بتأليف نظرية لكل شيء يحدث تقريبًا. ولا أعتقد أننى اكتسبت الكثير من طريقته فى التفكير، لكن من الواجب أن تكون أمثولته ذات قيمة أخلاقية عالية لجميع أبنائه. وقد كانت واحدة من قواعده الذهبية (وهى صعبة الاتباع)، "لا تتصادق على الإطلاق مع أى شخص، لا تستطيع أن تحترمه".

---

(١) تحقيق — Inquest

(٢) سجل — Ledger

رزق "الدكتور داروين" بستة أطفال [13]: "ماريان" Marianne، التى تزوجت "الدكتور هنرى باركر" Dr. Henry Parker، و"كارولين" Caroline، التى تزوجت "جوسيا ويدجوود" Josiah Wedgwood، و"إراسموس ألـــفـــى" Erasmus Alvey، و"سوزان" Susan، التى توفيت بدون زواج، و"تشارلس داروين"، و"كاثرين" Catherine، التى تزوجت "المبجل تشارلس لانجتون" Rev. Charles Langton.

ولد الابن الأكبر "إراسموس"، فى عام ١٨٠٤، وتوفى بدون زواج عن عمر سبعة وسبعين عاما.

وقد تلقى التعليم، مثل أخيه فى مدرسة "شروزبرى"، وفى "كلية المسيح" بـــ"كامبريدج". ثم درس الطب فى "إدنبرة" وفى "لندن"، وحاز على شهادة الطب من "كامبريدج". ولم يقدم على أى خطوة، تجاه التظاهر بالعمل كطبيب، وعاش بعد تركه "كامبريدج" حياة هادئة فى "لندن".

كان هناك شىء مؤسف فى شعور "تشارلس داروين" بالمودة تجاه أخيه "إراسموس"، وكأنه كان يتذكر دائما حياة الوحدة، والصبر المحرك للعواطف، واللطف، الخاصين بطبيعته. وكان كثيرا ما يتحدث عنه على أساس "العجوز المسكين راس" Ras"، أو "العجوز العزيز المسكين فيلوس "Philos" - وأظن أن لقب "فيلوس" (الفيلسوف) قد كان تذكارا(١)، من الأيام التى عملوا فيها بالكيمياء، فى بيت الأدوات الموجود فى "شروزبرى" - وهو زمن كان يحتفظ دائمًا بذكرى سارة له. وكان "إراسموس" فى الواقع، أكبر من "تشارلس داروين" بأكثر من أربع سنوات، ولذلك لم يظلا معا لمدة طويلة فى "كامبريدج"، ولكنهما عاشا معا فى وقت سابق فى "إدنبرة"، فى نفس الغرف المستأجرة(٢)، ثم عاشا بعد رحلة البيجل، مع بعضهما

---

(١) تذكار = أثر Relic

(٢) غرف مستأجرة Lodgings

لفترة من الزمن، فى منزل "إراسموس" الواقع فى شارع "جريت مارلبورو" Great Marlborough Street. وكان كثيرًا ما يتحدث بمودة شديدة عن "إراسموس" فى ذلك الوقت أيضا، فى خطاباته إلى "فوكس" Fox، مستخدما كلمات مثل "أخى العجوز العزيز الفاضل". وكان "إراسموس" يأتى فى السنوات الأخيرة إلى "داون" أحيانا، أو كان يشارك عائلة أخيه فى إجازة صيفية. ولكنه وصل بالتدريج لعدم استطاعته، من خلال اعتلال صحته، العزم على مغادرة "لندن"، وكانا يقومان فى ذلك الوقت برؤية أحدهما الآخر، عند ذهاب "تشارلس داروين" لمدة أسبوع فى أى مرة، إلى منزل أخيه الموجود فى شارع الملكة آن" Queen Anne Street.

تمت كتابة الحاشية التالية عن طابع أخيه، بواسطة "تشارلس داروين"، حوالى نفس الوقت، الذى تمت فيه إضافة المسودة التى كتبها عن والده، فى "الذكريات".



لوحة (٨)

إراسموس داروين الصغير

(الأخ الأكبر)

كان أخى "إراسموس" حائزا على ذهن صاف بشكل ملحوظ، بالإضافة إلى تذوقات ومعرفة شاملة ومتنوعة فى الأدب[١]، والفن، وحتى فى العلم. وقام لوقت قصير، بجمع وتجفيف النباتات، وقام على مدى وقت أطول بعض الشىء، بالتجارب الكيميائية. وقد كان مقبولا إلى أقصى حد، وكانت فطنته كثيرا ما تذكرنى بذلك الموجود فى خطابات وأعمال "تشارلس لامب" Charles Lamb. وكان غاية فى رقة القلب. وقد كانت صحته منذ صباه ضعيفة، ونتيجة لذلك، كان قليل النشاط. ولم تكن معنوياته مرتفعة، وكانت منخفضة فى بعض الأحيان، وبشكل أكثر خصوصية، فى غضون أدوار الرجولة المبكرة، والمتوسطة. وكان كثير القراءة، حتى عندما كان صبيا، وقام بتشجيعى على القراءة، أثناء ترددى على المدرسة، وكان يعيرنى بعض الكتب. إلا أن أذهاننا وأذواقنا كانت غاية فى الاختلاف، إلى درجة اعتقادى، أننى لست مدينا له بالكثير من الناحية الفكرية. وكنت أميل إلى الموافقة مع "فرانسيس جالتون" Francis Galton، فى الإيمان بأن التعليم والظروف المحيطة، لا تنتج إلا تأثيرًا ضئيلا، على ذهن أى شخص، وأن معظم خلالنا، فى الواقع فطرية[٢].

رغم أن اسم "إراسموس داروين"، غير معروف لعامة الشعب، لكن من الممكن تذكره، من خلال التصور الذى تم رسمه لطابعه، الموجود فى كتاب "استرجاعات" Reminiscences لـ "كارليل" Carlyle، الذى أعيد ذكره هنا بشكل جزئى:

"جاء "إراسموس داروين"– وهو نوعية مختلفة إلى أقصى حد من البشر[٣]– للبحث عنا حديثا جدا (كان قد سمع عن وجود "كارليل" فى ألمانيا، إلى آخره) واستمر منذ ذلك الوقت، صديقا منزليا هادئا، ومرتبطا بنا بإخلاص، برغم أن

---

(١) الأدب Literature

(٢) فطرى = متأصل = أرومى Innate

(٣) بشر = قابلين للموت والهلاك والفناء Mortals

زياراته أصبحت فيما بعد، أكثر فأكثر ندرة، نتيجة لاعتلال الصحة، وزيادة المشغوليات.. إلى آخره. وكان يتمتع بشيء من النبوغ الأصيل، وبشكل ساخر، وهو واحد من أكثر الرجال إخلاصا، وصدقا طبيعيا، وأكثرهم تواضعا. وهو الأخ الأكبر لـ"تشارلس داروين" (داروين المشهور "بالأنواع الحية" فى تلك الأيام) الذى أشعر بالتفضيل له لبصيرته، لو لم تحكم عليه صحته، بالصمت والتثاقل الصبور فى الحركة. وقد كان لهذا الداروين الأمين حظوة خاصة، لدى زوجتى العزيزة، وكثيرا ما كان يصطحبها فى عربته، خلال الكثير من الطرق، إلى المتاجر وما شابه ذلك، فى تلك الأيام المبكرة، التى كانت فيها تكلفة المواصلات العامة، تمثل عبئا ماليا له اعتباره، وكان تفوهه النادر بالكلام، الذى كثيرا ما كان ساخرا، مثيرا للتسلية الكبيرة بالنسبة لها. "رجل محترم بشكل تام"، هذا ما رأته فيه على الفور، إنه ذو حكم صائب، وحنان غير متكلف إلى أقصى حد [14].

لم يكن "تشارلس داروين" شديد الإعجاب بتصوير أخيه بهذا الشكل، وكان يظن أن "كارليل" فاته الجوهر الموجود فى طبيعته المحبة إلى أقصى حد.

تدفعنى الرغبة إلى الزيادة فى توضيح طابع الشخص المحبوب لدرجة كبيرة من جميع أطفال "تشارلس داروين"، إلى الاستخراج لخطاب محرر إلى مجلة "المشاهد" Spectator (فى ٣ سبتمبر، ١٨٨١)، من ابنه خاله "الآنسة جوليا ويدجوود" Miss Julia Wedgwood:-

"تقوم بالتأكيد إحدى الصور الشخصية المأخوذة من ملف "السيد كارليل"، التى لا ينكرها أى شخص شعر بالحب للأصل، بالحث على تقديم البعض القليل من الكلمات كملاحظات، عندما يكون الطابع الذى تقوم بتصويره، منقوصا من الجهة الإنسانية. فقد ترك "إراسموس"، الأخ الوحيد لـ"تشارلس داروين"، والصديق القديم المخلص والمحب لكل من "كارليل" وزوجته، دائرة من الحزانى، غير المحتاجين

لأى مساعدة، من قلم مشهور للقيام بتحنيط[١] الذكرى العزيزة بهذا الشكل إلى قلوبهم، ولكن لابد أن دائرة أوسع قد شعرت ببعض الاهتمام، الذى أثاره هذا الثناء، ومن الممكن أن تتلقى باهتمام مؤكد، التسجيل لانطباع فريد ولا يمحى، حتى لو كان ذلك مقصورا على القلوب التى لا تستطيع القيام بمنحه، ومع هؤلاء الذين لابد، بناء على ذلك، أن يموت لديهم هذا الانطباع بشكل سريع. إلا أنهم يتذكرونه بنفس الوضوح، كما يتذكرون أى ابتداع عبقرى، وقد قام بنفس الطريقة بالإثراء والتجميل للحياة، وشكل نقطة التقاء مشتركة، لهؤلاء الذين ليس لديهم أى نقطة التقاء أخرى، وقام بعطر شخصيته[٢]، القوى بفرض هذا الاحترام، لخصوصيات[٣] الطابع البشرى، التى بدونها يكون القرار الأخلاقى[٤] دائما، قرارا صعبا وضحلا، وفى كثير من الأحيان غير عادل. وقد كان "كارليل" الشخص الذى وجد متعة فريدة، فى الجمع بين الحيوية[٥] والاستكانة[٦]، التى منحت لمجتمع صديقه، تأثيرا منبها ومريحا، وعدم إعلان الدفء النابع من تقديره لاول مرة، فى حفل تأبينه، وما زالت خطاباته التى تنم عن القلق، التى كتبها منذ ما يقرب من الثلاثين عاما، عندما تم تهديد حياته الواهنة، التى امتدت إلى الشيخوخة، عن طريق مرض خطير، يافعة فى ذاكرتى. وقد كانت الصداقة دافئة بشكل متساو، مع كل من الزوج والزوجة. وأتذكر جيدا احتجاجًا[٧] صغيرا محزنا لها، أثير[٨] عن طريق إقرار[٩] صادر عن "إراسموس داروين"، بأنه يفضل القطط على الكلاب، وشعرت بأنه قذف فى حق[١]

---

(١) يحنط Embalm

(٢) الفردية = شخصية Individuality

(٣) خصوصية Idiosyncracy

(٤) قرار أخلاقى * Moral Judgement

(٥) حيوية Liveliness

(٦) استكانة Repose

(٧) احتجاج Remonstrance

(٨) يستثير=يبحث Elicit

(٩) إقرار Avowal

حق[١] كلبها الصغير "نيرو" Nero، وكانت نبرات الصوت التى قالت بها. "ياه، ولكنك مغرم بالكلاب! فأنت رقيق جدا لدرجة تمنعك من ألا تكون كذلك"، تتحدث عن مجاز[٢] طويل من الرقة اللطيفة، التى تظل فى الذاكرة، فى صورة تقدير رقيق. وقد كان حميم الصلة أيضا بشخصية، لم يكن دائما لدى أصدقائها- مثل أصدقاء "السيد كارليل"- من الأسباب ما يجعلهم يهنئون أنفسهم على تواجدهم فى معيتها، وهى "هاربيت مارتينيو" Harriet Martineau. ولقد سمعته لأكثر من مرة وهو يدعوها: صديقتى المخلصة، وبدا لى دائما، أن ذلك يمثل إتاوة غريبة، يقوم وحده بتقديمها، فى سبيل تلك الصداقة .. وأعتقد بالنسبة لى، أن مجتمع "إراسموس داروين"، كان يتمتع بنفس جاذبية كتابات "تشارلس لامب"، فقد كان هناك نفس النوعية من اللهو، ونفس الخفة فى تحريك المشاعر، ونفس الرقة، وربما نفس القيود. وعلى جانب آخر من طبيعته، فإننى كثيرا ما أتذكره، عن طريق حس الدعابة الطريف والرقيق، والتعصب[٣] السطحى، والانبثاقات العميقة من الرحمة[٤]، والمزيج الفريد من شىء محزن، مع نوع من الازدراء[٥] المرح، البعيد تماما عن الاحتقار[٦]، الذى يميز محاورات[٧] "السير آرثر هيلبس" Sir Arthur Helps المبكرة، فى "إليسمير" Ellesmere .. ومن المحتمل أننا نستطيع تذكر هذه الطباع بشكل واضح إلى أقصى حد، عندما تكون الذكرى هى الشىء الوحيد الباقى من الأشخاص. فالطابع ليس مندمجًا فى الابتداع، ويبدو أن ما نفقده من القدرة على توصيل انطباعنا، نجنيه من حيويته. لقد توفى "إراسموس داروين" فى سن متأخر، إلا أن ذاكرته مازالت تحتفظ بشىء من الأريج الغض. وقد قام تأثيره بمنح الكثير

---

(١) قذف فى حق — Slur
(٢) مجاز (الذى يرى المشهد من خلاله) — Vista
(٣) تعصب = عدم التقبل — Intolerance
(٤) رحمة = شفقة — Pitty
(٥) ازدراء — Scorn
(٦) احتقار — Contempt
(٧) محاورة = محادثة ثنائية — Dialogue

من السعادة، من النوعية المرتبطة عادة مع الشباب، إلى الكثير من الناس، بالإضافة إلى المشهورين منهم، الذين تكفى سجلاتهم، لتحقيق الرغبة فى وضع هذا الإكليل[١] الذاوى[٢] على قبره".

تقوم الصفحات السابقة، بالتقديم بطريقة متقطعة، لكل ما هناك حاجة إلى سرده بقدر المستطاع، عن العائلة التى جاء منها "تشارلس داروين"، ومن الممكن أن تفيد كمقدمة للباب القادم، الخاص بسرده الذاتى لقصة حياته.

---

(١) إكليل Chaplet

(٢) ذاوى Fading

الهوامش

١- نحن مدينون فى معرفتنا بهؤلاء المبكرين للعائلة، إلى البحث فى غضون الوصايا = Wills، الموجودة فى "لينكولن"lincoln، الذى قام به الخبير فى علم الأنساب = Genealogist المشهور "الكولونيل تشستر" Colonel Chester.

٢- كان "الكابتن لاسيلز" Captain Lassells, or Lascelles من "إليستون" الأمين العسكرى = Military Secretary الخاص بـ "مونك" Monk، "دوق ألبيمارل" Duke of Albemarle، فى غضون الحرب الأهلية. وهناك كمية ضخمة من التقارير، الموقعة فى العديد من المواقع بواسطة "مونك"، موجودة حاليا فى حوزة ابن عمى "فرانسيس داروين". ومن الممكن أن تكون تلك التقارير مشوقة، لهواة جمع الأشياء العتيقة أو المؤرخين. وهناك صورة شخصية مرسومة = Portrait خاصة "بالكابتن لاسيلز" مرتديا دروعه، التى رغم استخدامها فى وقت من الأوقات، كهدف لتسديد السهام، عن طريق بعض الصبية الصغار الحاملين لاسمنا، لم تتلف إلى حد عدم إمكانية استعاضتها.

٣- تم اقتباس ما يتلو ذلك، عن سرد "تشارلس داروين" لقصة حياة جده، الذى قام بالتشكيل للملحوظة الابتدائية، لمقالة "إيرنست كراوس" Ernst Krause المشوقة، عن "إراسموس داروين"، لندن، عام ١٨٧٩، صفحة ٤.

٤- انظر "Life of Erasmus Darwin"، صفحة ٦٨.

٥- انظر نفس المرجع، صفحتى ٧٧، ٧٩ وغيرهما.

٦- انظر نفس المرجع، صفحة ٨٠.

٧- أنا مدين بهذه المعلومات إلى لطف "الأستاذ راونهوف" Prof. Rouwenhoff مدير السجلات بجامعة "ليدن". الذى اقتبس من سجل الأطباء، أن "روبرت وارينج داروين، الأنجلو بريطانى" Anglo-britannus، قدم فى المجلس الأعلى للجامعة = Senate (فى ٢٦ فبراير ١٧٨٥) رسالة = Dessertation حول الصور الملونة التى تتم رؤيتها، بعد التطلع إلى أحد المصادر ساطعة الإنارة، و" Medicinae Doctor Creatus est a Clar. Paradijs". والسجلات الخاصة بجامعة "ليدن" مكتملة، إلى درجة أن "الأستاذ راوينهوف" كان قادرا على إخبارى، بأن جدى أقام مع شخص يدعى "پتروس كرمــپتون، الإنجليزى" Petrus Crompton, Anglus، فى غرف مفروشة مستأجرة lodgings، موجودة فى "أبوثيكرسديجك" Apothekersdijk. وقد تم نشر رسالة "الدكتور داروين" المقدمة فى "ليدن"، فى Philosophical Transactions، وكان أبى معتادا القول بأن العمل يرجع فى الحقيقة إلى "إراسموس داروين". - [F.D.].

٨- انظر Life of Erasmus Darwin، صفحة ٨٥.

٩- التصريح بأن "الدكتور ر.و.داروين" لم يتسلم أى مساعدة مالية من والده تزيد عن العشرين جنيها، ومثل هذا المبلغ من عمه، ليس صحيحا. حيث يبدو من الأوراق الموجودة فى حوزة "السيد ريــچينالد داروين" Reginald Darwin، أنه حصل على ١٠٠٠ جنيه عند تصفية تركة والدته، و ٤٠٠ جنيه من عمته "سوزانه داروين" Susannah Darwin.

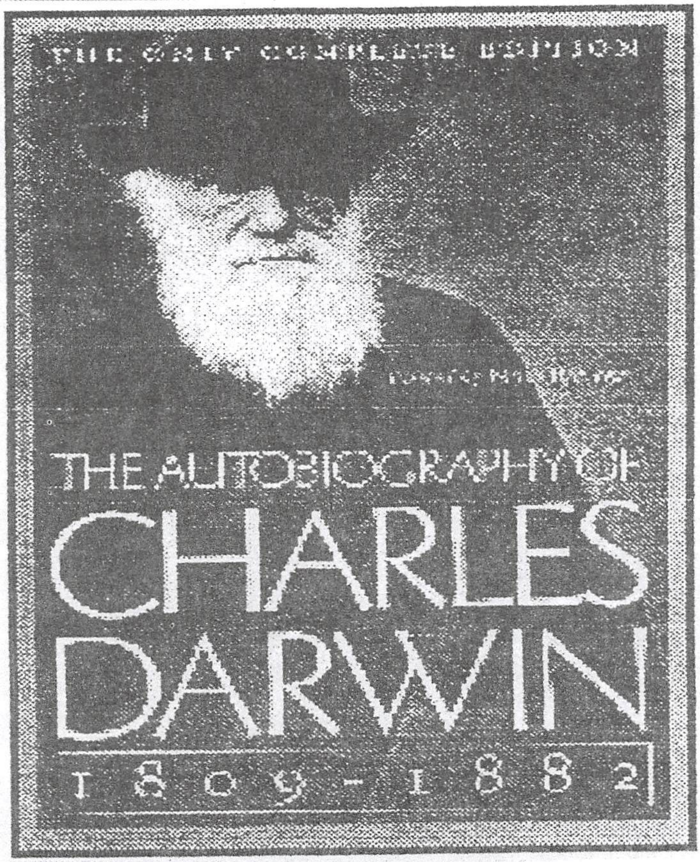
١٠- انظر "A Group of Englishmen" بواسطة "الآنسة ميتيارد" Miss Meteyard عام ١٨٧١.

١١- انظر "A Group of Englishmen"، صفحة ٢٦٣.

١٢- مازال هذا الاعتقاد باقيا، وقد تم ذكره لأخى فى عام ١٨٨٤، عن طريق أحد القاطنين القدامى فى "شروزبرى".- [F.D.].

١٣- من بين هؤلاء، فإن "السيدة ويدجوود" Mrs. Wedgwood، هى الوحيدة التى مازالت على قيد الحياة حاليا.

١٤- انظر كتاب "كارليل" Carlyle بعنوان "استرجاعات" Reminiscences، الجزء الثانى، صفحة ٢٠٨.



لوحة (٩)
كتاب "السرد الذاتى لحياة تشارلس داروين"

الجــزء الثانى

سرد داروين الذاتى لحياته

مقدمة فرانسيس داروين — مرحلة الطفولة – إدنبرة – الرماية – كامبريدج- علم طبقات الأرض – رحلة البيجل – لندن – المنشورات – هدابيات الأقدام -أصل الأنواع – باقى المنشورات – أسلوب الكتابة – الخواص الذهنية.

مقـــدمــــــة:

قام والدى بتدوين الاستجماعات(١) المتعلقة بقصة حياته، التى يتم تقديمها فى هذا الجزء من أجل أولاده – وقد تمت كتابتها دون تفكير فيما سوف يكون من شأنها أن تنشر. وقد يبدو للكثيرين أن ذاك شىء مستحيلٌ، لكن سوف يستوعب الذين كانوا على صلة بوالدى، أن هذا لا يقتصر على كونه ممكنا، لكنه الشىء الطبيعى.

تحمل هذه القصة الحياتية الذاتية عنوان: "استجماعات خاصة بتطور ذهنى(٢) وشخصيتى(٣)" وتنتهى بالملحوظة التالية "٣ أغسطس، ١٨٧٦. بدأت هذه المسودة الخاصة بحياتى يوم ٢٨ مايو تقريبا فى "هو بيدين Hopedene"" [1]، وداومت منذ ذلك الحين،على الكتابة لما يقرب من الساعة، من أصيل معظم الأيام". وسوف يكون من السهل استيعاب، أن قصة(٤) ذات نوعية شخصية وحميمية، تمت

---

(١) استجماعات Recollections

(٢) ذهنى Mind

(٣) شخصية = طابع Character

(٤) قصة = حكاية Narrative

كتابتها من أجل زوجته وأطفاله، لابد أن تحتوى على مقاطع، لابد من استبعادها فى السياق الحالى، ولم أعتقد أنه من الضرورى تحديد مواقع تلك الاستبعادات. وقد وجدت من الضرورى القيام بقليل من التصويبات للهفوات اللفظية الواضحة، لكن تم حصر تلك التعديلات، فى أضيق حيز ممكن.



لوحة (١٠)
"تشارلس داروين" (٧سنوات) عام ١٨١٦
مع أخته "كاثرين"

مرحلة الطفولة

عندما راسلنى أحد الناشرين الألمان، طالبا منى وصفا توضيحيا، عن تطور ذهنى وشخصيتى، مع مسودة عن قصة حياتى الذاتية، رأيت أن المحاولة، من شأنها أن تكون شيئًا مثيرًا للتسلية بالنسبة لى، ومن الممكن أن تكون مثار اهتمام لأطفالى ولأطفالهم. وأعلم كم كان من الممكن إثارة اهتمامى إذا ما كان قد أتيح لى أن أقوم بقراءة، حتى ولو مسودة سريعة ومملة، تتعلق بذهن جدى، قام هو نفسه بكتابتها، وكانت تحتوى على ما كان يدور فى ذهنه، وما الذى قام به، وكيف كان يمارس أعماله. ولقد قمت بمحاولة كتابة التقرير التالى عن نفسى، كما لو كنت رجلا متوفيًا، موجودًا فى عالم آخر، وأتطلع إلى الخلف على حياتى. ولم أجد صعوبة فى ذلك، حيث انتهى مدى العمر تقريبًا بالنسبة إلىّ. ولم أحمل نفسى أى جهود كبيرة، تجاه أسلوب الكتابة.

ولدت فى "شروز برى" Shrewsbury، فى ١٢ فبراير عام ١٨٠٩، ولا تعود أكثر استرجاعاتى تبكيرا، إلا إلى الوقت الذى جاوزت فيه عامى الرابع بشهور قليلة، عندما ذهبنا إلى مكان قريب من "أبيرچيل" Abergele للاستحمام فى البحر، وأستطيع أن أتذكر بعضا من الأحداث والأماكن هناك، بشىء قليل من الوضوح.

توفيت والدتى فى يوليو، عام ١٨١٧، عندما جاوز عمرى ثمانى السنوات بقليل، ومن الغريب أنه من الصعب على تذكر أى شىء يتعلق بها، عدا سرير وفاتها، وعباءتها المنزلية المخملية السوداء، وطاولة عملها المشيدة بشكل غريب. وأرسلت فى ربيع نفس العام إلى مدرسة نهارية (خارجية) فى "شروز برى"، وظللت فيها لمدة عام. ولقد تم إخبارى، بأننى أكثر بطئًا بكثير فى التعليم، عن أختى الأصغر منى "كاثرين" Catherine، وأعتقد أننى كنت -بطرق كثيرة- صبيا غير مطيع.

ظهر وقت ذهابى إلى هذه المدرسة النهارية،[2]، تذوقى للتاريخ الطبيعى(١)، وبشكل أكثر خصوصية، إلى القيام يجمع العينات، بشكل واضح. وحاولت اكتشاف أسماء النباتات [3] وقمت بجمع جميع الأصناف من الأشياء، والأصداف(٢)، والأختام(٣)، والدمغات(٤)، والعملات النقدية(٥)، والمعادن(٦). وكانت شهوة الجمع، التى تقود أى إنسان، إلى أن يصبح عالمًا تصنيفيًا(٧) فى التاريخ الطبيعى، أو باحثا مدققا(٨)، أو بخيلاً(٩)، شديدة القوة بداخلى، ومن الواضح أنها كانت متأصلة بشكل فطرى، لأن جميع إخوتى وأخواتى، لم يكن لديهم هذا التذوق على الإطلاق.

قامت حادثة واحدة صغيرة، حدثت فى غضون تلك السنة، بتثبت نفسها بشكل وطيد جدًا فى ذهنى، وأنا سعيد بأنها قامت بذلك، لأن ضميرى أصبح مضطربا بها بشكل مؤلم فيما بعد! وهى حادثة مثيرة للدهشة، على أساس أنها تبين، أنه يبدو أننى كنت مهتما فى هذا العمر المبكر، بالقابلية للتغيير(١٠) فى النباتات! فلقد أخبرت صبيا آخر (أعتقد أنه "ليتون" Leighton، الذى أصبح العالم المشهور فى علم الحشائش البحرية(١١) وعلم النبات(١٢)، بأننى أستطيع القيام بإنتاج نرجسيات(١٣)، وزهور ربيع مختلفة(١٤) الألوان، عن طريق سقايتها بسوائل ملونة

---

(١) التاريخ الطبيعى — Natural history
(٢) أصداف — Shells
(٣) أختام — Seals
(٤) دمغة — Frank
(٥) عملة (نقدية) — Coin
(٦) معادن — Minerals
(٧) تصنيفى = ترتيبى — Systematic
(٨) باحث مدقق — Virtuoso
(٩) بخيل — Miser
(١٠) القابلية للتغيير — Variability
(١١) عالم فى علم حشائش البحر (الأشنة) — Lichenologist
(١٢) عالم فى النبات — Botanist
(١٣) نرجس (نبات) — Polyanthus
(١٤) زهرة الربيع (نبات) — Primrose

معينة، وهو الشيء الذى كان بالطبع بهتانًا[١] هائلا، ولم يسبق لى أن قمت بتجربته. ويعن لى أيضا فى هذا المقام أن أعترف، بأننى كنت منذ حداثتى، أميل إلى أختلاق الأكاذيب[٢] المتعمدة، وكان ذلك يتم دائمًا، من أجل التسبب فى الإثارة، حيث قمت فى إحدى المرات، بجمع ثمار قيمة جدا من أشجار والدى، وقمت بإخفائها بين الشجيرات[٣]، ثم عدوت بعجالة وأنا متقطع الأنفاس، لكى أنشر الأخبار، بأننى اكتشفت مخزونا من الثمار المسروقة.

---

(١) بهتان = خرافة — Fable

(٢) أكذوبة — Falsehood

(٣) شجيرات — Shrubbery



لوحة (١١)

تشارلس داروين (٧ سنوات) يحتضن نباتات مزروعة.

من المؤكد أننى كنت صبيا صغيرا غاية فى البساطة، عندما ذهبت لأول مرة إلى المدرسة. حيث قام صبى يدعى "جارنيت" Garnett، فى يوم من الأيام، باصطحابى إلى حانوت كعك، وقام بشراء بعض من الكعك، الذى لم يدفع ثمنه، على أساس أن صاحب الحانوت يدّين به. وعندما سألته بعد خروجنا عن، لماذا لم يدفع الثمن، أجاب على الفور: "لماذا، ألا تعلم أن عمى قام بترك مبلغ كبير من المال للمدينة، على شريطة أنه يتحتم على كل حرفى، تقديم أى شىء مطلوب بدون تسديد ثمنه، إلى أى شخص يرتدى قبعته القديمة، ويقوم بتحريكها بطريقة معينة؟"، وقام بعد ذلك بتوضيح كيف يتم تحريكها. ثم ذهب بعد ذلك إلى حانوت آخر، كان فيه موضع الثقة، وطلب شيئا ضئيلا ما، قائما بتحريك قبعته بالطريقة الصحيحة، وحصل بالطبع عليه دون مقابل. ثم قال بعد خروجنا: "والآن، إذا أردت الذهاب بنفسك، إلى ذلك الحانوت للحصول على كعك (ومن العجيب أننى أذكر تماما موقعه بالضبط)، فسوف أقرضك قبعتى، وباستطاعتك الحصول على أى شىء تحبه، إذا قمت بتحريك القبعة على رأسك بشكل صحيح.". ولقد قبلت بسرور هذا العرض الكريم، ودخلت إلى الحانوت وطلبت بعض الكعك، وقمت بتحريك القبعة القديمة، وبدأت فى السير خارجا من الحانوت، وعندئذ قام صاحب الحانوت بالاندفاع تجاهى، فأسرعت بإسقاط الكعك، والجرى إنقاذا لحياتى الغالية، وشعرت بالدهشة الشديدة، لمقابلتى بالصيحات الضاحكة، الصادرة من صديقى المزيف "جارنيت".

أستطيع القول لصالحى، أننى كنت شفوقا(١) فى صباى، لكننى مدين بشكل كامل بهذا، لتعاليم وأمثلة أخواتى البنات. وأشك بالفعل، فى ماإذا كانت الرحمة، خاصية(٢) طبيعية أو متأصلة(٣). فقد كنت مغرما بجمع بيض الطيور، لكننى كنت لا أقوم على الإطلاق بأخذ أكثر من بيضة واحدة، من ضمن البيض الموجود فى أى عش لطائر، فيما عدا مناسبة واحدة، عندما قمت بأخذ جميع البيض، ولم يكن ذلك لقيمتها، لكن نتيجة لنوع من التبجح(٤).

---

(١) شفوق = رحيم — Humane
(٢) خاصية — Quality
(٣) متأصل = أرومي — Innate
(٤) تبجح = تظاهر بالبطولة — Bravado

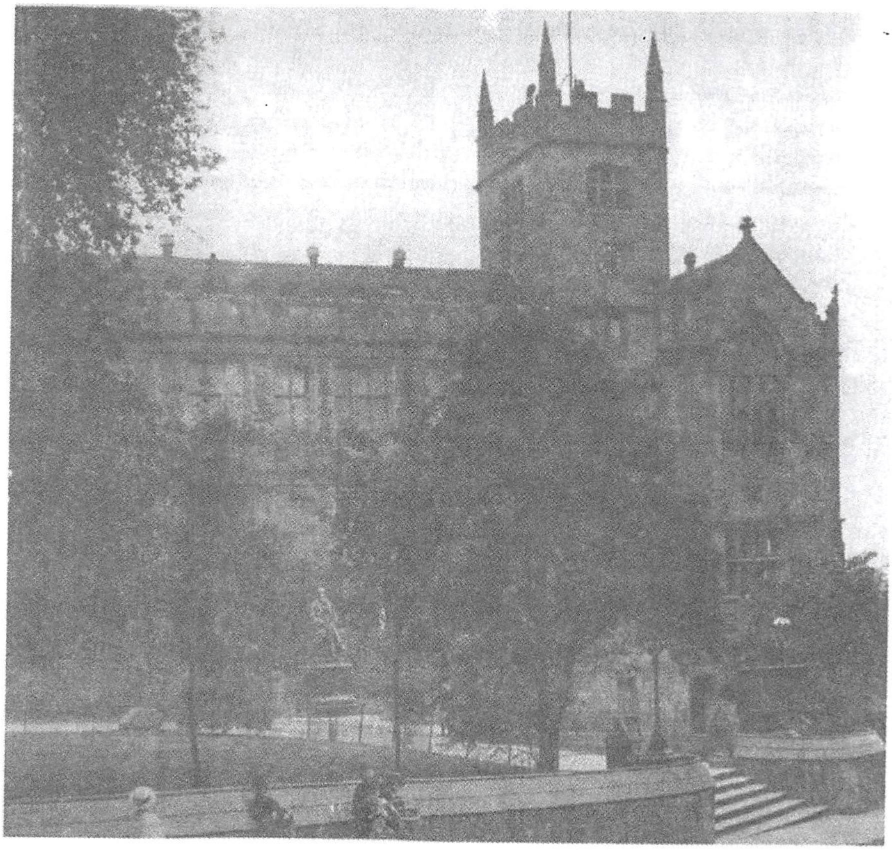
كانت لدى نزعة قوية تجاه الصيد بالصنارة[١]، وكنت أجلس لأى عدد من الساعات، على ضفة نهر أو بركة، مراقبا الفلينة الطافية[٢]، وعندما تم إخبارى فى "مير" Maer، [4]، أن بإمكانى قتل الدود بمحلول الملح والماء، لم أقم على الإطلاق، منذ ذلك اليوم، باختراق أى دودة حية، كطعم فى السنارة، رغم أن ذلك كان يتم، على حساب الإقلال من فرص النجاح فى الصيد.

حدث لى مرة وأنا صبى صغير فى المد_سة النهارية، أو قبل ذلك الوقت، أن قمت بتصرف فيه قسوة، وذلك لقيامى بضرب جرو، وأعتقد أن ذلك كان ناتجا ببساطة، عن الاستمتاع بالإحساس بالقوة، لكن لا أظن أن الضرب كان شديدا، لأن الجرو لم يقم بالولولة[٣]، وأنا متأكد من ذلك، لأن الموقع كان قريبا من المنزل. وقد كان وقع هذا العمل ثقيلا على ضميرى، كما يتضح من تذكرى الدقيق للموقع الذى تم فيه ارتكاب الجريمة. ومن المحتمل أن وقعه كان أكثر ثقلا، نتيجة لأن ولعى بالكلاب فى ذلك الوقت - ولزمن طويل بعد ذلك- كان نوعا من الشغف، ويبدو أن الكلاب تعلم ذلك، لأننى كنت خبيرا[٤] فى سلب حبها من أسيادها.

لا أتذكر بوضوح إلا وقوع حدث واحد آخر، أثناء هذه السنة التى كنت فيها فى مدرسة "السيد كاس" Mr. Case النهارية، وهو بالتحديد، عملية الدفن لجندى فى سلاح الفرسان[٥]، ومن المدهش مدى الوضوح الذى مازلت أرى به الجواد، مع الحذاء عالى[٦] الساق والبندقية القصيرة[٧] المعلقتين بالسراج، وإطلاق النار فوق القبر. وقد قام هذا المشهد، بتحريك كل خيال شعرى كان بداخلى.

---

(١) الصيد بالصنارة = التصنر — Angling
(٢) الفلينة الطافية — Float
(٣) ولولة — Howl
(٤) خبير = ماهر — Adept
(٥) جندى فى سلاح الفرسان — Dragoon = Soldier
(٦) حذاء عالى الساق — Boot
(٧) بندقية قصيرة — Carbine



لوحة (١٢)

مدرسة "شروزبرى"

ذهبت فى صيف عام ١٨١٨، إلى مدرسة "الدكتور بتلر" Dr. Butler الكبيرة الموجودة فى "شروز برى"، وبقيت هناك لمدة سبع سنوات، إلى منتصف صيف عام ١٨٢٥، إلى أن بلغت السادسة عشرة من العمر. وقد كنت مقيما فى هذه المدرسة، وبهذا الشكل كانت لدى الفرصة العظيمة، فى أن أعيش حياةَ صبى دراسى حقيقى، ولكن بما أن المسافة كانت لا تتعدى أكثر من ميل واحد إلى منزلى، فإننى كنت أعدو فى كثير من الأحيان إلى هناك، أثناء الفترات الفاصلة الطويلة بين انتهاء الدراسة، وقبل إغلاق الأبواب ليلاً. وأعتقد أن ذلك كان مفيدا لى بطرق عديدة، عن طريق الاحتفاظ بالصلات المنزلية الودودة والاهتمامات. وأتذكر فى الجزء المبكر من حياتى المدرسية، أنه كان يتحتم علىَّ العدو بسرعة كبيرة، لكى أصل فى الميعاد، ونتيجة لأننى كنت عداءً سريعًا، فقد كنت عادة ما أنجح فى ذلك، ولكن عندما كان الشك يساورنى، كنت أقوم بالابتهال بإخلاص لله لكى يساعدنى، وأتذكر جيدا أننى كنت أعزو نجاحى إلى الابتهالات، وليس إلى العدو السريع الذى كنت أقوم به، وكنت أتعجب من المساعدة، التى كانت تحط على بشكل عام.

سمعت والدى وأختى الكبرى يقولان أنه كان لدى - وأنا صبى صغير - ولعٌ قوىٌ بالتجول سيرا لمدة طويلة، ولكن لا علم لى بما كان يجول فى فكرى. وكثيرا ما كنت أستغرق تماما فى التفكير، وحدث مرة أثناء عودتى إلى المدرسة، أن كنت على قمة التحصينات القديمة المحيطة بـــ"شروز برى"، التى تم تحويلها إلى ممرات عامة للتمشية، بدون حاجز[1] على واحد من الأجناب، واختل مسارى وسقطت على الأرض، لكن الارتفاع لم يكن يتجاوز إلا سبعة أو ثمانية أقدام. ورغم ذلك، كان عدد الأفكار التى مرت فى خلال ذهنى، فى غضون هذا الوقت القصير جدا، الذى استغرقته السقطة المفاجئة وغير المتوقعة على الإطلاق، مثيرا للدهشة، ويبدو من الصعب أن يتلاءم ذلك، مع ما أعتقد أن العلماء فى وظائف الأعضاء قاموا بإثباته، حول أن كل تفكير يتطلب كمية لها وزنها من الوقت.

(١) حاجز = سور منخفض Parapet

لا يمكن أن يكون هناك شيءٌ أسوأ لتطوير ذهنى، أكثر من مدرسة "الدكتور بتلر"، حيث أنها كانت مدرسة تقليدية بشكل صارم، ولا يوجد بها شيءٌ آخر يتم تعليمه، باستثناء القليل من القديم من علوم الجغرافيا والتاريخ. وكانت المدرسة كوسيلة تعليمية بالنسبة لى، مجرد شيءٍ فارغٍ. وقد كنت فى غضون حياتى بأكملها، غير قابل بشكل فريد، على الإلمام بناصية أى لغة. وكان هناك اهتمامٌ خاصٌ بنظم المقاطع الشعرية(١)، وهذا أمر لم يكن فى استطاعتى على الإطلاق القيام به بشكل حسن، وكان لدى عدد كبير من الأصدقاء، الذين تعاونوا على القيام بجمع مجموعة جيدة من الأشعار القديمة، والتى عن طريق إلصاقها مع بعضها، وفى بعض الأحيان عن طريق مساعدة الصبية الآخرين، كان بإمكانى تناول أى موضوع. وكان هناك انتباه شديدٌ لحفظ دروس اليوم السابق عن ظهر قلب، وقد كان بإمكانى القيام بذلك بسهولة شديدة، مستوعبًا أربعين أو خمسين سطرا من أعمال "فيرجيل" Virgil أو "هومر" Homer، أثناء تواجدى فى المصلى(٢) الصباحى، إلا أن هذه الممارسة كانت عقيمة بشكل تام، لأن كل مقطوعة شعرية كان يتم نسيانها، خلال ثمانٍ وأربعين ساعة. لم أكن متكاسلا، باستثناء تناول الشعر، وكنت أقوم بشكل عام بالعمل بضمير حى فى دراساتى الأدبية، ولم ألجأ إلى قصاصات للغش(٣) فى الامتحانات. وكانت السعادة الوحيدة التى تلقيتها من مثل هذه الدراسات، مستمدة من بعض قصائد هوراس" Horace الغنائية(٤)"، التى كنت شديد الإعجاب بها.

لم أكن عندما تركت المدرسة بالنسبة إلى سنى، ذا مستوى عال أو منخفض فى دراساتى، وأعتقد أنه كان يتم اعتبارى، عن طريق جميع أساتذتى، وعن طريق والدى، على أساس أننى صبى عادى جدا، وإلى حد ما، أقل عن المستوى الشائع فى الذكاء. ومما سبب لى شعورا عميقا بالخزى، أن والدى فى يوم ما قال لى:

---

(١) مقطع شعرية = شعر — Verse

(٢) مصلى = كنيسة صغيرة — Chapel

(٣) قصاصات للغش فى الامتحانات — Cribs

(٤) قصيدة غنائية — Ode

"أنت لا تهتم بأى شيء، سوى إطلاق الأعيرة النارية، والكلاب، والإمساك بالفيران[١]، وسوف تصبح عارا على نفسك وعلى عائلتك". لكن لابد أن والدى- الذى كان أكثر الرجال الذين التقيت بهم عطفا، والذى أشعر بالحب لذكراه بكل جوارحى- كان غاضبا وغير منصف بعض الشيء، عندما قام باستخدام تلك الكلمات".

بقدر استطاعتى على استرجاع الذكرى، عن طابعى فى غضون حياتى المدرسية، فإن الخلال الوحيدة التى كانت تبشر بالخير فى هذه المرحلة، بالنسبة إلى المستقبل، كانت تمتعى بميول قوية ومتشعبة، والكثير من الحماس[٢] تجاه أى شيء يثير اهتمامى، وشعور عميق بالسعادة، مستمد من التفهم لأى موضوع أو شيء معقد. وكان يتم تعليمى الهندسة الإقليديسية[٣] بواسطة مدرس خصوصى، وأتذكر بوضوح، الشعور الشديد بالإشباع، الذى كانت تضفيه علىَّ الإثباتات الهندسية الواضحة. وأتذكر بوضوح متساو، السرور الذى أسبغه علىَّ خالى (والد "فرانسيس جالتون" Francis Galton)، لقيامه بشرح مبدأ المقياس الصغير المنزلق[٤]، الخاص بمقياس الضغط الجوى[٥]. أما بالنسبة للميول المتشعبة، بشكل مستقل عن العلم، فقد كنت مغرما بقراءة كتب متنوعة، وكنت معتادا على الجلوس لساعات طويلة، لقراءة مسرحيات "شكسبير" Shakespeare التاريخية، وكان ذلك يتم فى العادة، داخل نافذة عتيقة، موجودة فى حوائط المدرسة السميكة، وقرأت أيضا أشعارا أخرى، مثل قصيدة "الفصول" Seasons لـ "ثومسون" Thomson، وقصائد "بايرون" Bayron و"سكوت" Scott المنشورة حديثا. وأشير إلى ذلك لأننى فقدت تماما أسفى الشديد فى وقت متأخر من حياتى، كل شعور بالسعادة ناتج عن

---

(١) الإمساك بالفيران Ratcatching
(٢) حماس Zeal
(٣) الهندسة الإقليديسية Euclid
(٤) مقياس صغير منزلق Vernier
(٥) مقياس الضغط الجوى Barometer

الأشعار من أى نوعية، بما فى ذلك أشعار "شكسبير". ويعن لى أن أضيف، كشىء مرتبط باستمداد السرور من الشعر، أنه تم فى عام ١٨٢٢ –ولأول مرة – إيقاظ البهجة الشديدة فى نفسى لرؤية المشاهد الطبيعية أثناء جولة على صهوات الجياد، على حدود "ويلز" Wales وقد استمر هذا الشعور لوقت أطول، من أى سرور جمالى آخر.

كان أحد الصبية فى وقت مبكر من أيامى فى المدرسة، يمتلك نسخة من كتاب "عجائب الدنيا" Wonders of the World، الذى كنت أقوم بقراءته كثيرا، وأقوم بالجدال مع الصبية الآخرين، حول دقة بعض ما جاء به من تصريحات، وأعتقد أن هذا الكتاب، كان المحفز الأول لى، للرغبة فى القيام بالترحال فى الأقطار البعيدة، وهو الشىء الذى قمت بتحقيقه، عن طريق رحلة السفينة "البيجل" Beagle. وأصبحت فى الجزء الأخير من حياتى المدرسية، مولعا بشغف بالرماية النارية، ولا أعتقد أن من الممكن لأى شخص، إظهار حماس أكبر، من أجل أكثر المقاصد قدسية، عما قمت به تجاه رماية الطيور بالأعيرة النارية. وأتذكر تماما قنصى لأول طائر شنقب[١]، وشعورى بالإثارة التى كانت عظيمة جدا، لدرجة أننى عانيت من صعوبة شديدة لإعادة حشو بندقيتى، نتيجة لارتجاف يدى. وقد استمر هذا الولع لمدة طويلة، وأصبحت راميا جيدا جدا. وكنت أتدرب عندما كنت فى "كامبريدج" Cambridge على رفع بندقيتى إلى كتفى أمام مرآة، لكى أرى ما إذا كنت أرفعها بشكل صحيح. وكانت هناك خطة آخرى وأفضل، تتمثل فى قيام أحد الأصدقاء بالتلويح بشمعة مشتعلة، وأقوم بالإطلاق عليها بكبسولة[٢] على حلمة التفجير[٣] وإذا كـــان التسديد دقيقـــا، كان من شأن النفثة[٤] الضئيلة من الهواء، إطفـــاء الشمعة. وكان انفجار الكبسولـــة يتسبب فى صوت طقطقة حـــاد.

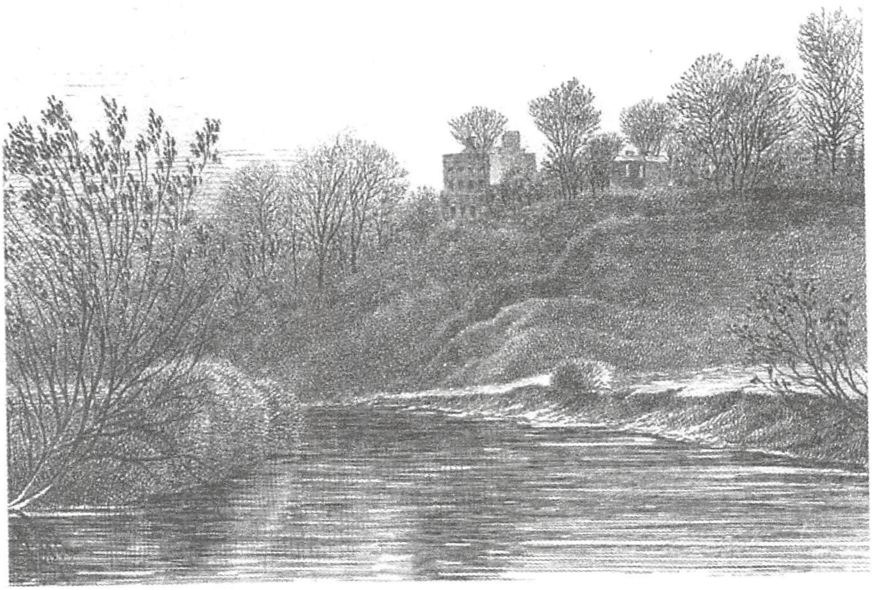
---

(١) طائر الشنقب — Snipe

(٢) كبسولة = لفافة تحتوى على بعض المتفجرات * — Cap

(٣) حلمة التفجير * — Nipple

(٤) نفثة — Puff



لوحة (١٣)

ضفة نهر "سيفيرن" بجوار منزل ال"ماونت" – مراتع الطفولة

وعلمت أن المرشد المدرسى[١] الموجود فى الكلية كان يعلق: "إنه لشىء خارج عن المعتاد. يبدو أن "السيد داروين" يمضى ساعات طويلة، فى طرقعة سوط جياد فى غرفته، لأننى كثيرا ما أسمع الطرقعة، عند مرورى تحت نوافذه".

كان لدى الكثير من الأصدقاء بين الطلبة، الذين أحببتهم إلى حد بعيد، وأعتقد أن مزاجى كان فى ذلك الوقت ودودا.

أما بالنسبة للعلوم، فقد واصلت الجمع للمعادن بحماس كبير، لكن بشكل غير علمى تماما. وكان كل اهتمامى يدور حول أى معدن تتم تسميته حديثا، لكن كان النادر محاولة قيامى بتصنيفهم. ولابد أننى قمت بمراقبة الحشرات بقليل من الاهتمام، لأننى ذهبت عندما كنت فى العاشرة من عمرى (عام ١٨١٩)، لمدة ثلاثة أسابيع، إلى " پــلاس إدواردز" Plas Edwards، على ساحل البحر فى "ويلز"، وكنت شديد الاهتمام والدهشة، لمشاهدة حشرة نصفية الأجنحة[٢] ضخمة، سوداء وسكارلاتينية اللون[٣]، والكثير من العث[٤] (المتماثلات الأصل)[٥]، وخنفسة ببرية[٦]، وهى حشرات غير موجودة فى "شروپشير" Shropshire. وقمت تقريبا بعقد العزم، على البدء فى الجمع لجميع الحشرات التى أستطيع العثور عليها ميتة، لأننى خلصت عند طلبى النصح من أختى، إلى أنه ليس من الصواب قتل الحشرات من أجل القيام بعمل مجموعة. وبدأت نتيجة لقراءتى كتاب "وايت" White بعنوان "سيلبورن" Selborne، فى الاستمتاع بشكل كبير،بمراقبة سلوكيات[٧] الطيور، إلى

---

(١) مرشد أو مدرب مدرسى — Tutor
(٢) حشرة نصفية الأجنحة — Hemipterousss insect
(٣) لون سكارلاتينى = أحمر يميل إلى البرتقالى — Scarlet (colour)
(٤) حشرة العثة (جمعها عث) — Moth
(٥) متماثلات الأصل * — Zygaena
(٦) خنفسة ببرية — Cicindela
(٧) سلوكيات = عادات — Habits

درجة أننى قمت بكتابة بعض الملاحظات حول هذا الموضوع. وأتذكر نتيجة لبساطة تفكيرى فى ذلك الوقت، شعورى بالعجب، من سبب عدم كون كل رجل محترم، مختصًا فى علم الطيور[١].

اهتم أخى –بشكل شديد قرب الانتهاء من حياتى المدرسية – بالكيمياء وقام بإنشاء معمل جيد مزود بالأجهزة الضرورية، فى مخزن الأدوات الموجود فى الحديقة، وكان مسموحا لى بمساعدته فى معظم تجاربه. وكان يقوم بصنع معظم الغازات والكثير من المركبات، وقد قرأت بعناية العديد من الكتب الخاصة بالكيمياء، مثل كتاب "هنرى و باركر" Henry and Parker، بعنوان "التعليم بالتساؤل للكيمياء" Chemical Catechism. وقد أثار الموضوع اهتمامى بشكل كبير، وكثيرا ما كنا نستمر فى العمل إلى وقت متأخر من الليل. وقد كان ذلك أفضل جزء من تعليمى فى المدرسة، لأنه وضح لى بشكل عملى، معنى العلم التجريبى. وقد تمت معرفة الحقيقة المتعلقة بعملنا فى الكيمياء، بشكل ما فى المدرسة، وكان ذلك يمثل حقيقة غير مسبوقة، وتمت كنيتى[٢] بـــ "غاز" Gas. وتم أيضا توبيخى[٣] بشكل علنى بواسطة الناظر "الدكتور بتلر"، لتبديد وقتى بهذا الشكل، على مثل تلك المواضيع غير المفيدة، ودعانى بشكل غير عادل "باللامبالى"[٤]، وحيث أننى لم أفهم ماذا كان يعنيه، بدا لى ذلك كتأنيب[٥] مخيف.

قام والدى بحكمته نتيجة لعدم إحرازى أى تقدم جيد فى المدرسة بإخراجى منها، عند عمر أكثر تبكيرا بعض الشىء عن المعتاد، وقام فى أكتوبر ١٨٢٥، بإرسالى إلى "جامعة إدنبرة" Edinburgh University، بمصاحبة أخى، حيث بقيت

(١) متخصص فى علم الطيور Ornithologist
(٢) اسم كنية Nickname
(٣) يوبخ Rebuke
(٤) غير مبالى Poco curante
(٥) تأنيب Reproach

هناك لاثنتين من السنين أو الفترات. وكان أخى يقوم باستكمال دراساته الطبية، إلا أننى لا أصدق أنه اعتزم على الإطلاق، ممارسة الطب، وكان إرسالى إلى هذا المكان، للبدء فى تلك الدراسات. ولكننى أصبحت سريعا بعد انقضاء تلك المرحلة، مقتنعا نتيجة لملابسات صغيرة متنوعة، أن من شأن والدى ترك ممتلكات كافية لإعالتى بشىء من الراحة، ورغم عدم تخيلى على الإطلاق أننى سوف أصبح على هذه الدرجة من الثراء- مثلما هو الحال معى الآن- فإن هذا الاقتناع كان كافيا، لكبح أى مجهودات شاقة من جانبى لدراسة الطب.

كان التدريس الذى يجرى فى "إدنبرة"، فى صورة محاضرات بشكل كلى، والتى كانت مملة بشكل لا يمكن احتماله، باستثناء تلك الخاصة بعلم الكيمياء، الملقاة بواسطة "هوب" Hope، لكن طبقا لتفكيرى، لم يكن هناك أى ميزات، وكان هناك العديد من السلبيات فى المحاضرات، عند مقارنتها بالقراءة. وكانت محاضرات "الدكتور دونكان" Dr. Doncan حول علم المواد الطبية(١)- فى الساعة الثامنة من صباح يوم شتاء-·شيئا مثيرا للرعب عند تذكرها. وكان الدكتور "-"، المنوط به تدريس علم التشريح البشرى، يقوم بجعل محاضراته مملة، بنفس الدرجة التى كان عليها هو شخصيا، وكان الموضوع يثير اشمئزازى، وقد ثبت أن واحدة من أكبر المساوئ التى حدثت فى حياتى، أنه لم يتم حتى على القيام بالتشريح، فقد كان من شأنى التغلب على شعورى بالتقزز، وكان من شأن تلك الممارسة، أن تكون ذات قيمة عالية، بالنسبة لجميع أعمالى المستقبلية. وقد كان ذلك شرا لا علاج له، بالإضافة إلى عدم قدرتى على القيام بالرسم. وكنت أقوم بالتردد بانتظام على الأجنحة السريرية(٢) الموجودة فى المستشفى. وقد أصابتنى بعض الحالات بالضيق بقدر كبير، ولا زلت أحتفظ بصور حية فى مخيلتى للبعض منها، ولكننى لم أكن على درجة من الغباء، بحيث أسمح لذلك بالإقلال من ترددى على

(١) علم المواد الطبية Materia Medica

(٢) الأجنحة السريرية Clinical wards

المستشفى. ولا أستطيع فهم، لماذا لم يكن هذا الجزء من منهاجي الطبى، مثيرا لاهتمامى بأى درجة عالية، لأننى بدأت قبل الذهاب إلى "إدنبرة"، فى التردد على بعض الأناس الفقراء، وبشكل رئيسى الأطفال والنساء الموجودون فى "شروز برى"، وكنت أقوم بكتابة تقرير وافٍ بقدر استطاعتى عن الحالة، مع الوصف لجميع الأعراض، وقراءة ذلك بصوت مرتفع لوالدى الذى كان يقترح المزيد من الاستفهامات، وينصحنى بالعقاقير المنصوح بتعاطيها، والتى كنت أقوم بتحضيرها بنفسى. وكان لدى فى وقت من الأوقات ما لا يقل عن الاثنى عشر مريضا، وشعرت باهتمام شديد فى هذا العمل. وقد صرح والدى، الذى كان الأفضل إلى مدى بعيد فى الحكم على الشخصيات قابلته على الإطلاق فى حياتى، بأن من شأنى أن أصبح طبيبا ناجحًا - وكان يعنى بذلك، الطبيب الذى يستطيع الحصول على العديد من المرضى. فقد كان يصر على أن العنصر الرئيسى للنجاح هو بث الثقة، ولكننى لا أعلم ما الذى رآه منى، وأقنعه أن من شأنى بث هذه الثقة. ولقد تواجدت أيضا فى مناسبتين فى غرفة العمليات الجراحية الموجودة فى مستشفى "إدنبرة"، وشاهدت اثنين من العمليات الخطيرة، واحدة منهما على طفل، لكننى اندفعت خارجا قبل استكمالهما. ولم أحضر أى عملية بعد ذلك، حيث لم يكن هناك أى حافز من شأنه أن يكون قويا بشكل كاف لدفعى للقيام بذلك، فقد كان ذلك سابقا بوقت طويل لأيام الكلوروفورم المباركة. وقد لازمت تلك الحالتان خيالى، للكثير من السنوات الطوال.

ظل أخى فى الجامعة لمدة عام واحد فقط، وتركت بهذا الشكل خلال العام الثانى للاعتماد على مرجعياتى الخاصة، وكانت تلك ميزة، حيث تعرفت بشكل جيد، على العديد من الرجال اليافعين، المغرمين بالعلوم الطبيعية. وقد كان أحدهم "إينسورث" Ainsworth، الذى قام فيما بعد بنشر ترحالاته فى "آشور" Assyria، وكان جيولوجيا ڤيرناريا Wernerian geologist، وعلى علم بالقليل الذى يدور، حول الكثير من الموضوعات. وكان "الدكتور كولد ستريم" Dr. Coldstream رجلا يافعا

مختلفا جدا، حيث كان أنيقا(١)، ومنهجيا(٢)، وغاية فى التدين، ورقيق القلب إلى أعلى درجة، وقد قام فيما بعد، بنشر البعض من المقالات الجيدة فى علم الحيوان. أما الرجل اليافع الثالث فكان "هاردى" Hardie، الذى أعتقد أنه كان من شأنه، أن يصبح عالما جيدا فى علم النبات، غير أنه توفى فى وقت مبكر فى الهند. وأخيرا، "الدكتور جرانت"، الذى كان يسبقنى بعدة سنوات، ولكننى لا أتذكر كيف تمت معرفتى به، وقد قام بنشر البعض من المقالات من الطراز الأول، فى علم الحيوان، لكنه لم يقم بعد ذهابه إلى "لندن" كأستاذ فى كلية جامعية، بإضافة أى شيء فى العلم، وتلك حقيقة كانت دائمًا غير قابلة للتفسير من جهتى. ولقد كنت على معرفة جيدة به، وكان جافا ومنهجيا فى أخلاقه، مع الكثير من الحماس تحت قشرته الخارجية. وقد قام فى أحد الأيام، أثناء سيرنا سويا، بالاندفاع فجأة فى فيض من الإعجاب بـــ"لامارك" Lamarck وآرائه حول التطور(٣). وكنت قد قمت قبل ذلك، بقراءة كتاب جدى "تسمية الحيوانات" Zoonomia، الذى تم فيه التأكيد على وجهات مماثلة من النظر، لكن دون الإنتاج لأى تأثير علىّ. ومع ذلك، فمن المحتمل أن السماع فى وقت مبكر بعض الشيء من العمر، بالتأكيد والإطراء على مثل تلك الوجهات من النظر، قد ساعد على اعتناقى لها بشكل مختلف، فى كتابى "نشأة الأنواع الحية" (أصل الأنواع) Origin of Species. وقد شعرت بالإعجاب الشديد فى ذلك الوقت، بكتاب "تسمية الحيوانات" Zoonomia، ولكنى شعرت عند قراءتى له فى المرة الثانية بعد مرور عشرة أو خمسة عشر عامًا، بخيبة أمل كبيرة، حيث كانت نسبة التخمينات(٤) الموجودة فيه أكبر بكثير من الحقائق المقدمة.

---

(١) أنيق — Prim

(٢) منهجى = رسمى = متكلف — Formal

(٣) تطور — Evolution

(٤) تخمين — Speculation

كان انتباه "الدكاترة جرانت وكولد ستريم" Drs. Grant and Coldstream موجها بشكل كبير، نحو علم الحيوانات البحرية، وكثيرا ما كنت أقوم بمصاحبة الأول، لجمع الحيوانات الموجودة فى البرك التى يخلفها الجزر، والتى كنت أقوم بتشريحها جيدا بقدر المستطاع. وقمت أيضا بعقد صداقات مع بعض صيادى الأسماك الموجودين فى "نيوهافن" Newhaven، وكنت أقوم فى بعض الأحيان بمصاحبتهم، أثناء تجريفهم لقاع البحر بالشباك[١] لصيد المحار[٢]، وحصلت بهذا الشكل على الكثير من العينات. لكن نتيجة لعدم حصولى على فرص الممارسة المنتظمة فى التشريح، ونتيجة لحيازتى مجرد مجهر حقير، كانت محاولاتى غاية فى الضعف.

قمت رغم ذلك باكتشاف صغير مشوق واحد، وقرأت فى بداية عام ١٨٢٦، بحثا مكتوبا قصيرا حول الموضوع، أمام "الجمعية الـــبلينية" Pilinian Society. وكان يدور حول أن ما يسمى بيض المرتبكات[٣]، لديه القدرة على الحركة المستقلة، عن طريق الاستعانة بالأهداب[٤]، وأنه كان فى الحقيقة يرقات[٥]. وقمت فى بحث مكتوب قصير آخر، بتوضيح أن الأجسام الكروية[٦] الضئيلة، التى كان من المفترض أن تكون الحالة اليافعة، لطحلب الفقوس المضلع[٧]،كانت أغلفة البيض الخاصة بشبة الدوديات[٨]، المسماة الراتنجيات المسطحة الأرجوانية[٩].

---

(١) تجريف قاع البحر بالشباك Trawl

(٢) محارة Oyster

(٣) المرتبكات * : حيوانات بدائية بحرية Flustra

(٤) أهداب Cilia

(٥) يرقة Larva (Pl. Larvae)

(٦) الأجسام الكروية Globular bodies

(٧) طحلب الفقوس المضلع * Fucus loreus

(٨) شبة دودى * Worm like

(٩) الراتنجيات المسطحة الأرجوانية * Pontobdella muricata

كان يتم تشجيع "الجمعية الـبلينية" وأعتقد أنها أنشئت بواسطة "الأستاذ جامسون" Prof. Jameson، وكانت تتكون من الطلبة، وتجتمع فى غرفة تحت مستوى الأرض فى الجامعة، بغرض القراءة والمناقشة للمقالات العلمية، التى تدور حول العلوم الطبيعية، وكنت معتادا على الحضور بانتظام، وكان للاجتماعات تأثيرها الجيد بالنسبة لى، فى الاستثارة لحماسى، ولمنحى الجديد من المعارف المتجانسين معى. وحدث ذات مساء أن قام شاب يافع مسكين بالوقوف، واستطاع فى آخر الأمر، بعد التلعثم[١] لوقت طويل بشكل غير عادى، والتورد[٢] إلى اللون القرمزى[٣]،أن يقول ببطء: "سيدى الرئيس، لقد نسيت ما كنت سوف أقوله". وقد بدا الشاب المسكين مرتبكا بشكل تام، وكان جميع الأعضاء مبهوتين[٤]، إلى درجة عدم تفكير أى واحد منهم، فى قول شيء لتغطية ارتباكه. ولم يكن يتم طباعة المقالات العلمية التى كانت تتم قراءتها فى جمعيتنا الصغيرة،ولم أحظ بهذا الشكل، بالإشباع لرؤية مقالتى العلمية وهى مطبوعة، لكننى أعتقد أن "الدكتور جرانت"، وضع ملحوظة حول اكتشافى الصغير، فى تقريره الممتاز حول "المرتبكات".

كنت عضوا كذلك فى "الجمعية الطبية الملكية" Royal Medical Society، وكان حضورى منتظما جدا، ولكن بما أن المواضيع كانت طبية بشكل بحت، فإننى لم أشعر باهتمام كبير تجاهها. وكان الكلام يدور حول الكثير من المواضيع الغثة، ولكن كان هناك بعض من المتحدثين الجيدين، وقد كان الأفضل من بينهم، هو الذى أصبح حاليا "السير ج. كاى شاتلورث" Sir J. Kay-Shuttleworth. وكان "الدكتور جرانت" Dr. Grant يقوم باصطحابى أحيانا، إلى اجتماعات الجمعية الـفيرنائية" Wernerian Society، حيث كانت أبحاثا متنوعة عن التاريخ الطبيعى، تتم قراءتها،

---

(١) تلعثم = تهتهة Stammering
(٢) اورد Blushing
(٣) لون قرمزى Crimson
(٤) مبهوت Surprised

ومناقشتها، ويتم نشرها بعد ذلك، فى محاضر الجلسات[١]. وأتيحت لى الفرصة هناك، للاستماع إلى "أودوبون" Audubon، وهو يلقى بعض المحاضرات المشوقة، حول سلوكيات[٢] الطيور الموجودة فى أمريكا الشمالية، ساخرا بعض الشيء بشكل غير عادل، من "واترتون" Waterton. وكان هناك بالمصادفة زنجى يعيش فى "إدنبرة"، وكان قد قام بالارتحال مع "واترتون"، وكان يكسب معاشه عن طريق القيام بتحنيط الطيور، وقد أعطانى دروسا مدفوعة فى ذلك، وكنت معتادا فى كثير من الأحيان الجلوس معه، لأنه كان رجلاً غاية فى الظرف والذكاء.

قام أيضا "السيد ليونارد هورنر" Mr. Leonard Horner باصطحابى فى إحدى المرات، إلى اجتماع خاص "بجمعية إدنبرة" الملكية Royal Society of Edinburgh، حيث شاهدت "السير والترسكوت" Sir Walter Scott يجلس فى كرسى الرئاسة، وقام بالاعتذار فى الاجتماع، بعدم شعوره بأنه أصبح صالحا لهذا المنصب. ولقد نظرت إليه، وإلى المشهد بأكمله ببعض من الرهبة والتبجيل، وأعتقد أننى شعرت نتيجة لما حدث أثناء شبابى من هذه الزيارة، ومن ترددى على "الجمعية الطبية الملكية"، بالفخار من انتخابى منذ سنوات قليلة ماضية، كعضو شرفى فى كل من هاتين الجمعيتين، بشكل أكبر من أى تشريف آخر مماثل. وأعلن أننى لو أخبرت فى ذلك الوقت، بأنه سوف يتم تشريفى فى يوم من الأيام بهذا الشكل، لكان من شأنى الاعتقاد بأن ذلك على نفس الدرجة من السخافة وعدم الاحتمالية الماثلة لإخبارى أن من شأنى أن يتم انتخابى ملكا على إنجلترا.

داومت فى غضون عامى الثانى فى إدنبرة، على حضور محاضرات الأستاذ "-" حول علم طبقات الأرض[٣] وعلم الحيوان[٤]، لكنها كانت مملة بدرجة لا يمكن تصديقها. وكان التأثير الوحيد الذى قامت بإحداثه لدىَّ، هو تصميمى على

---

(١) محاضر الجلسات Transactions

(٢) سلوكيات = عادات Habbits

(٣) علم طبقات الأرض = الـجيولوجيا Geology

(٤) علم الحيوان Zoology

عدم القيام ما حييت، بقراءة أى كتاب عن علم طبقات الأرض، أو القيام بدراسة العلوم بأى طريقة. إلا أننى كنت أشعر بالتأكيد، بأننى معد للمعالجة المنطقية[١] للموضوع، حيث قام "السيد كوتون" Mr. Cotton العجوز الموجود فى "شروبشير" Shropshire، الذى كان يعرف الكثير حول الصخور، منذ سنتين أو ثلاث سنوات سابقة، بالإشارة إلى جلمود[٢] مجروف[٣] ضخم موجود فى بلدة "شروزبرى"، يسمى "صخرة الجرس" Bell-stone، وأخبرنى بأنه لا توجد أى صخرة من نفس الصنف، فى مكان أقرب من "كامبرلاند" Camberland أو "إسكتلندة" Scotland، وأكد لى بوقار، بأن من شأن العالم أن يصل إلى نهايته، قبل أن يتمكن أى شخص، من تفسير كيف استطاعت هذه الصخرة، المجيء إلى المكان الذى تستقر فيه حاليًا. وقد قام ذلك بإحداث انطباع عميق لدىَّ، وكثيرا ما كنت أقوم بالتأمل حول هذه الصخرة المدهشة. وشعرت بناء على ذلك، بسرور غامر، عندما قرأت لأول مرة، عن مفعول الجبال الثلجية الطافية[٤]، فى نقل الجلاميد الصخرية، وهللت للتقدم الذى حدث فى علم طبقات الأرض. والحقيقة المذهلة بشكل مساو- رغم أن عمرى الآن سبعة وستون عاما فقط- هى سماعى الأستاذ فى محاضرة ميدانية عند الجروف الصخرية[٥] الموجودة فى "سليزبورى" Salisbury، وهو يعالج الموضوع الخاص بأحد الخنادق الطرابية[٦]، مع ما يحتويه من حواف ملوزة[٧]، والطبقات[٨] المتيبسة الموجودة على كل جانب، والصخور البركانية[٩] الموجودة فى كل مكان

---

(١) منطقى = فلسفى Philosophical
(٢) جلمود (صخر) Boulder
(٣) مجروف Erratic
(٤) الجبال الثلجية الطافية Icebergs
(٥) جرف صخرى Craig
(٦) خندق طرابى(الطراب=صخر بركانى) Trap-dyke
(٧) ملوز = صخر بركانى مشتمل على تجاويف صغيرة مملوءة بالرواسب المعدنية Amygdaloid
(٨) طبقة (أرضية) Stratum (Pl. Strata)
(٩) بركانى Volcanic

حولنا، قائلا إنه كان صدعا[١] تم ملؤه بالرواسب الهابطة من أعلى، مضيفا بسخرية أنه كان هناك أناس يصرون على أنه حقن من أسفل بمواد فى حالة منصهرة. ولا أشعر بالتعجب عندما أقوم بالتفكير فى هذه المحاضرة، من تصميمى على عدم الاهتمام على الإطلاق بعلم طبقات الأرض.

أصبحت نتيجة لحضورى محاضرات الأستاذ "-"، على صلة بأمين[٢] المتحف، السيد "ماكـچيليـڤراى" Mr.Macgillivray،الذى قام فيما بعد بنشر كتاب ضخم وممتاز، حول طيور إسكتلندة. وكانت لنا محادثات كثيرة مشوقة حول التاريخ الطبيعى، وكان غاية فى اللطف معى. وقام بمنحى بعضا من القواقع[٣] النادرة، لأننى كنت أقوم فى ذلك الوقت بجمع الرخويات[٤] البحرية[٥]، لكن ليس بقدر كثير من الحماس.

كانت أجازاتى الصيفية أثناء هاتين السنتين، مخصصة بشكل كامل للتسلية، رغم أننى كنت أحتفظ دائما ببعض الكتب، لتكون فى متناول يدى، والتى كنت أقرؤها بشغف. وقمت - فى غضون صيف عام ١٨٢٦- بجولة طويلة سيرا على الأقدام مع اثنين من الأصدقاء، وعلى ظهورنا جربنديات[٦]، فى أرجاء شمال ويلز. وكنا نسير ثلاثين ميلا فى معظم الأيام، متضمنة يومًا لصعود جبل "سنودون" Snowdon. وذهبت أيضا فى جولة بالجياد مع أختى فى شمال ويلز، ومعنا خادم يحمل ملابسنا فى حقائب على سرج جواده. أما فصول الخريف فقد كانت مخصصة بشكل رئيسى، للصيد بالبنادق عند "السيد أوين" Mr. Owen، فى "وودهاوس" Wood house، وعند "خالى چوس" Uncle Jos [5]، فى "مير" Maer.

---

(١) صدع = شق Fissure

(٢) الأمين Curator

(٣) قوقعة = صدفة Shell

(٤) رخويات Mollusca

(٥) بحرى Mafine

(٦) جربندية = حقيبة ظهر Knapsack

وقد كان حماسى عظيما، إلى درجة أننى كنت معتادا وضع أحذية الصيد مفتوحة بجوار سريرى عند الذهاب إلى النوم، لكى لا أفقد نصف دقيقة أثناء ارتدائها فى الصباح، وبلغت فى إحدى المرات جزءا بعيدا من ضيعة "مير" وكان ذلك فى العشرين من أغسطس، بحثا عن طيور الصيد السوداء[١] وصيدها، وظللت بعد ذلك أكدح مع حارس الصيد طوال اليوم فى اختراق المروج الكثيفة وأشجار التنوب الإسكتلندى اليافعة.

كنت أحتفظ بسجل دقيق لكل طائر أقوم بصيده طوال الموسم بأكمله. وظننت فى أحد الايام، أثناء قيامى بالصيد فى "وود هاوس" مع "الكابتن أوين" Captain Owen، الابن الأكبر، وابن عمه، " الماجور هيل" Major Hill الذى أصبح "اللورد بيرويك" Lord Berwick فيما بعد، وكنت مغرما بكليهما، أنهما قاما باستغلالى بشكل مخجل، لأننى كلما قمت بإطلاق النار، وظننت أننى قتلت طائرا، تظاهر واحد منهما بإعادة حشو بندقيته، والصياح:"يجب ألا تقوم بوضع هذا الطائر فى الحساب، لأننى أطلقت النار عليه فى نفس الوقت"، وكان حارس الصيد- وهو مدرك لهذه الدعابة- يقوم بدعم كليهما. ثم قاموا بعد مضى بضع ساعات بإخبارى عن هذه الدعابة إلا أنها لم تكن دعابة بالنسبة لى، لأننى كنت قد اصطدت عددا كبيرا من الطيور، لكن لم يكن لدى علم بعددها، ولم يكن باستطاعتى إضافتها إلى قائمتى، التى اعتدت القيام بها، عن طريق إضافة عقدة إلى قطعة من الخيط، مربوطة فى عروة من المعطف. وقد أدرك أصدقائى الخبثاء قيامى بذلك.

---

(١) طيور الصيد السوداء * Black-game



لوحة (١٤)

طائر من طرائد الصيد ببريطانيا

كنت أشعر باستمتاع كبير بالصيد، ولكن أعتقد أننى كنت أشعر بالخزى بشكل نصف واع من حماسى الشديد، لأننى حاولت إقناع نفسى، بأن الصيد عن طريق الرماية مشغولية عقلانية[1] تقريبًا، حيث تحتاج إلى الكثير من المهارة، للحكم على مكان العثور على أكثر الطرائد[2]، وكيفية استخدام الكلاب[3] للكلاب بشكل جيد.

كانت إحدى الزيارات الخريفية إلى "مير" فى عام ١٨٢٧م، جديرة بالذكرى، لأنى تقابلت هناك مع "السير ج. ماكينتوش" Sir J. Mackintosh، الذى كان أفضل محادث أصغيت إليه على الإطلاق. وقد بلغنى فيما بعد بزهو متقد، أنه قال:"هناك شىء ما فى هذا الرجل اليافع يثير اهتمامى". ولابد أن ذلك كان بشكل رئيسى ناتجا عن إدراكه، بأننى كنت أقوم بالإصغاء بكثير من الاهتمام، إلى كل شىء كان يقوله، لأننى كنت جاهلا مثل أى خنزير، فيما يخص المواضيع التى كان يتحدث عنها، الخاصة بالتاريخ، السياسة، والفلسفة الأخلاقية[4]. وأعتقد أن السماع للمديح الصادر عن شخص بارز، رغم أنه لا شك قابل أو من المؤكد أن يثير الخيلاء[5]، يمثل شيئا جيدا بالنسبة لأى رجل يافع، على أساس أنه يساعد على الإبقاء عليه فى السياق الصحيح.

كانت زيارتى لــ"مير" خلال تلك الاثنتين أو الثلاث من السنين غاية فى الإبهاج، بشكل مستقل عن الصيد الخريفى. فالحياة هناك كانت حرة بشكل كامل، وكان الريف غاية فى اللطف للقيام بالسير أو ركوب الجياد، وكان هناك فى المساء الكثير من المحادثات السائغة، التى لم تكن شخصية جدا، مثلما يكون عليه الحال

---

(١) مشغولية عقلانية * Intellectual employment
(٢) الطرائد Game
(٣) يستخدم Hunt
(٤) أخلاق Moral
(٥) خيلاء = زهو Vanity

فى العادة، فى الاجتماعات العائلية الضخمة، علاوة على الموسيقى. وكانت العائلة بأكملها معتادة فى فصل الصيف على الجلوس على درجات الرواق المعمد(١) القديم، وأمامهم حديقة الزهور، والمنحدر شديد الانحدار المشجر المقابل للمنزل، الذى تنعكس صورته على سطح البحيرة، وتقوم هنا وهناك سمكة بالقفز، أو طائر مائى بالتجديف متجولا. ولم يقم أى شىء بترك ذكرى أكثر حيوية فى ذهنى بشكل أكبر، مما فعلته تلك الأمسيات، التى قضيتها فى "مير". لقد كنت متعلقا وأشعر بالتبجيل الشديد لخالى "چـوس"، الذى كان رجلا صموتا ومتحفظا، إلى درجة أنه يكون أحيانا رجلا مرعبا، ولكنه كان يقوم أحيانًا بالتحدث معى. لقد كان النموذج الأصلى من الرجل المستقيم، المتمتع بأوضح رؤية ممكنة. ولا أعتقد أن هناك قوة على سطح الأرض تستطيع أن تجعله ينحرف بوصة واحدة، عما يعتقد أنه المسار الصحيح. وكنت أقوم بالالتماس له فى ذهنى، لقصيدة "هوراس" Horace، الغنائيةالتى نسيتها الآن، التى توجد بها كلمات nec vultus tyranni, etc [6].

"كامبريدچ" ١٨٢٨ - ١٨٣١ :- أدرك والدى- بعد قضائى فصلين دراسيين فى "إدنبرة"، أو سمع من أخواتى البنات- أننى لا أميل لفكرة أن أكون طبيبا، ولهذا اقترح أن من شأنى أن أصبح من رجال الدين(٢).حيث كان معارضا بشكل عنيف جدا، لتحولى إلى رجل رياضى خامل، وهو الشىء الذى بدا أنه مآلى المحتمل، فطلبت منه مهلة للتفكير، حيث كانت لدى وساوس(٣)، نتيجة للنزر القليل مما سمعته، أو دار فكرى حوله فيما يتعلق بالموضوع، تدور حول الإعلان عن إيمانى بجميع عقائد(٤) الكنيسة الإنجليزية، رغم أننى كنت عدا ذلك أميل إلى فكرة أن أكون رجل دين ريفيًا. وقمت بناء على ذلك، بالقراءة بعناية لكتاب "بيرسون عن

(١) الرواق المعمد = المدخل ذو العمدان — Portico
(٢) رجال الدين — Clergyman
(٣) وسواس — Scruple
(٤) العقيدة — Dogma

العقيدة " Pearson on the Creed، علاوة على القليل من الكتب الأخرى عن الألوهية[١]،وحيث لم يكن لدى أى شك ولو قليلاً فى ذلك الوقت، فى الصدق التام والحرفى لكل كلمة موجودة فى الكتاب المقدس[٢]، فإننى سريعا ما أقنعت نفسى، بحتمية التسليم التام بإيماننا المسيحى.

يبدو من المضحك- عند الوضع فى الاعتبار، مدى الشراسة التى تمت بها مهاجمتى، عن طريق المتدينين التقليديين[٣]- أننى انتويت فى أحد الأيام، أن أصبح رجل دين. ولم يتم التخلى بشكل رسمى عن هذا الهدف أو عن رغبة والدى، لكنه مات ميتة طبيعية، عندما تركت "كامبريدج" للالتحاق بـــ"البيجل" Beagle كإخصائى فى التاريخ الطبيعى. وإذا كان من الممكن الوثوق بالخبراء فى علم الفراسة الدماغية[٤]، فقد حدث منذ سنوات قليلة ماضية، أن طلبت منى هيئة السكرتارية الخاصة بجمعية ألمانية لعلم السجايا (علم النفس)، بشكل جدى عن طريق خطاب، إرسال صورة خاصة بى، ثم تسلمت بعد مرور بعض الوقت، المحضر المسجل لأحد الاجتماعات، الذى يبدو فيه أن شكل رأسى كان موضوع المناقشة العامة، وقد أعلن أحد المتحدثين، أننى أتمتع بنتوء الكهانة الظاهر بشكل يكفى لعشرة من القسس.

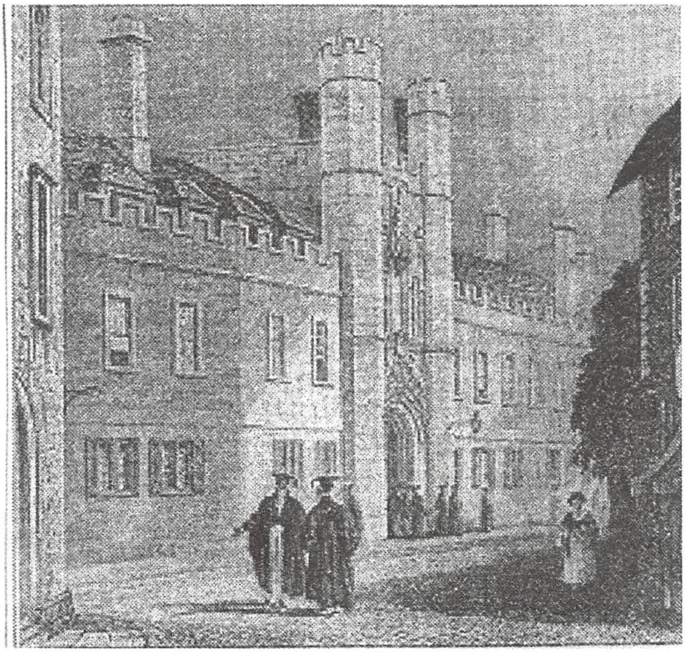
---

(١) الألوهية = اللاهوت Divinity

(٢) الكتاب المقدس (بعهديه) Bible

(٣) المتدين التقليدى=مستقيم التدين Orthodox

(٤) علم الفراسة الدماغية: دراسة شكل الجمجمة لاستخلاص الشخصية والملكات الذهنية Phrenology



لوحة (١٥)

جـــامعة كـــامبردج

عندما تم اتخاذ القرار بأن أصبح رجل دين، أصبح من الضرورى أن يكون من شأنى الذهاب إلى إحدى الجامعات الإنجليزية والحصول على شهادة جامعية، ولكن حيث إننى لم أقم على الإطلاق بفتح واحد من الكتب التقليدية، منذ مغادرتى للمدرسة، فقد اكتشفت لفزعى مهما كان ذلك غير قابل للتصديق أننى نسيت فى غضون السنتين الفاصلتين، كل شىء سبق لى أن تعلمته تقريبا، إلى حد الوصول إلى البعض القليل من الحروف اليونانية. ولم أقم بناء على ذلك، بالالتحاق بـــ"كامبريدچ" فى الوقت المعتاد فى أكتوبر، لكننى قمت بالدراسة مع مدرس خصوصى فى "شروز برى"، وذهبت إلى "كامبريدچ" بعد إجازة عيد الميلاد، فى وقت مبكر من عام ١٨٢٨. وسرعان ما استعدت مستواى الدراسى من المعرفة، وأصبح فى استطاعتى القيام بترجمة الكتب اليونانية السهلة مثل كتابات "هومر" والعهد الجديد(١) اليونانى، بسهولة متوسطة المستوى.

كانت السنوات الثلاثة التى قضيتّها فى "كامبريدچ" مضيعة للوقت، بالنسبة لما له علاقة بالدراسات الجامعية التقليدية(٢)، بنفس الشكل الكامل، مثلما كان عليه الحال فى "إدنبرة" وفى المدرسة، ولقد حاولت دراسة الرياضيات(٣)، إلى درجة ذهابى فى غضون صيف ١٨٢٨ مع مدرس خصوصى (وكان رجلا مملا جدا) إلى "بارموث" Barmouth، لكن تقدمى كان غاية فى البطء. لقد كانت الدراسة مقيتة(٤) بالنسبة لى، وبشكل رئيسى، نتيجة لعدم قدرتى على رؤية أى معنى فى الخطوات الأولى لعلم الجبر(٥). وقد كان هذا الانعدام للصبر شيئا غاية فى الغباء، وندمت بشكل عميق فى السنوات التالية، على أننى لم أتقدم بشكل كاف، حتى إلى الاستيعاب لشىء عن المبادئ الأساسية للرياضيات، حيث يبدو أن الأناس

(١) العهد الجديد — Testament
(٢) الدراسات الجامعية التقليدية — Academic studies
(٣) الرياضيات = الحسابات * — Mathematics
(٤) مقيت = كريه — Repugnant
(٥) علم الجبر — Algebra

الموهوبين[١] بهذا الشكل، يتمتعون بحاسة إضافية. ولكننى أعتقد أنه لم يكن من شأنى أن أنجح، إلى مستوى يتعدى الدرجة المنخفضة. ولم أحقق شيئا بالنسبة للدراسات التقليدية[٢]، سوى حضور بعض المحاضرات الجامعية الإلزامية، وكان الحضور بشكل اسمى تقريبًا. وكان على فى العام الثانى أن أعمل لشهر أو شهرين، لكى أجتاز الامتحان الابتدائى للدرجة[٣]، وهو الشىء الذى قمت به بسهولة. وعملت مرة أخرى فى عامى الأخير- ببعض من الجدية- من أجل الامتحان الأخير للحصول على الدرجة العلمية فى الفنون والآداب[٤]، واستعادة دراساتى التقليدية، علاوة على بعض من الجبر والهندسة الإقليديسية[٥]، وقد منحتنى الأخيرة الكثير من السرور، كما فعلت عندما كنت فى المدرسة. وكان من الضرورى أيضا لكى أتمكن من اجتياز امتحان درجة الفنون والآداب، استذكار[٦] كتاب "بالى" Palcy حول "البراهين الخاصة بالمسيحية" Evidences of Christianity، وكتابه عن "الفلسفة الأخلاقية" Moral Philosophy. وقد تم القيام بذلك بطريقة جدية، وأنا مقتنع بانه كان بإمكانى القيام بكتابة جميع "بالبراهين"، بطريقة صحيحة تماما، لكن بالطبع ليس بلغة " بالى" الواضحة. وإذا كان لى أن أضيف، فقد منحنى المنطق الموجود فى كتاب، "علم اللاهوت الطبيعى" Natural Theology، الكثير من السرور، مثلما فعل علم الهندسة. وقد كانت الدراسة بعناية لتلك الأعمال، دون المحاولة لتعلم أى جزء عن طريق الحفظ الصم[٧]، تمثل الجزء الوحيد من المقرر الدراسى، بناء على ما شعرت به ومازلت أؤمن به، الأقل فائدة لى، فيما يتعلق

---

(١) موهوب — Endowed

(٢) الدراسات التقليدية = التقليديات * — Classics

(٣) الامتحان الابتدائى للدرجة — Little go

(٤) الدرجة العلمية فى الفنون والآداب — B.A. = Bachelor of Arts

(٥) الهندسة الأقليديسية — Euclid

(٦) استذكار = اكتساب معرفة — Get up

(٧) الحفظ الصم = الاستظهار بدون فهم — Rote

بتثقيف ذهنى. ولم أقم فى ذلك الوقت بإزعاج نفسى حول فذلكات[١] "بالى"، وقمت بتلقيها بثقة، وكنت مفتونا ومقتنعا بالسياق الطويل من المجادلة. واكتسبت عن طريق الإجابة الجيدة لأسئلة الامتحان عن "بالى"، وعن طريق قيامى بالإجابة بشكل جيد للهندسيات، وعن طريق عدم الرسوب بشكل مزر فى التقليديات، موقعا جيدا بين "العامة"، أو الجمع من الناس الذين لا يقومون بالتقدم للدرجات الشرفية[٢]. والشيء الغريب، هو أننى لا أستطيع تذكر المستوى الذى وصلت إليه، وذاكرتى تتذبذب حول أن ترتيبى كان الخامس، أو العاشر أو الثانى عشر، من الأسماء الموجودة فى القائمة [7].

كان يتم فى الجامعة إلقاء المحاضرات العمومية[٣]، التى تدور حول العديد من الفروع، وكان الحضور فيها يتم بشكل اختيارى تماما، لكننى كنت قد سئمت المحاضرات فى "إدنبرة"، إلى درجة أننى لم أحضر حتى محاضرات "سيد جويك" Sedgwick البليغة والمشوقة. ومن المحتمل أننى لو كنت أقدمت على ذلك، لكان من شأنى أن أصبح خبيرا فى علم طبقات الأرض، فى وقت أكثر تبكيرا عما حدث معى. إلا أننى حضرت محاضرات "هنسلو" Henslow التى كانت تدور حول علم النبات[٤]، وكنت أحبها جدا لوضوحها المتناهى، ورسومها التوضيحية المثيرة للإعجاب، لكننى لم أقم بدراسة علم النبات. وقد كان "هنسلو" معتادا أخذ تلاميذه، بما فى ذلك العديد من الأعضاء الأكبر عمرا فى الجامعة، فى جولات ميدانية، سيرا على الأقدام أو فى مركبات، إلى الأماكن البعيدة، أو فى صندل[٥] منحدرين فى النهر، وكان يحاضر عن النباتات والحيوانات النادرة التى تتم ملاحظتها. وكانت تلك الجولات مثيرة للبهجة.

---

(١) فذلكة = مقدمة منطقية Premise
(٢) الدرجات الشرفية = درجات الشرف Honours
(٣) عمومى = شعبى Public
(٤) علم النبات Botany
(٥) صندل = مركب نهرى مسطح ضخم Barge

رغم أنه كان هناك - كما سوف نرى الآن- بعض من الملامح التى من الممكن استغلالها من حياتى فى "كامبريدج"، فإن وقتى هناك تم تبديده بشكل محزن.فقد انغمست نتيجة لشغفى بالصيد والقنص، وعندما توقف ذلك، تحول إلى امتطاء الجياد عبر الريف، فى مجموعة رياضية، تضمنت بعضا من الرجال اليافعين الخلعاء المنحطين فى العقلية. وكنا معتادين فى كثير من الأحيان، أن تناول العشاء معًا فى المساء، رغم أن تلك الولائم كانت تشمل فى كثير من الأحيان، رجالاً من الضرب المرتفع، وكنا نقوم فى بعض الأحيان بالإفراط فى الشراب، مع الغناء المرح ولعب الورق بعد ذلك. وأعلم أنه يتوجب علىَّ الشعور بالخزى، من قضاء أيام وليالٍ بهذا الشكل، لكن حيث أن البعض من أصدقائى كانوا غاية فى اللطف، وكنا جميعًا نتمتع بأعلى روح معنوية ممكنة، فإننى لا أستطيع التغلب على الاسترجاع لتلك الأوقات بسرور كبير.

يسعدنى رغم كل شىء التفكير فى أننى تمتعت بالكثير من الأصدقاء ذوى الطباع المختلفة بشكل عريض. فقد كنت شديد الحميمية مع "هويتلى" Whitley [8]، الذى أصبح فيما بعد "مدرسا فى الرياضة البحتة*" Senior Wrangler، وكنا معتادين باستمرار على السير معًا لمسافات طويلة. وزرع بداخلى تذوق الصور والنقش[1] الجيد، التى ابتعت بعضها. وكنت أقوم بشكل متكرر، بالذهاب إلى صالة عرض[2] "فيتزويليام" Fitzwilliam، ولابد أن ذوقى كان جيدا بشكل معقول، لأننى كنت أشعر بالتأكيد بالإعجاب بأفضل التصاوير، التى كنت أتناقش حولها مع أمين المعرض العجوز. وقمت أيضا بالقراءة بانتباه شديد، لكتاب "السير جوشوا رينولد" Sir Joshua Reynold. وقد لازمنى هذا الذوق، رغم أنه غير طبيعى بالنسبة لى، لسنوات عديدة، وقامت الكثير من الصور الموجودة فى المعرض القومى National Gallery فى لندن بمنحى الكثير من السرور، وأثارت بداخلى صور "سباستيان ديل بيومبو" Sebastion del Piombo، الشعور بالتسامى[3].

---

(١) نقش Engraving
(٢) صالة عرض Gallery
(٣) التسامى = الرفعة Sublimity

انضممت أيضا إلى مجموعة موسيقية، وأعتقد أن ذلك تم عن طريق صديقى دافئ القلب "هيربرت" Herbert [9]، الذى حصل على درجة عالية فى الرياضة البحتة(١).واكتسبت نتيجة لمزاملتى لهؤلاء الرجال، والإنصات إلى عزفهم، تذوقا قويا للموسيقى، واعتدت فى كثير من الأحيان توقيت مسيراتى، لكى أستمع فى أيام الأسبوع إلى الترتيل(٢) فى مصلى "كلية الملك" King's college. وكان ذلك يمنحنى سرورا بالغا، إلى درجة أن عمودى الفقارى كان يرتعش فى بعض الأحيان. وأنا متأكد أنه لم يكن هناك أى تصنع أو حتى مجرد محاكاة فى هذا التذوق، لأننى كنت أذهب بمفردى إلى "كلية الملك"، وكنت أقوم فى بعض الأحيان باستئجار الصبية المنشدين(٣) للغناء فى محل إقامتى. ومع ذلك، فإننى محروم تماما من الأذن الموسيقية، إلى درجة أننى لا أستطيع إدراك أى نشاز، أو التوقيت والهمهمة(٤) لأى لحن بشكل صحيح، ومن غير المفهوم كيف تسنى لى على الإطلاق، أن أستمد السرور من الموسيقى.

سرعان ما أدرك أصدقائى الموسيقيون حالتى، وكانوا يقومون فى بعض الأحيان بتسلية أنفسهم، عن طريق جعلى أمر بامتحان، كان يتكون من التأكد من عدد الأنغام(٥) التى أستطيع التعرف عليها، عند عزفها بشكل أسرع أو أبطأ عن المعتاد. وعندما كان يتم عزف "حفظ الله الملك" God save the king بهذا الشكل، كان ذلك يمثل لغزا عويصا. وكان هناك رجلٌ آخر يتمتع بأذن سيئة، بنفس القدر الموجود لدىَّ تقريبا، ومن الغريب أن يقال، إنه كان يعزف قليلا على الناى(٦).وقد أحرزت فى إحدى المرات انتصارا عليه، فى واحد من تلك الامتحانات الموسيقية.

---

(١) الرياضة البحتة * درجات الشرف فى الرياضيات فى كامبريدج — Wrangler
(٢) الترنيم = الانشاد — Anthem
(٣) الصبية المنشدين — Chorister boys
(٤) همهمة — Hum
(٥) نغم — Tune
(٦) الناى = الفلوت — Flute

لم يكن هناك أى سعى متواصل، اتبعته فى "كامبريدج"، بأى درجة مقاربة من التلهف، أو منحنى هذا القدر الكبير من السرور، مثل القيام بجمع الخنافس[١]. وقد كان ذلك لمجرد الشغف بالجمع، لأننى لم أكن أقوم بتشريحها، ونادرا ما كنت أقوم بمقارنة صفاتها الخارجية، مع الأوصاف المنشورة عنهم، ولكننى تمكنت بشكل ما من تسميتها. وسوف أقوم بتقديم برهان يدل على حماسى، فقد رأيت فى يوم من الأيام - أثناء قيامى بنزع لحاء قديم لشجرة - اثنين من الخنافس النادرة، وقمت بالقبض على واحد منهما فى كل يد، ثم رأيت بعد ذلك خنفسا ثالثا ومن صنف جديد، لم أحتمل أن أفقده، وبناء على ذلك، قمت بوضع الخنفس الذى كنت أقبض عليه فى يدى اليمنى داخل فمى. إلا أنه قام للأسف[٢]، بلفظ سائل لاذع[٣] أحرق لسانى، إلى درجة اضطرتنى إلى بصق الخنفس، وبذلك فقدته، كما فقدت الثالث كذلك.

كنت ناجحا جدا فى جمع الخنافس، وقمت باختراع طريقتين جديدتين، حيث قمت بتوظيف عامل للقيام أثناء فصل الشتاء، بالكشط[٤] وإزالة الطحالب[٥] عن الأشجار القديمة ووضعها فى حقيبة كبيرة، والقيام كذلك بجمع النفايات[٦]، الموجودة عند قيعان الصنادل النهرية[٧]، التى يتم فيها إحضار البوص[٨] من المستنقعات[٩]، وحصلت بهذا الشكل على عينات نادرة جدا. ولم يشعر أحد الشعراء

---

(١) خنفسة — Beetle
(٢) للأسف — Alas
(٣) لاذع — Acrid
(٤) يقشط — Scrape
(٥) إزالة الطحالب — Moss off
(٦) نفايات — Rubbish
(٧) صندل نهرى — Barges
(٨) بوص — Reed
(٩) مستنقع — Fen

على الإطلاق بالبهجة بشكل أكبر عند رؤيته نشر أولى قصائده، عما شعرت به عند رؤيتى فى كتاب "ستيفن" Stephen "الرسوم التوضيحية الخاصة بالحشرات البريطانية" Illustrations of British Insects، الكلمات السحرية التالية: "تم القبض عليه بواسطة تشارلس. داروين، المحترم[١]".وقد تم تقديمى إلى علم الحشرات[٢] عن طريق ابن عمى "و. داروين فوكس" W. Darwin Fox، وهو رجل بارع وغاية فى اللطف، وكان فى ذلك الوقت فى "كلية المسيح" Christ's College، والذى أصبحت على علاقة حميمة جدا به. وأصبحت فيما بعد ملمًّا بالموضوع وخرجت لجمع العينات، مع "ألبرت واى" Albert Way التابع لكلية "الثالوث" Trinity، الذى أصبح فى السنوات التالية عالما مشهورًا فى علم الآثار القديمة[٣]، وذهبت كذلك مع "هــ. ثومــبسون" H. Thompson التابع لنفس الكلية، الذى أصبح فيما بعد خبيرا بارزا فى الزراعة[٤]، ورئيسا لمجلس إدارة شركة عظيمة للسكك الحديدية، وعضوا فى البرلمان. ويبدو بهذا الشكل، أن الميل للقيام بجمع الخنافس، يمثل مؤشرا ينم على النجاح المستقبلى فى الحياة!.

أنا مندهش من الانطباع الذى لا يمحى- الذى تركته الكثير من الخنافس التى أمسكت بها- على ذهنى. وأستطيع تذكر المظهر الدقيق للبعض المعين من المواقع، والأشجار القديمة، والضفاف التى قمت بالفوز فيها بغنيمة جيدة. وقد كان الــبانغوص الصليبى العظيم[٥] الجميل كنزا فى تلك الأيام، ورأيت هنا فى "داون" Down خنفسا يجرى عبر طريق مخصص للسير، وعندما قمت بالتقاطه، أدركت أنه يختلف بشكل بسيط، عن الــبانغوص الصليبى العظيم، وقد تبين أنه خنفس

---

(١) المحترم — Esq. = Esquire

(٢) علم الحشرات — Entomology

(٣) علم الآثار القديمة — Archaeology

(٤) خبير زراعى — Agriculturist

(٥) الــبانغوص الصليبى العظيم * — Panagaeus crux-major

الـــپانغوص رباعى الرقطات[١]، الذى لا يتعدى أن يكون ضربا[٢] أو نوعا[٣] متقاربا بشكل حميم[٤]، يختلف عنه بشكل بسيط جدا فى الشكل الكفافى[٥]. ولم أشاهد على الإطلاق فى تلك الأيام، خنفسا ليسينيا[٦] حيا، الذى لا يختلف بشكل كبير للعين غير المتمرسة، عن الكثير من الخنافس الأرضية[٧]، لكن أولادى عثروا هنا على إحدى العينات، وقد أدركت على الفور أنه كان جديدا بالنسبة لى، مع أننى لم أتطلع إلى خنفس بريطانى، على مدى العشرين عاما الأخيرة.

لا أذكر إلى الآن أى ظرف قام بالتأثير على مجرى حياتى بأكمله، بشكل أكثر من أى ظرف آخر.. من صداقتى مع "الأستاذ هنسلو" Prof. Henslow. وقد سمعت عنه قبل حضورى إلى "كامبريدچ" من أخى، على أساس أنه رجل عالم بكل فرع من فروع العلم، وكنت بناء على ذلك مستعدا لتبجيله. وكان معتادا إقامة "بيت مفتوح" مرة كل أسبوع، حيث كان جميع الطلاب، والبعض من أعضاء الجامعة، المرتبطين بالعلوم، على اللقاء فى المساء. وسرعان ما حصلت عن طريق "فوكس" Fox على دعوة، وداومت على الذهاب هناك بشكل منتظم. وأصبحت قبل مضى وقت طويل، على معرفة شخصية جيدة مع "هنسلو"، وكنت أقوم خلال النصف الأخير من الوقت الذى أمضيته فى "كامبريدچ"، بالسير معه لمسافات طويلة فى معظم الأيام، إلى درجة الإطلاق علىّ، عن طريق البعض من الأساتذة[٨]: "الرجل الذى يسير مع هنسلو"، وكانت تتم فى أحيان كثيرة جدا دعوتى فى المساء،

---

(١) خنفس الـــپانغوص رباعى الرقطات * Panagaeus quadripunctatus
(٢) ضرب (حى) Variety
(٣) نوع (حى) Species
(٤) متقارب بشكل حميم Closely allied
(٥) الشكل الكفافى Outline
(٦) خنفس ليسينيا # Licinus
(٧) الخنافس الأرضية (فصيلة) Carabidous beetles
(٨) أستاذ جامعى Don

للمشاركة فى وجبته العائلية. وقد كانت معرفته عظيمة فى النباتيات(١)، والحشراتيات(٢)، والكيمياء، والمعدنيات(٣)، وعلم طبقات الأرض. وكان أقوى ولع لديه، القيام باستنباط استنتاجات من مشاهدات دقيقة مستمرة لوقت طويل. وكان حكمه على الأمور ممتازا، وكان ذهنه بأجمعه متزنا، ولكننى لا أفترض أن من شأن أى شخص القول بأنه كان يحوز الكثير من النبوغ الأصيل. وقد كان متدينا بشكل عميق، ومستقيم الاعتقاد، إلى درجة أنه قال لى فى أحد الأيام، إنه سوف يشعر بالأسى، إذا تم التغيير لكلمة واحدة من البنود(٤) التسعة والثلاثين. وكانت خواصه الأخلاقية مثيرة للإعجاب بكل شكل. وكان خاليا من أى شائبة من خيلاء، أو أى من المشاعر التافهة الأخرى، و لم أشاهد أى إنسان مثله، لا يفكر إلا قليلا، فيما يتعلق بشخصه أو يتعلق بأموره. وكان مزاجه هادئا بشكل جيد، مع تمتعه بأخلاق مستميلة وكيسة إلى أقصى حد، ورغم ذلك، وكما شاهدت، فقد كان من الممكن استثارته عن طريق أى تصرف سيىء، إلى أقصى درجات السخط والتصرف الحازم.

شاهدت فى إحدى المرات وأنا فى صحبته، فى شوارع " كامبريدج"، منظرا على نفس الدرجة من الترويع، الذى كان من الممكن رؤيته، أثناء الثورة الفرنسية. حيث تم القبض على اثنين من الصبية الخطافين، اللذين تم انتزاعهما أثناء أخذهما إلى السجن، من المسئول عن الأمن، بواسطة حشد من أكثر الرجال خشونة، الذين قاموا بسحبهما من أرجلهما على طول الطريق الموحل الحجرى. وكانا مغطيين من الرأس إلى القدم بالوحل، ووجهاهما ينزفان، إما نتيجة لركلهما وإما من الأحجار، وكانا يبدوان مثل الجثث الهامدة، لكن الحشد كان كثيفا جدا، إلى درجة أننى لم أحظ

---

(١) النباتيات * =علم النبات — Botany

(٢) الحشراتيات *= علم الحشرات — Entomology

(٣) المعدنيات * = علم المعادن — Minero

(٤) بند = فقرة — Article

إلا بلمحات عابرة، من هذين الكائنين البائسين. ولم أشاهد فى حياتى على الإطلاق، مثل هذا الحنق مرسوما على وجه إنسان، مثل ذلك الذى بدا على "هنسلو"، نتيجة لهذا المنظر المروع. وقد حاول بشكل متكرر اختراق هذه الجمهرة، لكن الأمر كان مستحيلا. وعندها أسرع بالذهاب إلى عمدة المدينة[1]، طالبا منى ألا ألحق به، لكن أن أحاول إحضار عدد أكبر من رجال الشرطة. ولقد نسيت هذه الحادثة، عدا أنه تم إيداع الرجلين فى السجن، دون أن يتم قتلهما.

كانت النزعة الخيرية[2] الموجودة لدى "هنسلو" غير محدودة، وذلك ما قام بإثباته عن طريق الكثير من المشروعات الممتازة، التى قام بها من أجل الفقراء التابعين لأبرشيته[3] عندما قام فى السنوات التالية، باتخاذ مقام له فى "ليتشام" Litcham. وكانت علاقتى الحميمة مع رجل على هذه الشاكلة جديرة بأن تكون ذات فائدة لا يمكن تقديرها. ولا أستطيع مقاومة ذكر إحدى الحوادث التافهة، التى توضح مراعاته الكريمة لظروف الآخرين. فقد رأيت أثناء قيامى بفحص البعض من حبوب اللقاح[4] على سطح مبلل، الأنابيب بارزة وأسرعت على الفور لإبلاغه اكتشافى المدهش. ولا أظن أن أى أستاذ نباتيات آخر،كان فى استطاعته منع نفسه من الضحك، لدخولى بمثل هذه العجالة لتوصيل مثل هذه المعلومة. لكنه اتفق معى على مدى التشويق الذى كانت عليه هذه الظاهرة، وقام بشرح معناها، لكنه جعلنى أفهم بوضوح، كيف أنها معلومة جدا، وتركته بهذا الشكل، دون أى جرح بسيط لمشاعرى، لكننى كنت سعيدا لأنى اكتشفت بنفسى حقيقة، على مثل هذا القدر من الجدارة بالملاحظة، لكننى صممت على ألا أكون على مثل هذه الدرجة من التسرع مرة أخرى، عند القيام بالإبلاغ عن اكتشافاتى.

---

(١) عمدة المدينة — Mayor

(٢) النزعة الخيرية — Benevolence

(٣) التابع للأبرشية — Parishioner

(٤) حبوب اللقاح — Pollen-grains

كان "الدكتور هويويل" Dr. Whewell واحدا من الكبار فى السن والمحترمين، الذين يقومون بزيارة "هنسلو" أحيانا، وسرت معه فى مناسبات عديدة، إلى المنزل ليلا. وكان التالى "للسـ ـ ج. ماكينتوش"، فى كونه أفضل المحادثين حول المواضيع الخطيرة، الذين استمعت إليهم على الإطلاق. وكثيرا ما كان "ليونارد چـينينز" Leonard Jenyns [10]، الذى قام فيما بعد بنشر بعض المقالات العلمية الجيدة فى التاريخ الطبيعى [11]، يمكث مع "هنسلو"، الذى كان نسيبا(١) له. وقمت بزيارته فى منزله الكنسى(٢)، الموجود على حدود المستنقعات (سوافهام بولبك" Swaffham Bulbeck)، وحظيت معه بالكثير من المسيرات والمحادثات الجيدة، حول التاريخ الطبيعى. وأصبحت على معرفة جيدة مع العديد من الرجال الآخرين الأكبر منى سنا، الذين لم يكن لديهم أى اهتمام كبير بالعلم، لكنهم كانوا أصدقاء لـــ "هنسلو". وكان أحدهم رجلا إسكتلنديا، وهو أخو "السير "ألكزاندر رامسى" Sir Alexander Ramsay، ويقوم بالتدريس(٣) فى "كلية عيسى" Jesus College، وكان رجلا مبهجا، ولكنه لم يظل حيا لمدة طويلة. وكان الآخر "السيد داويس" Mr. Dawes الذى أصبح فيما بعد عميدا لـــ "هيرفورد" Hereford، والمشهور لنجاحه فى تعليم الفقراء. وكان هؤلاء الرجال وغيرهم من نفس المستوى، بالإضافة إلى "هنسلو"، معتادين على القيام برحلات بعيدة داخل الريف، التى كان من المسموح لى اللحاق بها، وكانت تلك الرحلات سائغة إلى أقصى حد.

أظن بالتطلع إلى الوراء أنه كان هناك شىء موجود بداخلى، مرتفع بعض الشىء عن الضرب الشائع من الشباب، وإلا لكان من شأن الرجال المذكورين أعلاه، الأكبر منى سنا بهذا القدر الكبير، والأعلى فى المراكز التعليمية، ألا يسمحوا لى على الإطلاق بالتعامل معهم. ولم أكن على دراية بالتأكيد بأى تفوق من

---

(١) نسيب Brother-in-law

(٢) منزل كنسى = بيت الكاهن Parsonage

(٣) مدرس = يدرس Tutor

هذا القبيل، وأتذكر واحدا من أصدقائى الرياضيين، وهو "تيرنر" Turner، الذى شاهدنى أثناء انشغالى بالخنافس، وقال إن من شأنى أن أصبح فى يوم ما زميلا فى الجمعية الملكية Royal Society، وقد بدت لى هذه الفكرة على أساس أنها منافية للمعقول.

قرأت فى غضون السنة الأخيرة لى فى "كامبريدج"، بعناية واهتمام بالغين، كتاب "هامبولدت" Humboldt بعنوان "رواية شخصية" Personal Narrative. وقد قام هذا الكتاب، وكتاب "السير هيرتشل" Sir Herschel بعنوان "مقدمة إلى دراسة الفلسفة الطبيعية" Introduction to the study of Natural Philosophy، بإثارة حماس متقد بداخلى، للإضافة ولو بأى مساهمة متواضعة، إلى بنيان العلوم الطبيعية النبيل. ولم يتم التأثير علىّ عن طريق أى واحد أو حتى دزينة من الكتب الأخرى، بنفس القدر الكبير، الذى قام به هذان الكتابان. ولقد قمت بالنقل لعدد من مقاطع "هامبولدت" الطويلة، التى تدور حول "تينيريف" Teneriffe، وقمت بقراءتها بصوت مرتفع، أثناء واحدة من الرحلات المذكورة أعلاه، وأعتقد أن ذلك كان أمام "هينسلو"، و"رامسى"، و"دايس"، لأننى تحدثت فى مناسبة سابقة عن مفاخر "تينيريف"، وأعلن بعض أعضاء المجموعة، أن من شأنهم محاولة الذهاب إلى هناك، لكننى أعتقد أنهم كانوا نصف جادين فقط. إلا أننى قمت بجدية تامة، بالتعرف على تاجر موجود فى "لندن"، للاستعلام عن المراكب، ولكن تم القضاء على هذا المخطط بالطبع، عن طريق رحلة السفينة "البيجل" البحرية.

تخليت عن عطلتى الصيفية من أجل القيام بجمع الخنافس، والبعض من القراءة، والجولات قصيرة المدى. وكان وقتى فى الخريف مكرسا بأكمله للصيد بالبنادق، بشكل رئيسى فى "وودهاوس" و"مير"، وفى بعض الأحيان مع "إيتون" اليافع سليل عائلة "أيتون" Eyton. وكانت السنوات الثلاث الكاملة التى قضيتها فى "كامبريدج"، فى مجملها أكثر الفترات بهجة فى حياتى السعيدة كلها، حيث كنت أستمتع فى ذلك الحين، بصحة ممتازة، وكنت أتمتع دائما تقريبا، بمعنويات مرتفعة.

اضطررت نتيجة لحضورى فى أول الأمر إلى "كامبريدج" فى عيد الميلاد، إلى البقاء لفترتين دراسيتين، بعد اجتيازى الامتحان النهائى، وذلك فى بداية عام ١٨٣١، وقام "هنسلو" عندئذ بإقناعى بالبدء فى دراسة علم طبقات الأرض. وقمت بناء على ذلك، عند عودتى إلى "شر وبشير" بفحص قطاعات(١)، وتلوين خريطة الأجزاء المحيطة بـ "شروزبرى". وأراد "الأستاذ سيد جويك" Prof. Sedgwick القيام بزيارة "شمال ويلز" فى بداية شهر أغسطس، لاستكمال دراساته الـجيولوجية الشهيرة، المتعلقة بالصخور الأكثر قدما، وطلب منه "هنسلو" السماح لى بمصاحبته[12]. وبناء عليه، فإنه حضر وقضى الليلة فى منزل والدى.

قامت محادثة قصيرة معه فى غضون هذا المساء، بترك انطباع قوى على ذهنى. وأخبرنى أحد العمال أثناء فحص حفرة قديمة مليئة بالحصى(٢) بالقرب من "شروزبرى"، أنه عثر فيها على قوقعة(٣) حلزونية(٤) استوائية(٥) ضخمة متهرئة، مثل التى من الممكن مشاهدتها على رفوف مستوقدات(٦) البيوت الريفية، وحيث إنه رفض بيع القوقعة، اقتنعت بأنه عثر عليها بالفعل فى الحفرة. وعندما أخبرت "سيدجويك" بهذه القوقعة، قال على الفور (ولا شك فى أن ذلك كان بشكل حقيقى): لابد أن شخصا تخلص منها بإلقائها فى الحفرة، لكنه أضاف بعد ذلك، لو كانت مطمورة حقا هناك، فمن شأن ذلك أن يكون أكبر محنة لعلم طبقات الأرض، لأن من شأن ذلك قلب موازين كل ما نعرفه عن الرواسب(٧) السطحية الموجودة بأقطار

---

(١) قطاع — Section

(٢) حفرة مليئة بالحصى * — Gravel-pit

(٣) قوقعة — Shell

(٤) حلزونية — Volute

(٥) إستوائى — Tropical

(٦) رف المستوقد — Chimney-piece

(٧) رواسب — Deposits

الأرض المتوسطة Midland. فتلك القيعان[١] الحصوية تابعة فى واقع الأمر، إلى العصر الجليدى[٢]، ولقد عثرت فيها فى السنوات التالية، على قواقع قطبية[٣] محطمة. لكننى كنت فى ذلك الوقت مذهولا بشكل تام، من أن "سيد جويك" لم يشعر بالابتهاج من حقيقة مدهشة، مثل العثور على قوقعة استوائية، قريبة من السطح، فى وسط إنجلترا. ولم يحدث قبل ذلك أى شىء على الإطلاق، من شأنه أن يجعلنى أتحقق بشكل تام، رغم قراءتى العديد من الكتب العلمية، من أن العلم يتألف من تجميع للحقائق، حتى يمكن بهذا الشكل، استخلاص القوانين العامة أو الاستنتاجات منها.

انطلقنا فى الصباح التالى إلى "لانجولين" Llangollen، و"كونواى" Conway، و"بانجور" Bangor، و"كابل كوريج" Capel Curig. وكانت لهذه الجولة فائدة مؤكدة بالنسبة لى، فى تعليمى بشكل قليل، لكيفية القيام بتحديد الطبقات الأرضية، الخاصة بأى قطر. وكان "سيد جويك" يقوم بإرسالى فى كثير من الأحيان، فى خط مواز لخطه، ويكلفنى بإحضار عينات من الصخور، وتحديد الطبقات الأرضية على خريطة. وليس لدى أى ظل من الشك، فى أنه قام بذلك ابتغاء صالحى، لاننى كنت غاية فى الجهل بدرجة لا تمكننى من تقديم أى مساعدة له. وتعرضت فى هذه الجولة لحدث لافت للنظر يوضح سهولة الإغفال للظواهر، مهما كانت واضحة، قبل أن تتم ملاحظاتها بواسطة أى شخص آخر. حيث قضينا ساعات طويلة فى "كوم إيدوال" Cwm Idwal، قائمين بفحص جميع الصخور بعناية تامة، لأن "سيد جويك" كان متشوقا للعثور فيها على مستحاثات[٤]، ولكن لم ير أى منا أى أثر ينم عن الظواهر الثلجية المدهشة، الموجودة فى كل مكان حولنا، فإننا لم نلاحظ الصخور المثلومة[٥]

---

(١) قيعان — Beds
(٢) العصر الجليدى — Glacial period
(٣) قطبى — Arctic
(٤) مستحاثات = أحافير — Fossils
(٥) مثلوم = محزوز = مخدوش — Scored

بشكل واضح، والجلاميد الصخرية الجاثمة[١]، والركام[٢] الجانبي[٣] والطرفي[٤] المجروف. إلا أن تلك الظواهر كانت واضحة جدا، الى درجة أننى أعلنت فى مقالة علمية، تم نشرها بعد سنوات عديدة فى "المجلة الفلسفية" Philosophical Magazine [13]،أن المنزل المحترق تماما لن يبوح بقصته بشكل أكثر وضوحا، عما قام هذا الوادى بفعله. ولو كان هذا الوادى مازال مملوءا بالثلوج، لكان من شأن تلك الظواهر أن تكون أقل وضوحا، مما هى عليه الآن.

تركت "سيدجويك"، عند "كابل كوريج" وانطلقت فى خط مستقيم بواسطة بوصلة[٥] وخريطة، عبر الجبال إلى "بارموث" Barmouth، ولم أتبع على الإطلاق أى درب[٦] إلا إذا تصادف وجوده فى مسارى. ووصلت بهذا الشكل إلى البعض من الأماكن الوحشية الغريبة، واستمتعت بشكل كبير بهذه الطريقة للترحال. وقمت بزيارة "بارموث"، لرؤية بعض الأصدقاء من أيام "كامبريدج"، الذين كانوا يقومون بالاطلاع هناك، ثم عدت بعد ذلك إلى "شروزبرى" وإلى "مير"، للصيد بالبنادق، حيث كان من شأنى أن أظن فى ذلك الوقت أننى أصبت بالجنون، للتخلى عن الأيام الأولى من إطلاق النار على طيور الحجل[٧]، من أجل علم طبقات الأرض، أو أى علم آخر.

---

(١) جاثم — Perched

(٢) ركام : تراب وحجارة مجروفة بنهر جليدى — Morain

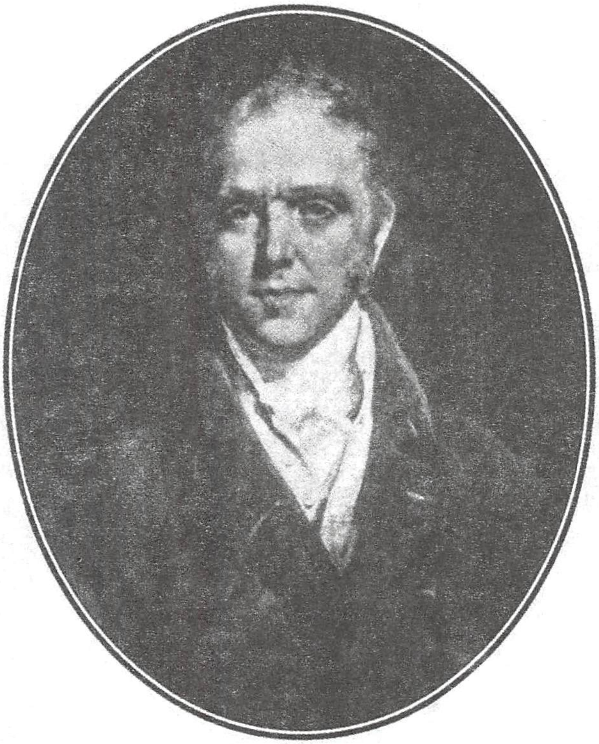
(٣) جانبى — Lateral

(٤) طرفى — Terminal

(٥) بوصلة = بيت الإبرة = إبرة الملاحين — Compass

(٦) درب — Track

(٧) طائر الحجل — Partridge



لوحة (١٦)

جوشوا ويدجورد – خاله

رحلة "البيجل"

من ٢٧ ديسمبر ١٨٣١ إلى ٢ أكتوبر ١٨٣٦

وجدت عند عودتى إلى المنزل بعد جولتى الـــچيولوچية القصيرة فى شمال ويلز، خطابا صادرا من "هنسلو"، ينبئنى بأن "القبطان فيتز-روى" Captain Fitz-Roy مستعد للتنازل عن جزء من قمرته[١] الخاصة لرجل يافع، يتطوع للذهاب معه بدون أجر مدفوع، كممارس للعلوم الطبيعية[٢]، فى رحلة [٣] السفينة البيجل[٤] البحرية. وأعتقد أننى قمت بتقديم تقرير فى دفتر يومياتى المكتوبة بخط يدى[٥]، عن جميع الملابسات التى حدثت فى ذلك الوقت، وسوف أقتصر هنا على القول، بأننى كنت متلهفا على الفور، لقبول هذا العرض، لكن أبى اعترض بشدة، مضيفا لحسن حظى بالكلمات:"إذا كان بإمكانك العثور على أى رجل ذى حصافة، من الممكن أن ينصحك بالذهاب، فإننى سوف أمنحك موافقتى". وقمت بناء على ذلك بتحرير خطاب فى ذلك المساء برفض العرض. ثم ذهبت فى الصباح التالى إلى "مير"، لأكون مستعدا للأول من سبتمبر، وأثناء قيامى بإطلاق النار، أرسل خالى [14] فى طلبى، وعرض أن يصحبنى فى عربته إلى "شروزبرى" ليتبادل الحديث مع والدى، لأن خالى كان يعتقد، أنه سوف يكون تصرفا حكيما من جانبى قبول العرض، وحيث أن أبى كان يعتبره دائما على أساس أنه الرجل الأكثر حكمة فى

---

(١) قمرة = حجرة على ظهر سفينة — Cabin

(٢) ممارس للعلوم الطبيعية — Naturalist

(٣) رحلة (بحرية) — Voyage

(٤) إسم السفينة = نوع من كلاب الصيد قصير القوائم ناعم الوبر — Beagle

(٥) دفتر يوميات مكتوب بخط اليد — MS. Journal

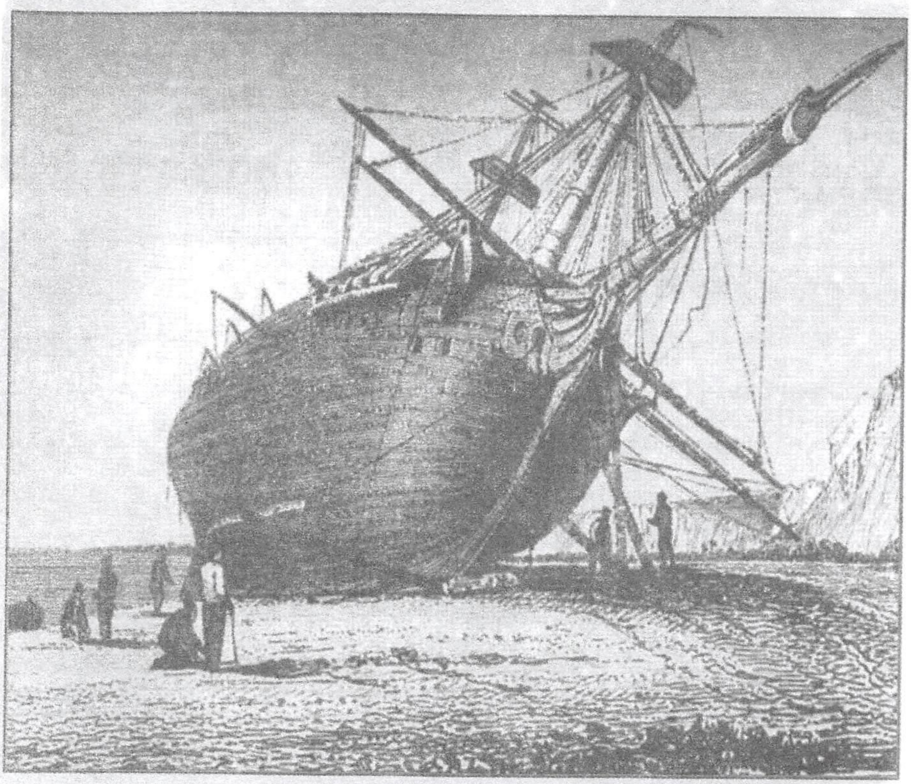
العالم، فقد وافق على الفور، بأرق طريقة ممكنة. لقد كنت مسرفًا[١] بعض الشيء في فترة "كامبريدج"، ولذا قلت لوالدى لكى أواسيه[٢] من شأنى أن أكون شيطانا بارعا، لإنفاق ما هو أكثر من مخصصاتى المالية، وأنا على متن السفينة "البيجل"، لكنه أجابنى بابتسامة:"ولكنهم أخبرونى أنك بارع جدا".

انطلقت فى اليوم التالى إلى "كامبريدج" لرؤية "هنسلو"، ومن هناك إلى "لندن"لمقابلة "فيتز روى"، وسرعان ما تم ترتيب جميع الأمور. وسمعت فيما بعد، عندما أصبحت على علاقة حميمة جدًّا مع "فيتز روى"، أننى كنت فى خطر كبير جدا لأن يتم رفضى، بناء على شكل أنفى!.حيث إنه كان من مريدى[٣] "لافاتير" Lavater، الغيورين[٤] وكان مقتنعا بأن فى استطاعته الحكم على شخصية أى رجل، عن طريق الخطوط الكفافية لملامحه، وقد ساوره الشك فيما إذا كان من الممكن لشخص له أنفى، أن يكون حائزا نشاطًا وتصميمًا كافيين لهذه الرحلة. لكننى أعتقد أنه أصبح فيما بعد مقتنعا بشكل كاف جدا، بأن أنفى تحدث بشكل خاطئ.

كانت شخصية "فيتزروى" فريدة[٥]، وتتمتع بمميزات كثيرة غاية فى النبل: فإنه كان متفانيا فى واجباته، كريما إلى حد النزق، جسورا، حاسما[٦]، نشيطا بشكل لا يقهر[٧]، وصديقا غيورا لكل من هم تحت إمرته. وكان من شأنه تحمل أى نوعية من المشقة، لمساعدة من يعتقد أنهم يستحقون المساعدة. وكان رجلا وسيما، ويبدو كرجل نبيل بشكل لافت للنظر، متمتع بأخلاق مراعية للأصول بشكل عال،

---

(١) مسرف = مفرط — Extravagant
(٢) يواسى — Console
(٣) مريد — Disciple
(٤) غيور = متحمس = متوهج — Ardent
(٥) فريد — Singular
(٦) حاسم — Determined
(٧) لا يقهر — Indomitable



لوحة (١٧)

السفينة "البيجل" على الشاطئ (للصيانة)

تماثل خاله[١]، "اللورد كاستليرى" Lord Castlereagh المشهور، كما أخبرنى الوزير المفوض[٢] الموجود فى "ريو" Rio. ولابد أنه ورث أيضا الكثير مما يتعلق بمظهره، عن الملك "تشارلس الثانى" Charles II، لأن "الدكتور واليتش" Dr. Wallich أعطانى مجموعة من الصور الضوئية التى قام بالتقاطها، وصدمت من التماثل الموجود بواحدة منها مع "فيتزروى"، وعند ما تطلعت إلى الاسم وجدت أنه "ش. إ. سوبيسكى ستيوارت" Ch. E. Sobieski Stuart، "كونت ألبانى" Count d'Albanie، سليل نفس الملك.

كان مزاج "فيتزروى" تعيسا إلى أقصى درجة، وكان فى العادة أسوأ ما يكون فى الصباح الباكر، وكان فى استطاعته عن طريق حدة إبصاره التقاط أى شيء خاطئ موجود فى السفينة، وكان عندئذ عديم الرحمة فى ملامته. ورغم أنه كان غاية فى الرقة معى، فإنه كان رجلا من الصعب بشكل كبير التعايش معه بعلاقات حميمة، وهو الشيء الذى كان من شأنه أن ينتج بالضرورة، عن التواجد بمفردنا فى نفس القمرة. وقد حدثت بيننا كثير من المشاجرات، وعلى سبيل المثال، فإنه كان فى وقت مبكر من الرحلة عند "باهيا" Bahia فى "البرازيل" Brazil، يدافع ويشيد بالاسترقاق، وهو الشيء الذى أمقته، وأخبرنى أنه قام بزيارة أحد الملاك الكبار للعبيد، الذى قام باستدعاء عدد كبير من عبيده، وسألهم ما إذا كانوا سعداء، وما إذا كانوا يودون أن يصبحوا أحرارا، فأجاب الجميع بـــ "لا". وعندئذ سألته- وربما كان ذلك بسخرية- عما إذا كان قد دار بخلده، إن كانت إجابة العبيد فى وجود سيدهم تساوى أى شيء؟. وقام ذلك بإثارة غضبه بدرجة كبيرة، وقال بما أننى أشك فى كلمته، فلن نستطيع أن نتعايش معًا أكثر من ذلك. وقد اعتقدت أنه سوف يجبرنى على مغادرة السفينة، ولكن بمجرد انتشار الخبر، وهو الشيء الذى حدث بسرعة، لأن القبطان أرسل فى طلب المساعد الأول، لتسكين غضبه بالإساءة

(١) الخال Maternal uncle

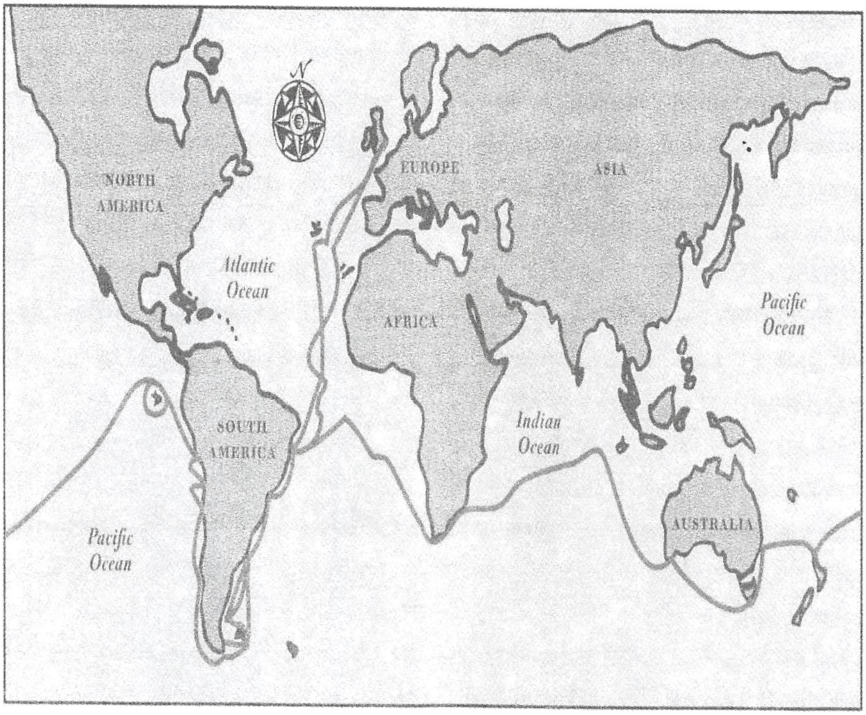
(٢) الوزير المفوض Minister

إلىّ، تمت ترضية خاطرى بشكل عميق، عندما تلقيت دعوة من جميع ضباط غرفة المدفعية، لكى أقيم معهم. ولكن بعد مرور ساعات قليلة، قام "فيتزروى" بالكشف عن شهامته المعتادة، بأن أرسل إلىّ ضابطا يحمل اعتذاره، و رجاءه بالاستمرار فى المعيشة معه. لقد كانت شخصيته من نواح عديدة، واحدة من أكثر الشخصيات التى عرفتها نبلا.

كانت رحلة "البيجل" إلى مدى بعيد، أكبر حدث مهم فى حياتى، وقد قامت بتحديد مسار حياتى بأكمله، ومع ذلك فإنها اعتمدت على مصادفات غاية فى الضآلة، مثل قيام خالى باصطحابى فى عربته، لمسافة ثلاثين ميلا إلى "شروزبرى"، وهو الشىء الذى من شأن القليل من الأخوال والأعمام القيام به، وعلى شىء غاية فى التفاهة، مثل شكل أنفى. ولقد شعرت دائما، بأنى مدين لهذه الرحلة، بأول تدريب أو تثقيف حقيقى لذهنى، فقد تمت قيادتى إلى الانتباه بشكل حميم، إلى العديد من فروع التاريخ الطبيعى، وتم بهذا الشكل تحسين قدراتى على الملاحظة، رغم أنها كانت دائما ظاهرة بشكل واضح.

كان فحص طبقات الأرض، فى جميع الأماكن التى تمت زيارتها، أكثر أهمية بشكل كبير، حيث كان الترزن ووزن الأمور[1] يلعب هنا دورا. فقد لا يبدو عند الفحص الأول لأى منطقة جديدة، أن هناك شيئًا أكثر بعثا للقنوط، عن الفوضى التى تتناثر بها الصخور، لكن التسجيل لترتيب الطبقات، وطبيعة الصخور والمستحاثات، فى مواقع متعددة، يؤدى دائما إلى الاستنتاج والتنبؤ بما سوف يتم العثور عليه فى موقع آخر، وسرعان ما يسطع الضوء على المنطقة، ويصبح تركيب كل الأشياء قابلا للفهم بشكل أو بآخر. وقد اصطحبت معى الجزء الأول من كتاب "لايل" Lyell، بعنوان " أساسيات علم طبقات الأرض" Principles of Geology، الـــذى قمت بدراسته باهتمـــام شديد، وأفـــادنى الكتاب إلى أقصى حد

(١) الترزن = وزن الأمور • Reasoning



لوحة (١٨)

خط إبحار السفينة "البيجل" حول العالم (١٨٣١ إلى ١٨٣٦)

بطرق كثيرة. وقد قام الموقع الأول الذى قمت بفحصه على الإطلاق، وهو بالتحديد "سانت چاجو" St. Jago، الموجود فى "جزر الرأس الأخضر" Cape de Verde Islands، بالكشف لى بوضوح، عن التفوق المدهش لطريقة "لايل"، فى معالجة علم طبقات الأرض، بالمقارنة بكتب أى مؤلف آخر كانت معى، أو قمت بقراءتها فيما بعد.

كانت الأشياء الأخرى التى تشغلنى تتمثل فى جمع الحيوانات من جميع الطبقات، ووصفها باختصار، والقيام بالتشريح بشكل استقرابى، للكثير من الحيوانات البحرية، لكن ثبت نتيجة لعدم قدرتى على الرسم، ونتيجة لعدم إلمامى بشكل كاف بالمعلومات التشريحية، أن قدرا كبيرا من المذكرات التى دونتها أثناء الرحلة، كان غير مفيد على الإطلاق تقريبا. وفقدت بهذا الشكل الكثير من الوقت، باستثناء ذلك الذى قضيته فى اكتساب بعض المعلومات عن الحيوانات القشرية(١) وقد أفادنى ذلك كثيرا فى السنوات القادمة، عندما توليت القيام بدراسة منفردة(٢) عن الحيوانات هدابية الأقدام(٣).

كنت أقوم بتدوين يومياتى(٤)، خلال جزء من اليوم، وعانيت كثيرا من محاولات الوصف بعناية وبشكل حى، لجميع ما قد شاهدته، لكن هذا كان تدريبا جيدا. وكانت يومياتى مفيدة أيضا، فى جزء منها، كخطابات لموطنى، وكان يتم إرسال أجزاء منها إلى إنجلترا، كلما كانت هناك فرصة لذلك.

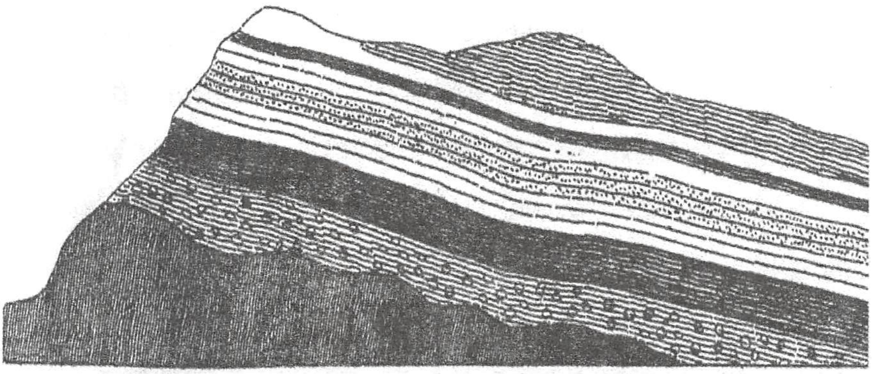
---

(١) الحيوانات القشرية = القشريات — Crustaceans

(٢) دراسة منفردة — Monograph

(٣) الحيوانات هدابية الأقدام — Cirripedia

(٤) يوميات = سجل — Journal



لوحة (١٩)

الراقة الأرضية البيضاء - "سانت چاچو"

جزر الرأس الأخضر

لم تكن الدراسات المتنوعة المذكورة أعلاه، رغم كل شيء ذات أهمية، بالمقارنة مع عادة المثابرة(١) النشيطة والانتباه المركز، لأى شيء كنت منغمسا فيه، وهى الأشياء التى اكتسبتها فى ذلك الحين. وكان يتم توجيه كل شيء يدور حول ما أفكر فيه أو أقرأ عنه لكى ينصب بشكل مباشر، على ما رأيته، أو كان من المنتظر أن أراه، وقد استمر هذا السلوك الذهنى، طوال سنوات الرحلة الخمس. وأشعر بالتأكيد أن هذا التدريب، هو الذى جعلنى قادرا على القيام بأى شيء، أنجزته فى العلم.

أستطيع بالالتفات إلى الوراء إدراك كيف طغى حبى للعلم بالتدريج على كل ولع آخر. فقد استطاع شغفى القديم بالصيد بالبنادق فى غضون العامين الأولين، الاستمرار فى البقاء بنفس قوته، وقد قمت بإطلاق النار بنفسى، على جميع الطيور والحيوانات الضرورية لمجموعتى، لكنى بدأت بالتدريج فى التخلى عن بندقيتى بشكل أكبر فأكبر، وأخيرا تخليت عنها تماما لخادمى، حيث تعارضت الرماية مع عملى، وبشكل أكثر خصوصية، مع القيام بالإعداد للتركيب الـــچيولوچـــى لأى منطقة. ولقد اكتشفت - ولو بشكل غير واع وغير محسوس- أن السرور المستمد من المراقبة والترزين، كان أعلى بكثير، من ذلك الخاص بالمهارة فى الصيد. ومن المحتمل أن ذهنى أصبح أكثر تطورا، من خلال الجهود العلمية التى قمت بها فى غضون الرحلة، وقد اتضح ذلك عن طريق تعليق قام به والدى، الذى كان أقوى مراقب حاد شاهدته على الإطلاق، وذو نزعة(٢) شكوكية(٣)، وبعيدا عن الإيمان بعلم الفراسة الدماغية، عند رؤيتى لأول مرة بعد الرحلة، حيث استدار إلى أخواتى، وهتف "يا للعجب، لقد تغير شكل رأسه".

---

(١) مثابرة Industry

(٢) نزعة Disposition

(٣) شكوكى Sceptical = Skeptical

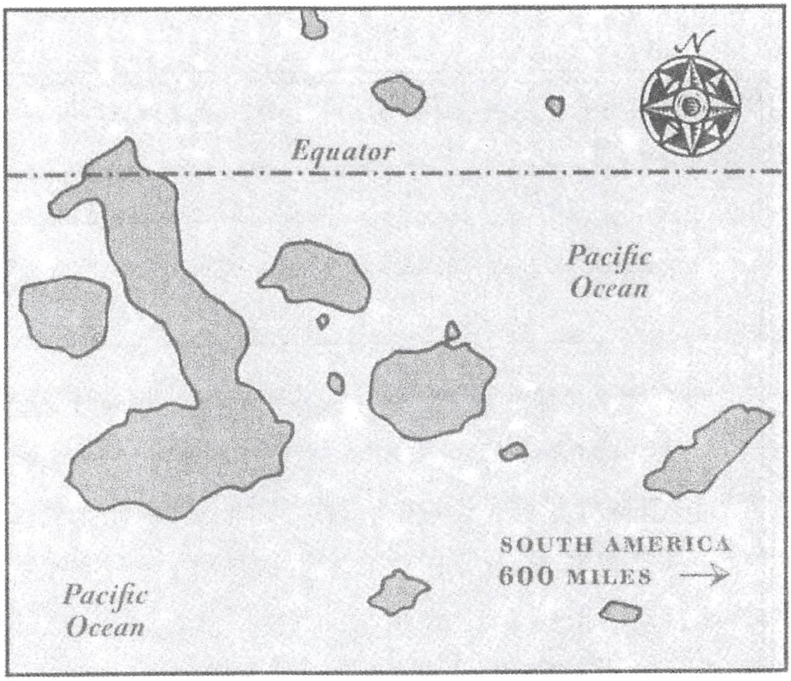
دعنا نعد إلى الرحلة: فقد قمت فى الحادى عشر من سبتمبر (١٨٣١)، بزيارة خاطفة مع "فيتزروى"، إلى السفينة البيجل الراسية فى "بليموث" Plymouth. وبعدها إلى "شروزبرى"، لوداع أبى وأخواتى، توقعا لفراق طويل المدة. وقمت فى الرابع والعشرين من أكتوبر، باتخاذ مستقر لى فى "بليموث"، وظللت هناك إلى السابع والعشرين من ديسمبر، عندما غادرت البيجل بشكل نهائى شواطئ إنجلترا، فى دورتها البحرية حول العالم. ولقد قمنا بمحاولتين مبكرتين للإقلاع، لكن كنا نضطر للعودة فى كل مرة، بسبب العواصف العاتية. وكان هذان الشهران اللذان تم قضاؤهما فى "بليموث"، من أتعس الأيام التى أمضيتها على الإطلاق، رغم قيامى بشغل نفسى قدر المستطاع. وكنت منقبض النفس، نتيجة لتفكيرى فى مبارحة كل عائلتى وأصدقائى لمدة بهذا الطول، وبدا لى الجو كئيبا بشكل لا يمكن التعبير عنه. وأصبحت أعانى من متاعب فى شكل خفقان[١] وألم فى منطقة القلب، وكنت مقتنعا مثل الكثير من اليافعين الجهلة، وخاصة واحد بمعلومات سطحية عن المعارف الطبية، بأننى أعانى من مرض قلبى. ورغم ذلك لم أقم باستشارة طبيب، لأننى كنت أتوقع سماع القرار، بأننى غير صالح للرحلة، وكنت قد وطدت العزم على الذهاب، رغم جميع المخاطر.

لست محتاجا فى هذا المكان للإشارة، إلى أحداث الرحلة – من حيث أين ذهبنا وماذا فعلنا –لأننى قمت بتقديم تقرير كامل بشكل كاف، فى يومياتها التى تم نشرها. ولكن ما زالت عظمة النباتات الاستوائية، تقوم بالإشراق أمام ذهنى فى الوقت الحالى، بشكل أكثر حيوية من أى شيء آخر، رغم أن الإحساس بالتسامى، الذى قامت صحارى "باتاجونيا" Patagonia العظيمة، وجبال "أرض النار" Tierra del Fuego المكسوة بالغابات باستثارته داخلى، قد قام بترك انطباع لا يمحى من ذهنى. وكانت الرؤية لإنسان همجى[٢] موجود فى أرضه الأصلية،

---

(١) خفقان Palpitation

(٢)همجى = وحشى Savage



لوحة (٢٠)

خريطة "أرخبيل جالا باجوس"

حدثا لا يمكن نسيانه على الإطلاق. وكانت جولاتى العديدة على صهوات الجياد خلال الأقطار الوحشية، أو فى القوارب، التى استغرق بعضها أسابيع عديدة، مشوقة بشكل عميق، وكان من الصعب اعتبار انعدام الراحة والتعرض لدرجة من الخطر التى كانت تشوبها، فى ذلك الوقت، على أساس أنها عوائق، وقد تم بالطبع نسيان ذلك تماما فيما بعد. وأقوم أحيانا بتقليب الفكر بارتياح شديد، على بعض الأعمال العلمية التى أنجزتها، مثل حل مشكلة الجزر المرجانية(١)، وتحديد التركيب الـــچيولوچـــى لكل جزيرة، وعلى سبيل المثال، جزيرة "سانت هيلينا" St. Helena. ولا يمكن المرور مر الكرام، على الاكتشاف للروابط الاستثنائية الخاصة بالحيوانات والنباتات التى تقطن جزر "أرخبيل جالاپيجوس" Galapagos Archipelago، العديدة وعلاقة جميعها مع القاطنين لأمريكا الجنوبية.

لقد بذلت أقصى جهدى بقدر استطاعتى الحكم على نفسى، فى العمل أثناء الرحلة، نتيجة لمجرد الشعور بالسرور، المستمد من البحث، ونتيجة للرغبة فى إضافة القليل من الحقائق، إلى المجمل العظيم من حقائق العلوم الطبيعية. لكننى كنت أطمح أيضا، إلى شغل مكانة عادلة ضمن الرجال العلميين – ولا أستطيع الإدلاء برأى فيما يتعلق، بهل كنت طموحًا أكثر أم أقل، من معظم الزملاء العاملين فى نفس المجال.

كانت طبقات "سانت چاجو" St. Jago الأرضية، لافتة للنظر بشكل كبير، رغم بساطتها، فقد تدفق فيما مضى، مجرى من الحمم البركانية(٢)، فوق قاع البحر، المكون من قواقع ومرجانيات(٣) حديثة التكوين، والتى تم خبزها(٤) إلى صخر أبيض صلب. وارتفعت الجزيرة منذ ذلك الحين بأكملها إلى أعلى. لكن

---

(١) جزيرة مرجانية Coral islan
(٢) حمم بركانية Lava
(٣) مرجانيات Corals
(٤) يخبز Bake

كشف لى خط الصخر الأبيض، عن حقيقة جديدة ومهمة، وهى بالتحديد، أنه قد كان هناك فيما بعد، هبوط[١] حول فوهات البراكين[٢]، التى كانت فى نشاط دائم منذ ذلك الحين، وقامت بصب المزيد من الحمم. وقد استقر فى روعى لأول مرة عندئذ احتمال قيامى بتأليف كتاب عن علم الطبقات الأرضية للأقطار المختلفة التى نزورها، وجعلنى ذلك أشعر بالارتجاف من فرط السرور. وقد كانت تلك لحظة لا تنسى بالنسبة لى، ومازلت أستطيع الاستدعاء لذهنى بكل وضوح، الجرف[٣] المنخفض المكون من الحمم البركانية، الذى كنت أستريح تحته، مع الشمس المتوقدة الحرارة، والقليل من النباتات الصحراوية الغريبة النامية بالقرب منى، والمرجانيات الحية الموجودة فى البرك، التى تركها الجزر تحت أقدامى. وقد طلب منى "فيتزروى" فى وقت لاحق من الرحلة، أن أقرأ له بعضا من يومياتى، وأعلن أنها تستحق النشر وأصبح هناك بهذا الشكل، كتاب آخر متوقع.

تلقيت قبيل نهاية الرحلة خطابا، عندما كنت فى جزيرة "أسينشون" Ascension، قامت فيه أخواتى بإبلاغى، بأن "سيد جويك" مر على والدى، وقال إن من شأنى تبوؤ مكان بين الرجال العلميين البارزين. ولم أستطع فى ذلك الوقت استيعاب كيف تاتى له العلم بأى شكل عن إنجازاتى، لكننى سمعت (وأعتقد أن ذلك تم فيما بعد) أن "هنسلو"، قام بقراءة بعض الخطابات التى أرسلتها له، أمام "الجمعية الفلسفية" Philosophical Society فى كامبريدج" [15]، وأنه قام بطابعها للتوزيع الشخصى. وقد أثارت مجموعتى من العظام الأحفورية[٤]، التى كنت قد أرسلتها إلى "هنسلو"، القدر الكبير من الانتباه، بين علماء المستحاثات[٥]. وقمت بعد قراءتى لهذا الخطاب، بارتقاء الجبال الموجودة فى "أسينشون" بخطوات واثقة،

---

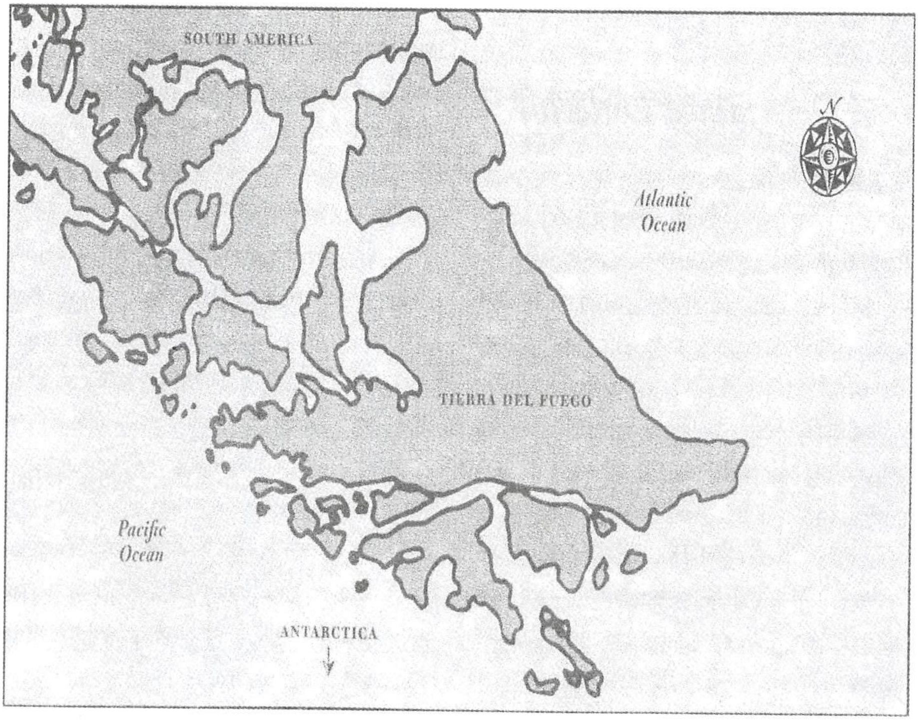
(١) هبوط = انخساف Subsidence

(٢) فوهة بركان Crater

(٣) جرف = منحدر صخرى Cliff

(٤) عظام أحفورية Fossil bones

(٥) علم المستحاثات = علم الأحافير Palaeontology



لوحة (٢١)

خريطة "أرض النار" Tierra del Fugo

وجعلت الصخور البركانية تدوى تحت وقع مطرقتى الـچيولوچـية. ويقوم كل ذلك، بتوضيح مدى الطموح الذى شعرت به، لكننى أعتقد أن بإمكانى أن أقول بصراحة، أننى رغم اهتمامى فى السنوات التالية، إلى أقصى درجة، بمديح رجال مثل "لايل" Lyell و"هوكر" Hooker، الذين كانوا أصدقاء لى، فإننى لم أهتم كثيرا بالعامة من الناس. ولا أقصد أن أقول إن أى نقد مُواتٍ أو أى مبيعات واسعة النطاق لكتبى، لم يؤد إلى إسعادى بشكل كبير، لكن هذا السرور كان شعورا عابرا، وأنا متأكد أننى لم أنحرف ولو بوصة واحدة خارجًا عن مسارى، لكى أقوم باكتساب الشهرة.



لوحة (٢٢)

السفينة "البيجل" فى مضايق "ماجيلان"

لنــدن

منذ عودتى الى إنجلترا (٢أكتوبر ١٨٣٦)

إلى زواجى (٢٩ يناير ١٨٣٩)

كانت تلكما السنتان والأشهرالثلاثة، أكثر الفترات نشاطا فى حياتى على الإطلاق، بالرغم من أننى كنت أشعر بالمرض فى بعض الأحيان، وفقدت بذلك بعضا من الوقت. واتخذت بعد ترددى جيئة وذهابا لمرات عديدة، فيما بين "شرزبرى"، و"مير"، و"كامبريدچ"، و"لندن"، مستقرا فى "كامبريدچ" [16] فى ١٣ ديسمبر، حيث كانت كل مجموعاتى تحت عناية "هنسلو". وظللت هناك لمدة ثلاثة أشهر، وأتممت فحص المعادن والصخور التى أحضرتها، بمساعدة "الأستاذ ميلر" Prof. Miller.

بدأت فى الإعداد لكتابى "يوميات الرحلات" Journal of Travels، الذى لم يكن عملا شاقا، لأننى كنت قد دونت يومياتى المكتوبة باليد بعناية، وكان جهدى الرئيسى منصبا، على تحرير ملخص بنتائجى العلمية الأكثر تشويقا، وقمت أيضا، بناء على طلب من "لايل"، بإرسال تقرير قصير بملاحظاتى، حول الزيادة فى ارتفاع ساحل "شيلى" Chile، إلى الجمعية الـــچيولوچـــية[17].

اتخذت لنفسى مقاما فى ٧ مارس ١٨٣٧، فى شارع "جريت مالبورو" Great Malborough فى لندن، وظللت هناك لما يقرب من العامين، إلى أن تزوجت. وأتممت فى غضون هذين العامين، تدوين يومياتى، وقمت بقراءة العديد من المقالات العلمية، أمام الجمعية الـــچيولوچـــية، وبدأت فى إعداد كتاباتى اليدوية، من أجل كتابى "الملاحظات الـــچيولوچـــية" Geological

Observations، وقمت بترتيب النشر لكتاب "حيوانيات رحلة البيجل Zoology of the Voyage of the Beagle. وافتتحت فى يوليو أول كراسة، عن الحقائق المتعلقة بكتاب "نشأة الأنواع الحية" (أصل الأنواع)، الذى قمت بتقليب الفكر حوله لمدة طويلة، ولم أتوقف عن ذلك على الإطلاق، طيلة العشرين عاما التالية.

قمت فى غضون هذين العامين، بالاندماج قليلا فى المجتمع، وقمت بالعمل كأحد الأمناء الشرفيين للجمعية الـجيولوجـية. وتقابلت كثيرا مع "لايل". وقد كانت إحدى الصفات الرئيسية له، تتمثل فى تعاطفه مع عمل الآخرين، وقد كنت مبهورا ومبتهجا للاهتمام الذى أبداه، عندما شرحت له عند عودتى إلى إنجلترا، وجهات نظرى حول الحيود المرجانية[١]. وقد كان ذلك مشجعا لى بشكل كبير، وكان لنصائحه وقدوته، تأثير كبير علىّ. وتسنت لى فى غضون هذا الوقت، المقابلة لمرات عديدة، مع "روبرت براون" Robert Brown، واعتدت فى كثير من الأحيان، المرور عليه والجلوس معه، أثناء تناوله الفطور فى صبحيات أيام الأحد، وكان يقوم بالسرد، لكنوز غنية من الملاحظات الغريبة، والتعليقات الحاذقة، لكنها كانت متعلقة بشكل دائم تقريبا بنقاط دقيقة، ولم يتناقش معى على الإطلاق، حول التساؤلات الكبيرة أو العامة فى العلم.

انطلقت فى غضون هذين العامين فى العديد من الجولات القصيرة، كوسيلة للاسترخاء، وبجولة أطول إلى الطرق المتوازية Paralled Roads، الموجودة فى "جلين روى" Glen Roy، وتم نشر تقرير عنها، فى "محاضر الجلسات الفلسفية" Philosophical Transactions [18]. وقد حققت هذه المقالة العلمية فشلا ذريعا، وخلفت لدى شعورا بالخزى منها. فلأننى كنت متأثرا بشكل عميق، بما شاهدته من ارتفاع للأرض فى أمريكا الجنوبية، عزوت الخطوط المتوازية، إلى مفعول البحر، ولكننى اضطررت إلى التخلى عن هذه الوجهة من النظر، عندما قام

(١) حيد (جمعها حيود) Reef



لوحة (٢٣)

إيمـــا ويد جورد داروين

زوجة "تشارلس داروين"

"أجاسيز" Agassiz بإعلان نظريته الخاصة "بالبحيرة الثلجية" Glacier-lake. ولما لم يكن هناك أى تفسير محتمل آخر، تحت ظل الحالة التى كانت عليها معارفنا فى ذلك الوقت، فإننى جادلت مؤيدا مفعول البحر، وكان إخفاقى درسا جيدا لى، فيما يتعلق بعدم الوثوق على الإطلاق فيما يتعلق بأمور العلم، بمبدأ الاستبعاد(١).

حيث لم يكن باستطاعتى الانكباب طوال اليوم، على العمل فى مجال العلم، فقد قمت بالقراءة بقدر كبير أثناء هذين العامين"، حول موضوعات متنوعة، بما فى ذلك البعض من الكتب المتعلقة بما وراء الطبيعة(٢)، إلا أننى لم أكن معدا بشكل كاف، لمثل هذه الدراسات. وشعرت فى غضون هذا الوقت بالكثير من المتعة، من قراءة أشعار "وارد زورث" Wordsworth و"كوليريدج" Coleridge، وأستطيع التفاخر بأننى قرأت ديوان "نزهة" Excursion بأكمله مرتين. وقبل ذلك، كان ديوان "ميلتون" Milton بعنوان "الفردوس المفقود" Paradise Lost، الكتاب الرئيسى المفضل لى، وعندما كنت خلال جولاتى فى غضون رحلة البيجل، لا أستطيع الاصطحاب إلا لمجلد واحد فقط، فإننى كنت دائما ما أختار "ميلتون".

الفترة من زواجى فى ٢٩ يناير ١٨٣٩، وإقامتى فى شارع "أبرجور" Upper Gower Street، إلى مغادرتنا "لندن" واستقرارنا فى "داون" Down، فى ١٤ سبتمبر ١٨٤٢.

يستطرد "داروين" بعد حديثه عن حياته الزوجية السعيدة وعن أطفاله، قمت فى غضون السنوات الثلاث والأشهر الثمانية التى أقمناها فى "لندن"، بإنجاز أعمال علمية أقل، رغم أننى عملت بجد قدر المستطاع، بمقدار أكبر من أى مدة زمنية

---

(١) الاستبعاد Exclusion

(٢) ما وراء الطبيعة = الغيبيات Metaphysics

مساوية فى حياتى. وقد كان ذلك نتيجة للتوعك المتكرر الذى كان يعاودنى، للمرض الشديد طويل المدة. وكان الجزء الأكبر من وقتى مكرسا- عندما كنت قادرا على القيام بأى شىء- لعملى على كتاب "الحيود المرجانية" Coral Reefs، الذى بدأت فيه قبل زواجي، والذى أتممت التصويب لآخر صفحات مراجعاته، فى ٦ مايو ١٨٤٢. وقد كلفنى هذا الكتاب- رغم صغر حجمه- عشرين شهرا من العمل الشاق، حيث كان علىَّ قراءة كل عمل صدر عن جزر المحيط الهادئ، ألرجوع إلى الكثير من الخرائط البحرية(١). وقد تم تقديره بشكل كبير، عن طريق الرجال العلميين، وأعتقد أن النظرية التى تضمنها، استقرت تماما فى الوقت الحالى.

لم يبدأ أى عمل أخر من أعمالى، بمثل هذه الروح المصممة، التى صاحبت هذا العمل، حيث تم التفكير فى النظرية بأكملها، على الساحل الغربى لأمريكا الجنوبية، قبل مشاهدتى لأى حيد مرجانى حقيقى. وبهذا الشكل، فقد كان علىَّ فقط أن أقوم بالتأكيد والتوسع فى وجهات نظرى عن طريق الفحص الدقيق للحيود الحية، ولكن يجب ملاحظة أننى كنت منكبا بشكل مستمر،فى غضون العامين السابقين لذلك، على دراسة تأثيرات الارتفاع المتناوب للأرض، على سواحل أمريكا الجنوبية، بالإضافة إلى التجريد(٢) والإيداع(٣) للرواسب. وقد قادنى هذا بالضرورة، إلى تقليب الفكر، حول تأثيرات الانخساف(٤)، وكان من السهل الاستعاضة فى الخيال، للإيداع المستمر للرواسب، عن طريق النمو إلى أعلى للمرجانيات. ومن أجل القيام بهذا كان علىّ صياغة نظريتى عن تشكيل الحيود المرجانية والجزر المرجانية الحلقية.

---

(١) الخرائط البحرية Charts

(٢) التجريد : زوال سطح الأرض بفعل الماء * Denudation

(٣)الإيداع = الترسيب Deposition

(٤) الانخساف = الهبوط Subsidence



لوحة (٢٤)

تشارلس داروين فى ريعان شبابه

قمت بالإضافة إلى انكبابى على العمل فى كتاب الحيود المرجانية، فى غضون فترة إقامتى فى "لندن"، بالقراءة أمام الجمعية الـــچيولوچـــية، لمقالات علمية، تدور حول الجلاميد الصخرية المجروفة، الموجودة بأمريكا الجنوبية [19]، وعن الزلازل [20]، وعن تشكيل الثرى(١) عن طريق مفعول الديدان(٢) الأرضية [21]. وواصلت أيضا الإشراف، على نشر كتاب "حيوانيات رحلة البيجل". ولم أتوقف على الإطلاق، عن جمع الحقائق التى لها علاقة بموضوع "نشأة الأنواع الحية" (أصل الأنواع)، وقد كان بإمكانى فى بعض الأحيان القيام بذلك، عندما كنت لا أستطيع القيام بشىء آخر، بسبب المرض.

كنت فى صيف عام ١٨٤٢، أكثر قوة عما كان عليه حالى لزمن طويل، وقمت بجولة بمفردى فى "شمال ويلز"، من أجل المراقبة لتأثيرات المجالد(٣) القديمة، التى كانت تملأ فى الماضى، جميع الوديان الكبرى. وقمت بنشر تقرير قصير، يدور حول ما شاهدته، فى "المجلة الفلسفية" Philosophical Magazine [22]. وقد قامت تلك الجولة، بإثارة اهتمامى بشكل كبير، وكانت تلك هى المرة الأخيرة، التى كنت فيها قويا بدرجة كافية، لتسلق الجبال، أو القيام بمثل تلك المسيرات الطويلة الضرورية من أجل العمل الـــچيولوچـــى.

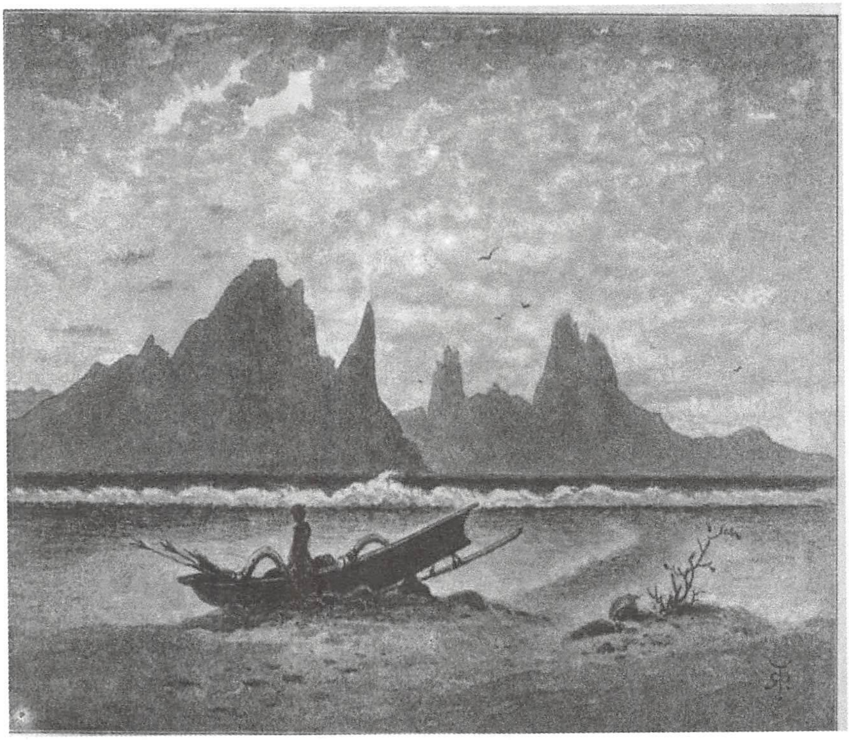
كنت قويا بشكل كاف أثناء الجزء المبكر من حياتنا فى "لندن"، للاندماج فى المجتمع العام، وتقابلت مع عدد كبير من الرجال العلميين المختلفين، وعدد كبير آخر، من الرجال المثيرين للتقزز بشكل أو بآخر. وسوف أقوم بتقديم انطباعاتى، فيما يتعلق بالبعض منهم، رغم أن لدى القليل الذى يستحق القول.

---

(١) الثرى = التراب — Mould

(٢) الديدان الأرضية — Earth-worms

(٣) مجلدة (جمعها مجالد) = نهر جليدى — Glacier



لوحة (٢٥)

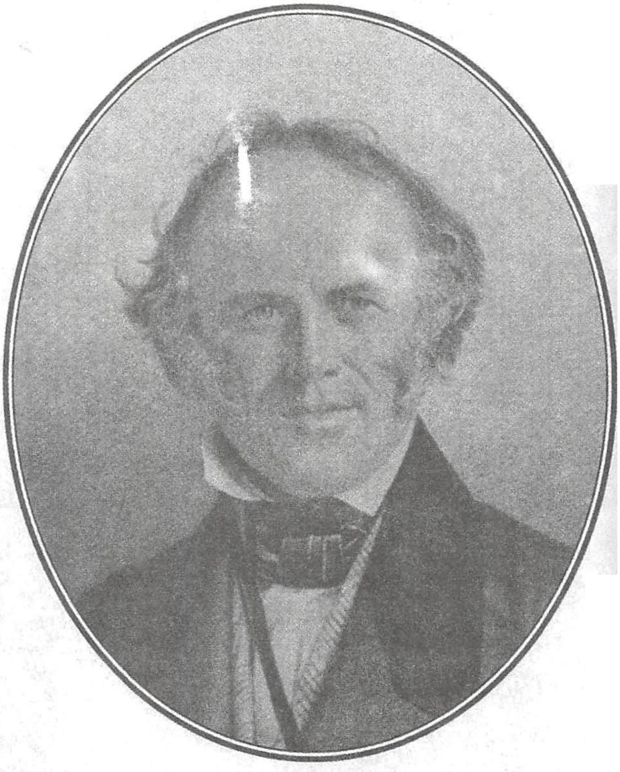
الحدود البحرية المرجانية – جزيرة "إيميو"

تقابلت مع "لايل" فى فترات، أكثر من أى رجل آخر، سواء قبل أو بعد زواجى. وكان ذهنه يتميز - كما بدا لى - بالصفاء، والاحتراس[١]، والحكم الصحيح على الأشياء، وقدر كبير من الأصالة[٢]. وعندما كنت أقوم بتقديم أى تعليق له عن الطبقات الأرضية، لا يهدأ له بال حتى يرى الحالة بأكملها بوضوح، وكثيرا ما كان يجعلنى أراها، بشكل أوضح مما قمت به من قبل. فقد كان من شأنه أن يقوم، بتقديم جميع الاعتراضات الممكنة على اقتراحى، ويظل متشككا حتى بعد أن يتم الاستنفاذ لهذه الاعتراضات. وكانت الخاصية الأخرى تتمثل فى صورة تعاطفه القلبى، مع عمل الرجال العلميين الآخرين [23].

شرحت له عند عودتى من رحلة البيجل، وجهات نظرى، حول الحيود المرجانية، والتى كانت مختلفة عن تلك الخاصة به، وقد أصبت بالدهشة الشديدة والتشجيع، نتيجة الاهتمام القوى الذى أبداه. فقد كان ابتهاجه بالعلم متوقدا، وكان يشعر بالاهتمام إلى أقصى درجة، بالتقدم المستقبلى للصنف البشرى[٣]. وكان رقيق القلب، ومتحررا بشكل تام فى اعتقاداته الدينية، أو بالأصح الانعدام لتلك الاعتقادات، لكنه كان مؤمنا قويا بالله مع الإنكار للوحى[٤]. وكانت صراحته[٥] ملحوظة بشكل كبير. وقد قام بإبداء ذلك، عن طريق أنه أصبح من المتحولين إلى نظرية النشوء[٦]، رغم أنه اكتسب الكثير من الشهرة، عن طريق المعارضة لآراء "لامارك Lamarck"، وحدث ذلك بعد أن تقدم فى العمر. وقد ذكرنى، بأننى قضيت الكثير من السنين، قبل أن أقول له- أثناء النقاش حول اعتراض المدرسة القديمة للعلماء فى طبقات الأرض، على وجهات نظره الجديدة-: "قد يكون من الأشياء الجيدة، لو كان من شأن كل رجل علمى أن يتوفى، عندما يبلغ الستين من عمره، لأن من شأنه أن يتأكد من قيامه بعد ذلك، بالمعارضة لجميع العقائد[٧] الجديدة". ولكنه كان يأمل، فى إمكان السماح له الآن، بالاستمرار فى الحياة.

---

(١) إحتراس — Caution
(٢) الأصالة = الابداع — Originality
(٣) للصنف البشرى * — Mankind
(٤) مؤمن بالله ومنكر للوحى — Thiest
(٥) صراحة — Candour
(٦) نظرية النشوء — Descent theory
(٧) عقيدة = مذهب — Doctorine



لوحة (٢٦)

تشـــارلس لايـــل

أعتقد أن علم الطبقات الأرضية، مدين بشكل هائل لـ "لايل"، أكثر من أى رجل آخر عاش على الإطلاق. وقد نصحت عند انطلاقى فى رحلة البيجل، عن طريق "هنسلو" الفطين[١]، الذى كان يعتقد فى ذلك الوقت- مثل جميع الـچيولوچيين الآخرين- فى التغيرات العنيفة[٢] المتعاقبة، بالحصول والدراسة، للمجلد الأول من كتاب "الأساسيات" Principles، الذى كان قد نشر عندئذ، ولكن ألا أقوم بأى حال من الأحوال، بقبول وجهات النظر المشار إليها فيه. وانظر إلى كيف يتحدث الآن أى شخص بشكل مختلف عما بكتاب " الأساسيات". وأنا فخور بأن أتذكر، أن المكان الأول الذى قمت فيه بالدراسة الـچيولوچية، وهو بالتحديد "سانت چاجو"، الموجود فى "أرخبيل الرأس الأخضر"، أقنعنى بالتفوق الذى لا حدود له لوجهات نظر "لايل"، عن تلك التى ينادى بها أى كتاب آخر معروف لى.

يمكن رؤية التأثيرات القوية لأعمال "لايل" بوضوح منذ وقت طويل فى التقدم المختلف للعلوم فى فرنسا وإنجلترا. ومن الممكن أن يعزى التجاهل التام الحالى، لفرضيات[٣] "إيلى دى بومونت" Elie de Beaumont الطائشة، مثل فريضته الخاصة بـ "فوهات الارتفاع" " Craters of Elevation، و"خطوط الارتفاع" Lines of Elevation (وتلك الفرضية الأخيرة، هى التى سمعت "سيد جويك" فى الجمعية الـچيولوچية، يقوم برفعها إلى السماوات)، بشكل كبير إلى "لايل".

تقابلت كثيرا مع "روبرت براون" Robert Brown، عالم النبات الرئيسي السلس Facile Princeps Botanicorum، كما كان يدعى عن طريق "هامبولدت" Humboldt. وبدا لى أنه جدير بالملاحظة بشكل رئيسى، من أجل دقة ملاحظاته، وانضباطها التام. وكانت معلوماته عظيمة بشكل يفوق المعتاد، والكثير

---

(١) فطين — Sagacious

(٢) التغيرات العنيفة = الجائحة — Cataclysm

(٣) فرضية — Hypothesis (Pl. Hypotheses)

منها توفى معه، نتيجة لخوفه الزائد عن الحد، من ارتكاب أى خطأ على الإطلاق. وقد قام بالإغداق على بمعلوماته، بشكل غاية فى عدم التحفظ، مع أنه كان يشعر بالغيرة بشكل غريب، عند البعض من النقاط. وقد مررت عليه مرتين أو ثلاث مرات، قبل قيامى برحلة البيجل، وطلب منى فى إحدى المناسبات، أن أقوم بالنظر خلال المجهر، ووصف ما رآه. وقد قمت بذلك، وأعتقد الآن أنها كانت التيارات الرائعة للجبلة الأولى[1]، الموجودة فى بعض الخلايا النباتية. وسألته فى ذلك الوقت، عن الشيء الذى أشاهده، لكنه أجابنى "هذا هو سرى الصغير".

لقد كان قادرا على أكثر التصرفات كرما. وعندما أصبح عجوزا، ومفتقدا بشكل كبير للصحة، وغير لائق تماما للقيام بأى مجهود، فإنه كان يقوم يوميا (كما أخبرنى "هوكر" Hooker) بزيارة خادم عجوز، كان يعيش على مسافة بعيدة (وكان يقوم بإعالته)، والقراءة له بصوت مرتفع. ويكفى هذا للتعويض عن أى درجة من التقتير[2] أو الغيرة العلمية.

يعن لى أن أذكر فى هذا المجال القليل من الرجال البارزين، الذين كنت القاهم أحيانا، ولكن ليس لدى سوى القليل، الذى من الممكن أن يستحق القول عنهم. فقد شعرت بتبجيل كبير لــ "السير ج. هيرتشيل" Sir J. Herschel، وكنت غاية فى السرور لتناول العشاء معه، فى منزله الخلاب الموجود فى "رأس الرجاء الصالح" Cape of Good Hope، ثم بعد ذلك، فى منزله الموجود فى "لندن". وقمت بلقائه أيضا، فى القليل من المناسبات الأخرى. ولم يكن يتكلم كثيرا على الإطلاق، لكن كانت كل كلمة ينطقها، تستحق الاستماع إليها.

قابلت فى إحدى المرات على الإفطار، فى منزل "السير ر. مورتيسون"، العالم اللامع "هامبولدت" Humboldt، الذى شرفنى بالتعبير عن رغبته فى لقائى.

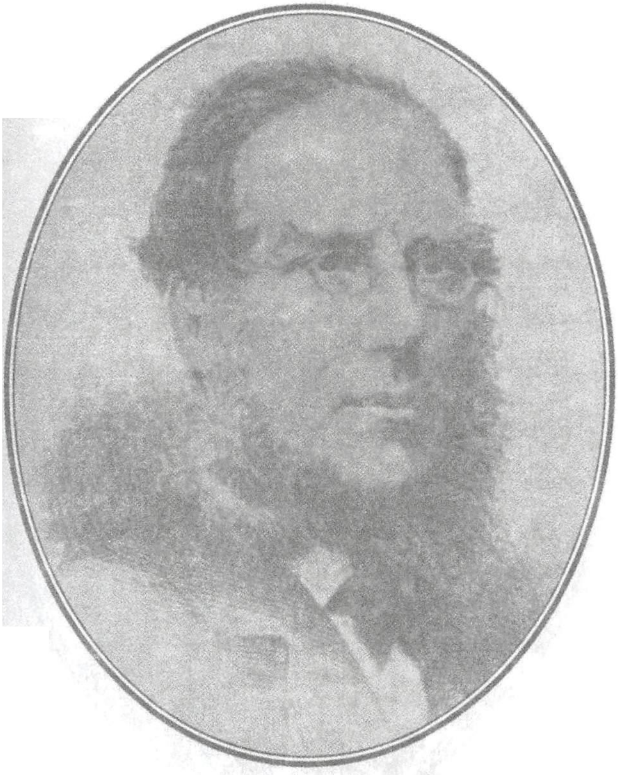
---

(١) الجبلة الأولى = البروتوبلازم — Protoplasm

(٢) البخل = التقتير — Penuriousness

ولقد أصبت بالقليل من خيبة الأمل، عند لقائى بالرجل العظيم، ولكن من المحتمل أن توقعاتى، كانت غاية فى الارتفاع. ولا أستطيع أن أتذكر أى شىء دار فى لقائنا، عدا أن "هامبولدت" كان غاية فى الابتهاج، وأنه تكلم كثيرا.

يذكرنى هذا بـــ"باكل" Buckle، الذى قابلته مرة واحدة، فى منزل "هنسلى ويدجوود". وكنت سعيدا لتعلم منهاجه فى جمع الحقائق. فقد أخبرنى أنه كان يبتاع جميع الكتب التى يقرؤها، وقام بعمل فهرس كامل لكل واحد منها، خاص بالحقائق التى من الممكن أن تكون مفيدة له، وأنه يستطيع دائما تذكر، أين يوجد أى شىء فى أى كتاب قرأه، لأن ذاكرته كانت مدهشة. وعندما سألته كيف يستطيع أن يحدد فى أول الأمر، الحقائق التى من شأنها أن تكون مفيدة، وأجاب بأنه لا يعلم ذلك، ولكن هناك نوعا من الغريزة، يقوم بإرشاده. ونتيجة لعادة القيام بعمل فهارس، فإنه قد كان قادرًا على التقديم لعدد مذهل من المراجع، التى تدور حول جميع الضروب من المواضيع، وهو الشىء الذى من الممكن العثور عليه، فى كتابه "تاريخ الحضارة" History of Civilisation، وأعتقد أن هذا الكتاب على أعلى درجة من التشويق، وقد قمت بقراءته مرتين، ولكنى أشك فى ماإذا كانت لتعميماته أى قيمة. وكان "باكل" متحدثا عظيما، وقد استمعت إليه وكان من الصعب أن أقول أى كلمة، ولم أستطع أن أقوم بذلك بالفعل، لأنه لم يكن يترك أى ثغرات. وقد قفزت عندما بدأت "السيدة فارير" Mrs. Farrer فى الغناء، وقلت إننى لابد أن أصغى إليها، فالتفت وقال لأحد الأصدقاء وسأله (لأن ذلك تطرق إلى سمع أخى): حسنا يبدو أن كتب السيد داروين أفضل بكثير، عن تبادل الحديث معه".



لوحة (٢٧)
چوزيف هــوكــر

فيما يتعلق بالرجال الأدباء واسعى الاطلاع(١) العظماء الآخرين، فإننى تقابلت فى إحدى المرات، مع "سيدنى سميث" Sydney Smith، فى منزل "دين ميلمان" Dean Milman. ولقد كان هناك شىء مسلٍ بشكل من المتعذر تفسيره، فى كل كلمة تفوه بها. ومن المحتمل أن ذلك قد كان بشكل جزئى، ناتجا عن توقع أن يكون الحديث مسليا. وقد كان يتحدث عن "اللادى كورك" Lady Cork، التى كانت فى ذلك الوقت متقدمة جدا فى العمر. وكما قال، فإنها كانت السيدة التى تأثرت بشكل كبير بإحدى خطبه الخيرية، وقامت باقتراض جنيه من أحد الأصدقاء، لتضعه فى الطبق. ثم قال بعد ذلك "من المعتقد بوجه عام أن صديقتى العجوز العزيزة "اللادى كورك" قد تم إغفالها"، وقد قال هذا بطريقة لا تترك مجالا للشك ولو للحظة، فى أنه كان يعنى أن صديقته العجوز قد تم إغفالها، عن طريق الشيطان. وأنا لا أعرف كيف استطاع التعبير عن ذلك.

تقابلت بالمثل فى إحدى المرات مع "ماكولاى" Macaulay فى منزل "اللورد ستانهوپ" Lord Stanhope المؤرخ، وحيث لم يكن هناك سوى رجل آخر فقط على العشاء، فإننى تمتعت بفرصة رائعة، لسماع حديثه الذى كان مرضيا جدا. ولم يسهب فى الكلام ومن المؤكد أن مثل هذا الرجل لا يستطيع الكلام كثيرا، حيث كان يسمح للآخرين بأن يدوروا حول مجرى حديثه، وهذا ما قام به.

قام "اللورد ستانهوپ" بإعطائى برهانا صغيرا غريبا، عن دقة وسعة ذاكرة "ماكولاى": فقد اعتاد العديد من المؤرخين الالتقاء فى كثير من الأحيان، فى منزل "اللورد ستانهوپ"، وكان من شأنهم أحيانا أثناء التناول للمواضيع المتنوعة، الاختلاف مع "ماكولاى"، وكانوا يرجعون كثيرا فى الماضى إلى بعض الكتب، ليروا من هو الصحيح، ولكن مؤخرا، كما لاحظ "اللورد ستانهوپ"، لم يعد أى مؤرخ يتجشم هذه المشقة، وكان أى شىء يقوله "ماكولاى"، هو الرأى النهائى.

---

(١) أديب واسع الإطلاع Literary

تقابلت فى مناسبة أخرى فى منزل "اللورد ستانهوپ"، مع إحدى مجموعاته المؤلفة من المؤرخين، والأدباء واسعى الاطلاع الآخرين، وقد كان من بينهم "موتلى" Motley و"جروت" Grote. وقمت بعد تناول وجبة الغذاء، بالسير فى أرجاء "حديقة تشيــڤينينج" Chevening Park، لمدة ساعة تقريبا مع "جروت"، وقد تمتعت كثيرا بمحادثته، وسررت من البساطة، والغياب لأى تظاهر فى تصرفاته.

كنت أقوم فى الماضى بتناول العشاء أحيانا مع الايرل Earl العجوز، والد المؤرخ، وقد كان رجلا غريبا، لكننى أحببت القليل الذى عرفته عنه. فقد كان صريحًا، وكريما، ولطيفا. وكان يتمتع بملامح واضحة بقوة، وبشرة[1] بنية اللون، وعندما شاهدته، كانت جميع ملابسه بنية اللون. وبدا لى أنه يؤمن بكل شىء، يعتبره الآخرون غير قابل للتصديق. وقد قال لى فى أحد الأيام "لماذا لا تتخلى عن عبثياتك الخاصة بطبقات الأرض والحيوانيات، وتلتفت إلى العلوم الخفية[2]". وبدت الصدمة على وجه المؤرخ، الذى كان فى ذلك الوقت "لورد ماهون" Lord Mahon، نتيجة لتوجيه مثل هذا الكلام إلى، كما بدا الطرب على وجه زوجته الفاتنة.

الرجل الأخير الذى سوف أقوم بذكره هو "كارليل" Carlyle، الذى رأيته مرات عديدة فى منزل أخى، ومرتين أو ثلاث مرات فى منزلى. وكان يتحدث بشكل مفعم جدا بالحيوية ومثير للانتباه، بشكل مماثل لكتاباته بالضبط، لكنه كان يقوم فى بعض الأحيان، بالاستطراد لوقت طويل جدا، حول نفس الموضوع. وأتذكر عشاءً مضحكا فى منزل أخى، حيث كان هناك ضمن بعض الآخرين، "باباچ" Babbage و"لايل" Lyell، وكلاهما كان مغرما بالكلام. إلا أن "كارليل" أسكت كل شخص، عن طريق إلقاء محاضرة على مدى فترة العشاء بأكملها، تدور

(١) لون البشرة Complexion
(٢) خفى - سحرى Occult

حول مميزات السكوت. وقام "باباج" بعد العشاء، بطريقة متجهمة إلى أقصى حد، بشكر "كارليل" على محاضرته المشوقة جدا، التى دارت حول السكوت.

كان "كارلِيل" يسخر من كل شخص تقريبا: وأطلق يوما فى منزلى، على كتاب "جروتى" Grote بعنوان "التاريخ" History أنه "مستنقع"[١] نتن[٢]، لا يحتوى على أى شيء روحانى. وكنت أظن دائما- إلى أن ظهر كتابه بعنوان "الذكريات" Reminiscences- أن سخرياته كان ممازحات بشكل جزئى، ولكن هذا يبدو الآن من الأمور المشكوك فيها. فقد كانت تعبيراته خاصة بإنسان مكتئب[٣]، وقانط[٤] تقريبا، لكنه هادف إلى الصالح العام[٥]، وكان من الغريب كيف يقوم بالضحك من قلبه. وأعتقد أن نزعته الخيرية كانت حقيقية، حتى ولو كان يشوبها قدر ليس بالقليل من الغيرة. ولا يستطيع أى شخص الشك فى قدرته الخارجة عن المعتاد، على القيام برسم صور للأشياء والناس، بشكل أكثر حيوية، كما يبدو لى، عما يقوم "ماكولاى" Macaulay برسمه .. وسواء كانت تلك الصور الخاصة بالناس حقيقية أو لا، فهذه مسألة أخرى.

كان عظيم القدرة، على القيام بطبع البعض من الحقائق الأخلاقية العظيمة، فى أذهان الناس. لكن على الجانب الآخر، كانت آراؤه حول موضوع الاسترقاق[٦] مقززة. وكان الجبروت فى نظره عادلا. وبدا لى أن ذهنه ضيق جدا، حتى بعد استبعاد جميع فروع العلم التجريبى، الذى كان يحتقره. وقد كان من المدهش بالنسبة لى، تصدى "كينجسلى" Kingsley للكلام عنه، على أساس أنه رجل معد

---

(١) مستنقع — Quagmire
(٢) نتن (الرائحة) — Fetid
(٣) مكتئب = مثبط — Depressed
(٤) قانط — Despondent
(٥) هادف الى الصالح العام = ذو نزعة خيرية — Benevolent
(٦) الاسترقاق = العبودية — Slavery

بشكل جيد لأحداث تقدم فى العلم. وقد سخر لازدراء[١] الفكرة، بأن عالم رياضيات مثل "هويويل" Whewell، يستطيع الحكم، وأنا أصر على أنه يستطيع، على وجهات نظر "جوته" Goethe، التى تدور حول الضوء. وكان يظن أنه من المثير للضحك إلى أقصى حد، أن يكون من شأن أى شخص، الاهتمام بماإذا كانت إحدى المجالد، تتحرك بشكل أكثر سرعة بقليل أو أكثر بطئا، أو أنها كانت تتحرك على الإطلاق. وحسب قدرتى على الحكم على الأشياء، فإننى لم أتقابل على الإطلاق مع إنسان، له عقل غير معد إلى هذه الدرجة للبحث العلمى.

ترددت أثناء معيشتى فى "لندن"، بشكل منتظم قدر المستطاع، على الاجتماعات الخاصة بالعديد من الجمعيات العلمية، وقمت بمهام الأمين للجمعية الـــچيولوچية. ولكن هذا التردد على الجمعيات، والمجتمع العادى، كانا مناسبين لصحتى بشكل ردىء، بحيث استقر رأينا، على المعيشة فى الريف، الذى كان كلانا يفضله، ولم نندم إطلاقا على ذلك.

---

(١) ازدراء Scorn

الإقامة فى "داون" Down

ابتداء من ١٤ سبتمبر ١٨٤٢، والى الوقت الحالى ١٨٧٦

عثرنا بعد العديد من المحاولات للبحث غير المجدى، فى مقاطعة "سارى" Surrey وأماكن أخرى، على هذا المنزل، وقمنا بشرائه. وقد كنت سعيدا بالمنظر المتنوع للنباتات، المميزة لمنطقة طباشيرية[١]، وغير المماثلة بشكل تام، لما كنت معتادا عليه، فى أقطار "الأرض الوسطى" Mindland، وأكثر سعادة بكثير، بالهدوء المتناهى، والسمات الريفية[٢]، الموجودة بالمكان. ورغم ذلك، فإنه ليس مكانا منعزلا، كما قام أحد الكتاب فى مجلة أسبوعية ألمانية بتصويره، حيث قال إنه من الممكن الوصول إلى منزلى، عن طريق درب للبغال[٣]! وقد عاد علينا استقرارنا فى هذا المكان، بميزة تثير الإعجاب بطريقة لم نكن نتوقعها، وهى بالتحديد، أنه كان ملائما جدا لقيام أطفالنا، بزيارتنا بشكل متكرر.

يستطيع القليل من الناس أن يعيشوا حياة أكثر عزلة عما قمنا به. فبجانب البعض من الزيارات القصيرة إلى منازل الأقرباء، وأحيانا إلى شاطئ البحر أو أى مكان أخر، فإننا لم نكن نذهب إلى أى مكان. وقمنا فى غضون الجزء الأول من إقامتنا، بالاندماج قليلا فى المجتمع، وقمت باستقبال القليل من الأصدقاء، لكن صحتى كانت تعانى دائما تقريبا من الإثارة، وكان ذلك يجلب لى نوبات من الارتعاش العنيف والقيء. واضطررت بناء على ذلك - لعدد كبير من السنين- إلى التخلى عن حضور جميع الولائم، وقد مثل ذلك حرماننا بشكل ما بالنسبة لى،

---

(١) طباشير = جير — Chalk

(٢) ريفى — Rustic

(٣) درب للبغال — Mule-track

لأن تلك الاجتماعات، كانت تضعنى فى روح معنوية مرتفعة. وكنت قادرا نتيجة لنفس السبب على دعوة، العدد القليل جدا من المعارف العلميين.

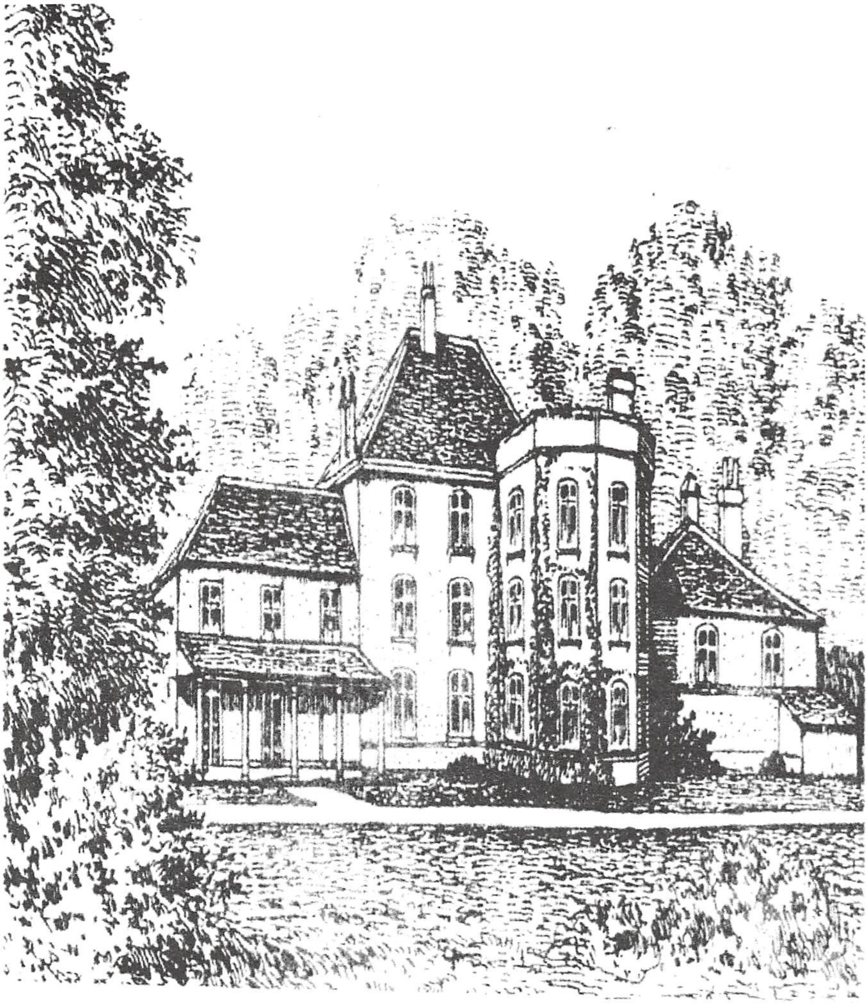
كان استمتاعى الرئيسى وشاغلى الوحيد - على مدى حياتى كلها- هو العمل العلمى، وكانت الاستثارة الناتجة عن مثل هذا العمل، تجعلنى فى ذلك الوقت أشعر بالنسيان، أو الإقصاء تماما لتوعكى اليومى. ولهذا فليس لدى شىء أسجله عن البقية الباقية من حياتى، مع الاستثناء للقيام بنشر كتبى العديدة. وربما يكون البعض من التفاصيل الخاصة بكيفية انبثاقهم، يستحق التقديم.

منشوراتى العديدة:

تم فى الجزء المبكر من عام ١٨٤٤، نشر مشاهداتى حول الجزر البركانية، التى قمت بزيارتها فى غضون رحلة البيجل. وفى عام ١٨٤٥ عانيت كثيرا، أثناء قيامى بتصويب إصدار[1] جديد، لكتاب "يوميات الأبحاث" Journal of Researches (سرد أحداث رحلة البيجل) الذى كان قد نشر فى عام ١٨٣٩، على أساس أنه جزء من كتاب لـــ "فيتز روى". وقد كان نجاح هذا الكتاب، وهو أول طفل ثقافى لى، يقوم دائما بمداعبة خيلائى، أكثر من أى من كتبى الأخرى. ومازالت مبيعاته مستمرة بشكل منتظم، إلى يومنا الحالى، فى إنجلترا وفى الولايات المتحدة، وقد تمت ترجمته للمرة الثانية إلى الألمانية، وإلى الفرنسية وإلى لغات أخرى. ويعتبر هذا النجاح لكتاب عن الرحلات- وخاصة أنه ذو طابع علمى، وبعد سنوات عديدة من أول نشر له- شيئا مثيرا للدهشة. وقد تم بيع عشرة آلاف نسخة فى إنجلترا من الإصدار الثانى. ثم تم فى عام ١٨٤٦ نشر كتابى عن "الملاحظات الـــچيولوچية حول أمريكا الجنوبية" Geological Observations on South America. وقد سجـــلت فى مفكرة صغيرة، أقوم دائما بالاحتفاظ بها،

---

(١) إصدار Edition



لوحة (٢٨)

منزل "داروين" ببلدة "داون"

أن كتبى الـچيولوچية الثلاثة، (بما فى ذلك كتاب "الحيود المرجانية" Coral Reefs) استهلكت أربعة أعوام ونصفاً من العمل المتصل، "وقد مر الآن عشرة أعوام على عودتى إلى إنجلترا. وهذا يوضح الوقت الكبير الذى فقدته، عن طريق مرضى". وليس لدى شيء أقوله حول هذه الكتب الثلاثة، عدا أنه قد تم مؤخرا لاندهاشى الشديد، المناداة بطبع إصدارات حديثة لها [24].

بدأت فى أكتوبر ١٨٤٦ العمل فى كتاب "هدابيات الأقدام" Cirripedia. فعندما كنت على ساحل "شيلى"، عثرت على شكل غريب إلى أقصى حد منها، كان يقوم باتخاذ وجار[١]، داخل قواقع "المحار الحرشفى"[٢]والذى كان يختلف بشكل كبير، عن جميع الحيوانات هدابية الأقدام الأخرى، إلى درجة أنه كان علىَّ، أن أقوم بتشكيل رتبة فرعية[٣] لاستقباله وحده. وقد تم العثور مؤخرا، على طبقة[٤] وجارية متقاربة، على شواطئ "البرتغال" Portugal. ولكى أستطيع استيعاب التركيب الجسمانى، للحيوان هدابى الأقدام الجديد الخاص بى، فقد كان على أن أقوم بالفحص والتشريح، للكثير من الأشكال الشائعة، وقد قادنى ذلك بالتدريج، إلى أن أقوم بتناول المجموعة كلها. ولقد قمت بالعمل بشكل منتظم فى هذا الموضوع، للأعوام الثمانية التالية، وقمت فى نهاية الأمر، بنشر اثنين من المجلدات السميكة [25]، التى تحتوى على وصف لجميع أنواعه الحية المعروفة، واثنين من الكتيبات النحيفة، حول الأنواع المنقرضة[٥]. وليس لدى شك، فى أن "السير إ. ليتون بولور" Sir E. Lytton Bulwer، كان يضعنى فى ذهنه، عندما قام بتقديمى فى إحدى قصصه، على أساس أننى "الأستاذ لونج" Prof. Long، الذى قام بكتابة اثنين من المجلدات الضخمة، عن البطلينوسيات[٦].

---

(١) يتخذ وجارا Burrowed

(٢) المحار الحرشفى * Concholepas

(٣) رتبة فرعية * Sub-order

(٤) طبقة Genus

(٥) منقرض = مندثر Extinct

(٦) البطلينوسيات: حيوان رخوى يلتصق بالصخور Limpet

رغم انكبابى طوال ثماني سنوات على هذا العمل، إلا أننى سجلت فى دفتر يومياتى، أننى فقدت حوالى عامين، عن طريق المرض. ذهبت بناء على هذا التقرير فى عام ١٨٤٨ لبضعة أشهر، إلى "مالــڤيرن" Malvern، للعلاج التجريبى بالمياه[١]، وهو الشيء الذى كان فيه نفع كبير لى، وكنت بهذا الشكل، عند عودتى إلى المنزل، قادرا على مواصلة العمل. فقد كنت مفتقدا للصحة بشكل كبير، إلى درجة أننى كنت غير قادر عند وفاة والدى العزيز، فى ١٣ نوفمبر ١٨٤٨، على حضور جنازته، أو التصرف كواحد من المنفذين لوصاياه.

حاز كتابى الذى يدور حول هدابيات الأقدام حسب اعتقادى، قيمة لها اعتبارها لأنه علاوة على وصفه للعديد من الأشكال الجديدة والملحوظة، فإننى وضعت فيه، تماثلات[٢] الأجزاء المتنوعة – واكتشفت الجهاز اللاصق[٣] لهم، رغم أننى تخبطت بشكل مخيف، حول غدد المادة اللاصقة[٤] و قمت أخيرا بإثبات الوجود فى طبقات معينة، لذكور دقيقة، تكميلية ملحقة[٥] ومتطفلة[٦]، على الخناث[٧]. وقد تم مؤخرا تأكيد هذا الاكتشاف الأخير بشكل كامل، رغم أن كاتبا ألمانيا عزا فى وقت ما، التقرير بأكمله، إلى خيالى الخصب. وتشكل الحيوانات هدابية الأقدام مجموعة من الأنواع الحية عالية التغاير[٨] وصعبة التصنيف، وقد كان عملى ذا فائدة لها اعتبارها بالنسبة لى، عندما كان علىَّ القيام فى كتابى "أصل الأنواع" (نشأة الأنواع الحية) The Origin of Species، بتناول قواعد التبويب[٩] الطبيعى. ورغم ذلك، فإننى أشك فيما إذا كان الكتاب، يستحق استنفاذ مثل هذا الوقت الطويل.

---

(١) العلاج التجريبى بالمياه — Hydropathic treatment
(٢) تماثل — Homology
(٣) يلصق — Cementing
(٤) غدد المادة اللاصقة * — Cement glands
(٥) تكميلى = ملحق — Complemental
(٦) متطفلة — Parasitic
(٧) الخنثى — Hermaphrodite
(٨) متغاير * — Varying
(٩) التبويب (حيث التصنيف = Taxonomy) — Classification

JOURNAL OF RESEARCHES

INTO THE

NATURAL HISTORY AND GEOLOGY

OF THE

COUNTRIES VISITED DURING THE VOYAGE OF
H.M.S. BEAGLE ROUND THE WORLD,

UNDER THE

Command of Capt. Fitz Roy, R.N.

By CHARLES DARWIN, M.A., F.R.S.

SECOND EDITION, CORRECTED, WITH ADDITIONS.

LONDON:
JOHN MURRAY, ALBEMARLE STREET.
1845.

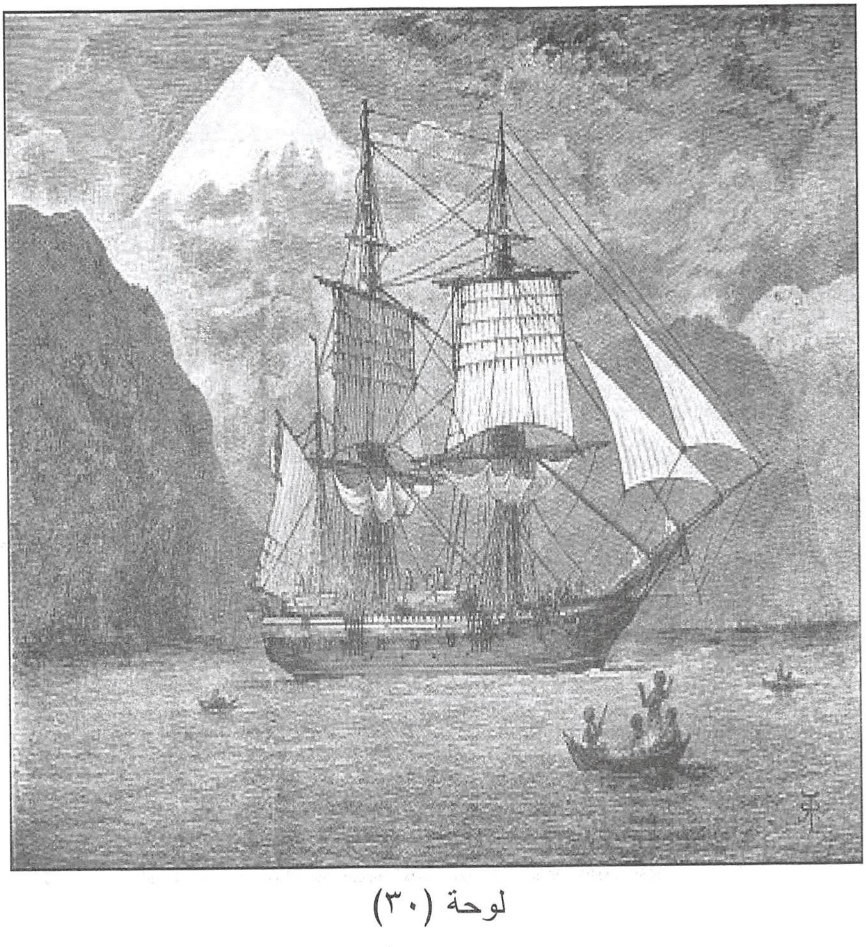
لوحة (٢٩)

الصفحة الافتتاحية لكتاب "رحلة البيجل" (١٨٣٩ / ١٨٤٥)

سرد أحداث

رحلـــــــة البيجـــــل

"خمسة أعوام حول العالم"



لوحة (٣٠)

الصفحة الافتتاحية لكتاب "رحلة البيجل" المترجم للغة العربية

قمت ابتداء من سبتمبر ١٨٥٤ بتكريس وقتى بأكمله، لترتيب الكومة الهائلة من مذكراتى، والمراقبة، وإجراء التجارب المتعلقة بتحول[١] الأنواع الحية. فقد تولد لدىَّ فى غضون رحلة البيجل، انطباع عميق، عن طريق الاكتشاف فى "التكوين الـــپامـــپيانى"[٢]، لحيوانات أحفورية ضخمة مغطاة بالدروع، مثل تلك الموجودة على الحيوانات المدرعة[٣]، الموجودة حاليا، وثانيا عن طريق الأسلوب الذى تقوم الحيوانات المتقاربة بشكل حميم باتباعه، للحلول محل بعضها الآخر، أثناء التقدم تجاه الجنوب على القارة، وثالثا، عن طريق الطابع الأمريكى الجنوبى، الخاص بمعظم المنتجات الموجودة فى "أرخبيل جالا پيجوس" Galapagos Archipelago، وبشكل أكثر خصوصية، بالطريقة التى يختلفون بها بشكل بسيط، على كل جزيرة من المجموعة، رغم أنه لم يبد على أى من الجزر، أنها كانت عتيقة جدا، من الوجهة الـــچيولوچـــية.

كان من الواضح أن حقائق على هذه الشاكلة، علاوة على حقائق كثيرة أخرى، لا يمكن تفسيرها إلا بناء على الافتراض بأن الأنواع الحية، قد أصبحت معدلة بشكل تدريجى، وقام هذا الموضوع بملازمة ذهنى. ولكنه من الواضح بشكل مساو، أنه لا يمكن لمفعول الظروف المحيطة، ولا إرادة الكائنات الحية[٤] (وخاصة فى حالة النباتات)، أن تكون مسئولة، عن الحالات التى لا حصر لها، التى أصبحت فيها الكائنات التابعة لكل صنف، متكيفة بشكل جميل مع سلوكياتها الحياتية[٥]، وعلى سبيل المثال، لأن يقوم طائر ناقر للخشب[٦]، أو ضفدعة شجرية[٧]، بتسلق الأشجار،

---

(١) التحول = التبدل — Transmutation

(٢) التكوين الـــپامـــپيانى (من طبقات الأرض) — Pampean Formation

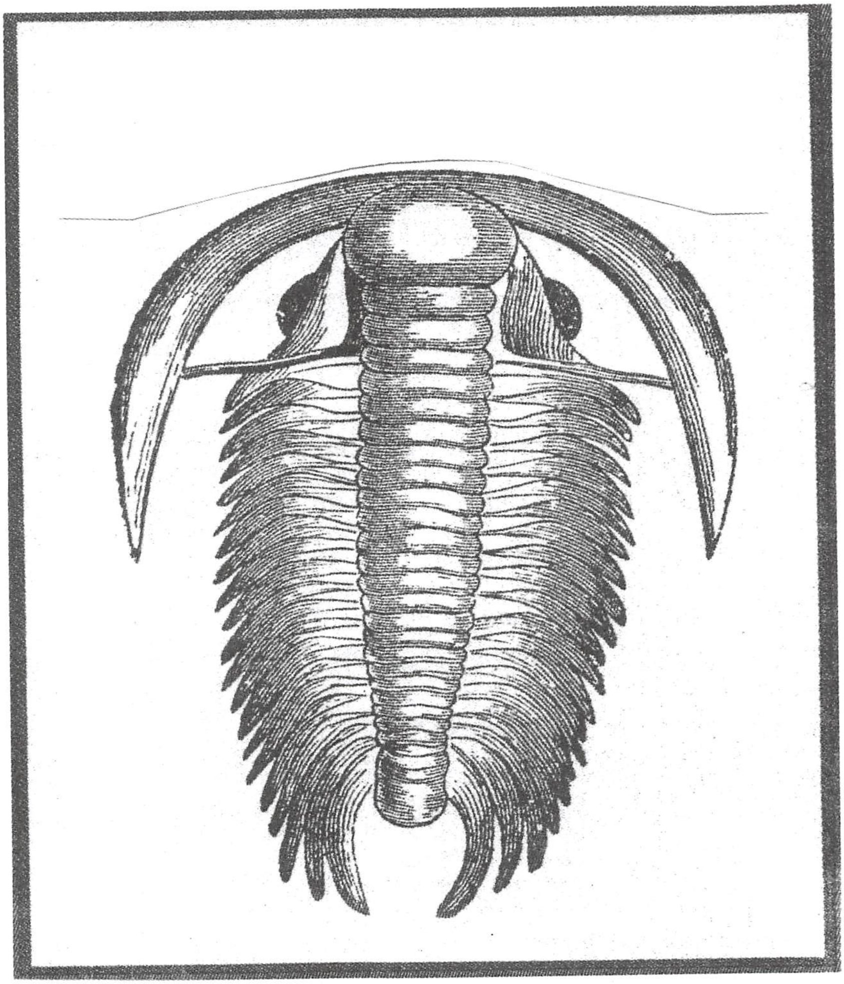
(٣) الحيوان المدرع: حيوان ثديى جنوب أمريكى من الدرداوات مغطى بالدروع العظمية — Armadillo

(٤) الكائنات الحية — Organisms

(٥) السلوكيات الحياتية — Habits of life

(٦) (طائر) ناقر الخشب — Wood pecker

(٧) ضفدعة شجرية • — Tree-frog



لوحة (٣١)

حيــوان هــدابى

أو قيام بذرة بالانتشار[١] عن طريق الكلابات[٢] أو الريشات[٣]. ولقد كنت دائما ما أصطدم بمثل تلك التكيفات البينية[٤]، إلى أن يصبح فى الإمكان إيجاد تفسير لتلك الأشياء، لا توجد فائدة،من محاولة الإثبات عن طريق البراهين المباشرة، على أن الأنواع الحية قد تم تعديلها.

بدا لى بعد عودتى إلى إنجلترا، أنه من الممكن عن طريق اتباع "لايل"، كقدوة فى علم طبقات الأرض، وعن طريق الجمع لجميع الحقائق، التى تتصل بأى طريقة، بتغاير[٥] الحيوانات والنباتات، تحت تأثير التدجين[٦] وتحت تأثير الطبيعة، إلقاء بعض الضوء، على الموضوع بأكمله. وقد فتحت أول كراسة لملاحظاتى، فى يوليو ١٨٣٧. وعملت بناء على مبادئ "بيكون" Baconian principles الدقيقة، وقمت بدون أى نظرية فى ذهنى، بجمع الحقائق على نطاق إجمالى، وبشكل أكثر خصوصية، بالنسبة إلى المنتجات المدجنة، وذلك عن طريق الاستفسارات المطبوعة، وتبادل الحديث مع المستولدين[٧] والبستانيين[٨] البارعين، وعن طريق القراءة واسعة النطاق. وعندما أرى قائمة الكتب من جميع الأصناف، التى قرأتها وقمت بتلخيصها، بما فى ذلك سلاسل كاملة من السجلات[٩] ومحاضر الجلسات[١٠]، أشعر بالدهشة من مثابرتى[١١]. وسرعان ما أدركت أن الانتقاء[١٢]،

---

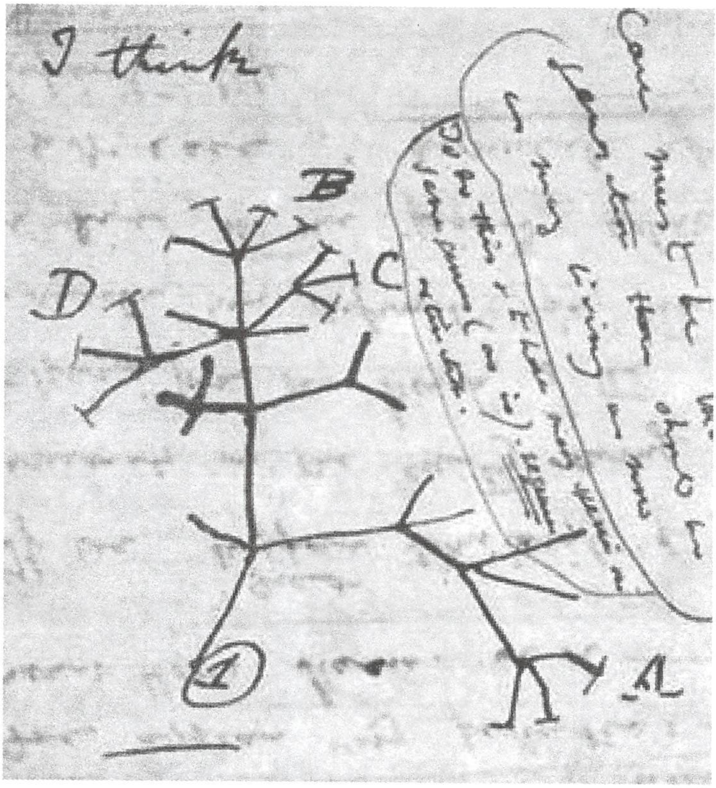
(١) إنتشار Dispersal
(٢) كلاب = خطاف - عقيفة Hook
(٣) ريشة Plume
(٤) تكييف (بينى) Adaptation
(٥) التغاير Variation
(٦) التدجين Domestication
(٧) مستولد Breeder
(٨) بستانى Gardener
(٩) سجل Journal
(١٠) محضر جلسة Transaction
(١١) مثابرة = كد Industry
(١٢) الانتقاء • Selection

قد كان هو المرتكز[١] لنجاح الإنسان، فى تكوين أعراق[٢] مفيدة من الحيوانات والنباتات. ولكن ظل إمكان تطبيق الانتقاء، على الكائنات التى تعيش فى البيئة الطبيعية[٣]، لبعض الوقت، لغزا بالنسبة لى.

تصادف فى أكتوبر ١٨٣٨، وهذا يعنى بعد خمسة عشر شهرا، من الابتداء لاستفساراتى النظامية[٤]، أن قمت بالقراءة على سبيل التسلية، لكتاب "مالثوس" Malthus عن "التعداد السكانى" Population، ولأننى كنت على استعداد تام، لإدراك دور التنازع على البقاء Struggle for Existence، الذى يدور فى كل مكان، نتيجة للمراقبة المستمرة المتطاولة المدة، لسلوكيات الحيوانات والنباتات، فقد خطر ببالى على الفور، أن من شأن التغايرات المواتية[٥] تحت تأثير تلك الظروف، أن تميل إلى أن يتم الإبقاء عليها[٦]، وأن يتم تدمير[٧].التغيرات غير المواتية. ومن شأن النتيجة أن تتمثل، فى التشكيل لأنواع حية جديدة. وحصلت فى النهاية بناء على ذلك على نظرية، أستطيع الانطلاق فى العمل عن طريقها، لكننى كنت حريصا على تجنب الحكم المسبق[٨] على الأمور، إلى درجة أننى لم أقم لبعض من الوقت، بكتابة أى مسودة مختصرة عنها، وسمحت لنفسى لأول مرة فى يونيو ١٨٤٢، بالشعور بالإشباع عن طريق التدوين لملخص مختصر جدا عن نظريتى بالقلم الرصاص، فى ٣٥ صفحة، وقد تم توسيع ذلك الملخص، فى غضون صيف ١٨٤٤، إلى ٢٣٠ صفحة، وهى التى قمت بنسخها بشكل جيد، ومازالت فى حوزتى.

---

(١) المرتكز - حجر العقد — Keystone
(٢) عرق — Race
(٣) البيئة (الحالة) الطبيعية — State of nature
(٤) نظامى = تصنيفى — Systematic
(٥) مواتى — Favourable = Favorable
(٦) يبقى على = يحتفظ — Preserve
(٧) تدمير = اهلاك — Destroy
(٨) الحكم المسبق — Prejudice



لوحة (٣٢)

أول رسم تخطيطى قام "داروين" برسمه للشجرة التطورية

إلا أننى أغفلت فى ذلك الوقت، مشكلة ذات أهمية بالغة، وقد كان المثير لدهشتى كيف تسنى لى إغفالها وإغفال حلها، إلا إذا كان ذلك، بناء على مبدأ "كولومبوس" Columbus وبيضته. وكانت هذه المشكلة، تتمثل فى النزعة الموجودة لدى الكائنات المتعضية(1) المنحدرة عن نفس الأصل، لأن تتشعب فى الطابع(2)، عندما تصبح معدلة(3). وقد كان من الواضح أنها تشعبت بشكل هائل، من الطريقة التى يمكن بها الترتيب(4) للأنواع من جميع الأصناف، تحت طبقات، والطبقات(5) تحت فصائل(6)، والفصائل تحت رتب فرعية(7)، وهلم جرا، وأستطيع أن أتذكر بشكل محدد، النقطة الموجودة على الطريق أثناء وجودى فى عربتى، التى خطر عندها الحل على بالى، وكان ذلك بعد وقت طويل من حضورى إلى "داون". وأعتقد أن الحل هو أن الذرارى(8) المعدلة لجميع الأشكال المهيمنة(9) والمتزايدة، تميل إلى أن تصبح متكيفة(10)، على الكثير والمتنوع(11) بشكل كبير، من الأماكن الموجودة فى المنظومة الطبيعية(12).

نصحنى "لايل" فى وقت مبكر من عام ١٨٥٦، بأن أقوم بتحرير وجهات نظرى بشكل كامل تماما، وبدأت على الفور فى القيام بذلك، بمعدل يصل إلى ثلاثة أو أربعة أضعاف، ما قمت باتباعه فيما بعد، فى تحريرى لكتابى "أصل الأنواع"

---

(١) الكائنات المتعضية — Organic beings
(٢) الطباع — Character
(٣) معدل — Modified
(٤) يرتب = رتبة — Class
(٥) طبقة * — Genus (Pl. Genera)
(٦) فصيلة = عائلة — Family
(٧) رتبة فرعية — Sub-order
(٨) الذرارى: جمع ذرية — Offspring
(٩) مهيمن = مسيطر — Dominant
(١٠) متكيف = متهايئ — Adapted
(١١) متنوع — Diversified
(١٢) المنظومة الطبيعية * — Economy of nature

(نشأة الأنواع الحية)، إلا أن ذلك كان ملخصا فقط، للمادة العلمية التى جمعتها، واستطعت الإنجاز لحوالى نصف العمل بهذا المعدل. ولكن خططى انقلبت رأسا على عقب. حيث أرسل لى فى وقت مبكر من صيف عام ١٨٥٨، "السيد والاس" Mr. Wallace، الذى كان فى ذلك الوقت موجودا فى "أرخبيل الملايو" Malay archipelago، مقالة علمية بعنوان "حول نزعة الضروب الحية للانفصال بشكل غامض عن النمط الأصلى" On the Tendency of Varieties to depart indefinitely from the Original Type، وكانت تلك المقالة تحتوى بالضبط، على نفس نظريتى. وعبر "السيد والاس" عن رغبته، فى أن يكون من شأنى لو شعرت بالاستحسان لمقالته، إرسالها إلى "لايل" للتمعن .

تم إثبات الظروف التى وافقت تحت تأثيرها، على طلب "لايل" و"هوكر"، على السماح لملخص مأخوذ عن مخطوطاتى اليدوية، بالإضافة إلى خطاب موجه إلى "آسا جراى" بتاريخ ٥ سبتمبر ١٨٥٧، لكى يتم نشرهما فى نفس الوقت، مع مقالة "والاس"، فى سجلات اجتماعات الجمعية اللينيائية Journal of the Proceedings of the Linnean Society، فى عام ١٨٥٨ صفحة ٤٥. وقد كنت فى البداية غير ميال للموافقة، على أساس أننى ظننت أن "السيد والاس"، قد يعتبر أننى قمت بذلك، دون مبرر، لأننى لم أكن أعلم فى ذلك الوقت، مدى كرم ونبل أخلاقه. ولم يكن كل من ملخص كتاباتى اليدوية، أو الخطاب الموجه إلى "آساجراى"، معدين للنشر، وكانا مكتوبين بشكل ردىء. وعلى الجانب الآخر كانت مقالة " السيد والاس" دقيقة وواضحة بشكل مثير للإعجاب ·ورغم كل شيء، فقد أثار إنتاجنا المشترك انتباها قليلا جدا، وقد تمت كتابة المذكرة المنشورة الوحيدة لهما، التى أستطيع أن أتذكرها، بواسطة "الأستاذ هوتون" Prof. Haughton من "دبلن" Dublin، والذى كان قراره، أن كل المستجدات التى جاءت بهما تمثل أشياءَ زائفة، وكل ما كان حقيقيا كان قديما. وهذا يوضح مدى ضرورة الشرح لأى وجهة نظر جديدة بتطويل كبير، لكى تثير الانتباه العام.

بدأت فى سبتمبر ١٨٥٨ فى العمل، بناء على نصيحة "لايل" و"هوكر"، لإعداد مجلد عن تحول الأنواع الحية، لكن كانت تتم إعاقتى فى كثير من الأحيان، عن طريق صحتى المعتلة، وزياراتى القصيرة إلى "الدكتور لان" Dr. Lane، فى مؤسسته الممتعة للعلاج التجريبى بالمياه، الموجودة فى "موربارك" Moor Park. وقد قمت بتلخيص المخطوطات اليدوية، وبدأت على نطاق واسع بكثير، فى عام ١٨٥٦،لإتمام المجلد بنفس هذا المستوى المختزل. وقد كلفنى ذلك ثلاثة عشر شهرا وعشرة أيام، من العمل الشاق. وتم نشره تحت عنوان "أصل الأنواع" (نشأة الأنواع الحية) Origin of Species، فى نوفمبر ١٨٥٩. ورغم الإضافات والتصويبات الكثيرة، التى حدثت فى الإصدارات التالية، فإنه ظل نفس الكتاب فى جوهره.

لا شك أن هذا الكتاب، يمثل العمل الرئيسى فى حياتى. وقد كان منذ البداية غاية فى النجاح. وقد تم بيع الإصدار المتواضع الأول، المكون من ١٢٥٠ نسخة، فى نفس يوم صدوره، وتبعه سريعا الإصدار الثانى المكون من ٣٠٠٠ نسخة . وقد تم إلى الآن (١٨٧٦) بيع ستة عشر ألف نسخة فى إنجلترا، ومع الوضع فى الاعتبار صعوبة الكتاب، فإن ذلك يعتبر حجما ضخما من المبيعات. وقد تمت ترجمته إلى كل لسان أوربـــى تقريبا، حتى إلى لغات مثل الإسبانية والبوهيمية، والـــبولندية، والروسية. وقد تمت أيضا، بناء على ما تقوله "الآنسة بيرد" Miss Bird، ترجمته إلى اللغة اليابانية [26]، وتمت دراسته هناك بشكل كبير. ووصل الأمر إلى ظهور مقالة عنه باللغة العبرية توضح أن النظرية موجودة فى كتاب العهد القديم!. وقد كانت استعراضاته [1] كثيرة جدا، وقد قمت لبعض الوقت بجمع كل ما ظهر عن الكتاب، وعن كتبى الأخرى المتعلقة به، ووصلت (مع الاستبعاد لاستعراضات الجرائد) إلى ٢٦٥ تعليقا، لكننى توقفت عن المحاولة، يائسا بمرور الوقت. وقد ظهر العديد من المقالات المنفصلة والكتب، التى تدور حول الموضوع، ويتم فى ألمانيا صدور بيان مصور [2] أو مسرد [3]، يدور حول "الداروينية" Darwinismus، كل عام أو عامين.

---

(١) استعراض Review

(٢) بيان مصور Catalogue = Catalog

(٣) مسرد = ثبات Bibliography



لوحة (٣٣)

ألفريد راسيل والاس فى سنغافورة

أعتقد أن نجاح كتاب "النشأة" Origin، من الممكن أن يعزى فى جزء كبير منه، إلى سبق قيامى بالكتابة منذ وقت طويل، لاثنين من المسودات المكثفة، ولأننى قمت فى آخر الأمر بتلخيص مخطوطات يدوية أكبر بكثير، والتى كانت فى حد ذاتها ملخصا. وقد تمكنت عن طريق تلك الوسائل، أن أقوم بانتقاء الحقائق والاستنتاجات الأكثر لفتا للأنظار.

كان لدى أيضا فى غضون الأعوام الكثيرة التالية، قاعدة ذهبية، وهى بالتحديد، قيامى - كلما تم نشر حقيقة أو ملحوظة جديدة أو فكرة تمر بخاطرى معارضة لنتائجى العامة- بكتابة مذكرة عنها على الفور وبدون إخفاق، لأننى وجدت عن طريق التجربة، أن مثل تلك الحقائق والأفكار، قابلة للهرب من الذاكرة، بشكل أكبر بكثير، عن الحقائق والأفكار المواتية. ونتيجة لهذه العادة، فإن النزر اليسير جدا من الاعتراضات، التى قامت ضد وجهات نظرى، هى التى لم ألاحظها، ولم أحاول الرد عليها.

قيل فى بعض الأحيان، إن نجاح كتاب "النشأة"، قد أثبت "أن الموضوع كان مطروحا"، أو "أن أذهان الناس كانت مستعدة له". وأنا لا أعتقد أن هذا صحيح بشكل تام، لأننى كنت أقوم أحيانا، بسبر غور عدد ليس بالقليل من العلماء فى الطبيعة، ولم يحدث على الإطلاق، أن تقابلت مع واحد منهم يبدو أن لديه شكًا، فى استدامة[1] الأنواع الحية. بل رغم أنه كان من شأن "لايل" و"هوكر" الإنصات إلىّ باهتمام، إلا أن الموافقة لم تبد عليهما على الإطلاق. ولقد حاولت مرة أو مرتين، أن أشرح لرجال محنكين، ما أعنيه بالانتقاء الطبيعى، لكننى فشلت فى ذلك تماما. والشيء الذى أعتقد أنه صحيح تماما، هو أنه قد تم التخزين لعدد لا حصر له، من الحقائق الملحوظة بشكل جيد، فى أذهان العلماء الطبيعيين، استعدادا لتبوؤ أماكنها الصحيحة، بمجرد أن يتم الشرح بشكلٍ كاف، لأى نظرية تستطيع استيعابها.

---

(١) استدامة = ثبات Permanence



لوحة (٣٤)

صورة چوزيف هوكر (فى شيخوخته)

وقد كان هناك عاملٌ آخر مسئولٌ عن نجاح الكتاب، ألا وهو حجمه المتوسط، وأنا مدين بذلك إلى ظهور مقالة "السيد والاس"، لأننى لو كنت نشرته على نفس المستوى - الذى بدأت فيه الكتابة فى عام ١٨٥٦- لكان من شأن الكتاب أن يصل إلى أربعة أو خمسة أضعاف حجم كتاب "النشأة"، وكان من شأن العدد القليل جدا من الناس أن يكون لديهم الصبر الكافى على قراءته.

فزت بالكثير عن طريق تأجيلى للنشر، من حوالى عام ١٨٣٩، عندما تم التصور الواضح للنظرية، إلى عام ١٨٥٩، ولم أفقد أى شىء عن طريق ذلك؛ لأننى لم أهتم إلا بشكل قليل جدًا، اذا ما كان الناس يعزون معظم الأصالة إلىَّ، أو إلى "والاس"، ولا شك فى أن مقالته العلمية، قد ساعدت على استقبال النظرية، وقد أصبت بإحباط فى نقطة مهمة واحدة فقط، التى دائما ما دفعنى كبريائى للندم عليها، وهى بالتحديد، التفسير عن طريق اللجوء إلى العصر الجليدى، لتواجد نفس الأنواع من النباتات، والبعض القليل من الحيوانات، على القمم الجبلية المتباعدة، وفى المناطق القطبية. وقد أسعدتنى هذه الوجهة من النظر بشكل كبير، إلى درجة أننى قمت بتدوينها بالتطويل، وأعتقد أنها أذيعت بواسطة "هوكر"، قبل بضع سنوات من قيام "إ. فوربس E. Forbes، بنشر مذكراته المشهورة [27] حول هذا الموضوع. وما زلت أظن فى النقاط القليلة جدا التى اختلفنا فيها، أننى كنت على صواب. وبالطبع، فإننى لم أقم على الإطلاق- بالإشارة فى أى مطبوعات- إلى أننى قمت بشكل مستقل، بالتفكير فى هذه الوجهة من النظر.

نادرا ما كانت هناك أى نقطة، قامت بمنحى إشباعًا كبيرا، عندما كنت أعمل فى كتاب "النشأة"، مثل التفسير للاختلاف العريض الموجود فى طبقات كثيرة، بين الجنين والحيوان البالغ، والتماثل الوثيق للأجنة، فى غضون نفس الطبقة. ولم يتم الانتباه إلى هذه النقطة، طبقا لما أتذكره، فى الاستعراضات المبكرة لكتاب "النشأة"، وأتذكر تعبيرى عن الدهشة حول هذا الأمر، فى خطاب إلى "آساجراى". وقد قام فى غضون الأعوام الأخيرة، العديد من المستعرضين، بإعطاء الفضل كله،

ON

THE ORIGIN OF SPECIES

BY MEANS OF NATURAL SELECTION,

OR THE

PRESERVATION OF FAVOURED RACES IN THE STRUGGLE FOR LIFE.

BY CHARLES DARWIN, M.A.,

FELLOW OF THE ROYAL, GEOLOGICAL, LINNÆAN, ETC., SOCIETIES;
AUTHOR OF 'JOURNAL OF RESEARCHES DURING H. M. S. BEAGLE'S VOYAGE ROUND THE WORLD.'

LONDON:
JOHN MURRAY, ALBEMARLE STREET.
1859.

لوحة (٣٥)

الصفحة الافتتاحية من كتاب "نشأة الأنواع الحية" (أصل الأنواع)
(الإصدار الأول – عام ١٨٥٩)

المشروع القومى للترجمة

أصل الأنواع

نشأة الأنواع الحية
عن طريق الانتقاء الطبيعى
أو
الاحتفاظ بالأعراق المفضلة
فى أثناء الكفاح من أجل الحياة

تأليف : تشارلس داروين

ترجمة : مجدى محمود المليجى

تقديم : سمير حنا صادق

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٤

لوحة (٣٦)
الصفحة الافتتاحية للترجمة العربية لكتاب
أصل الأنواع (نشأة الانواع الحية)

إلى "فريتز موللر" Fritz Muller و"هاكل" Hackel، اللذين قاما بدون شك ببحثه، بشكل أكثر اكتمالا، ومن بعض الجهات، بشكل أكثر صحة مما قمت به. لقد كانت لدىَّ من المواد، ما يشغل بابا كاملا حول هذا الموضوع، وكان من الواجب على أن أقوم بجعل المناقشة أطول، وحيث من الواضح، أننى فشلت فى التأثير على قرائى، والشخص الذى ينجح فى القيام بذلك يستحق فى رأيى، الحصول على الفضل كله.

يقودنى هذا إلى التعليق، بأنه قد تمت معاملتى دائما تقريبا، بشكل صادق، عن طريق المستعرضين لأعمالى، مع المرور مر الكرام، على هؤلاء المفتقدين لأى معرفة علمية، على أساس أنهم لا يستحقون أى اهتمام. وقد تم فى كثير من الأحيان، التحريف بشكل جسيم، لوجهات نظرى، وتمت معارضتها بشكل مرير، وتمت السخرية بها، لكننى أعتقد أن كل ذلك قد تم بشكل عام، بنية صافية. ولا أشك فى مجمل الأمر، فى أن أعمالى قد تم مدحها، بشكل أكبر كثيرا مما تستحق. وأشعر بالسعادة لأننى تجنبت المجادلات، وأنا مدين بذلك لـــ "لايل"، الذى نصحنى بقوة منذ سنوات طويلة ماضية، بالنسبة لكتبى الــچيولوچية، بألا أقوم بالاشتباك فى مجادلة، على أساس أنها من النادر أن تؤدى إلى أى شىء جديد، وأنها تتسبب فى الفقدان المزرى، للوقت والمزاج.

كنت أستمد أكبر قدر من الرحة، كلما اكتشفت أننى تعثرت، أو أن علمى كان منقوصا، أو عندما كان يتم انتقادى بازدراء، أو حتى عندما يتم إطرائى بشكل زائد، إلى درجة تجعلنى أشعر بالخجل، بأن أقول لنفسى مئات المرات: "لقد قمت بالعمل الشاق والجيد قدر استطاعتى، ولا يستطيع إنسان أن يفعل أكثر من ذلك". وأتذكر عندما كنت فى "خليج النجاح الجيد" Goog Success Bay، الموجود فى "أرض النار" Tierra del Fuego، أنه دار فى ذهنى (وأعتقد أننى قمت بذكر ذلك فى خطاب مرسل للوطن)، أننى لا أستطيع استغلال حياتى بشكل أفضل، من قيامى بإضافة أى شىء قليل، إلى العلوم الطبيعية. وقد قمت بذلك إلى أقصى حد مستطاع،

ويستطيع النقاد أن يقولوا ما يريدون، ولكن ليس فى استطاعتهم تحطيم هذا الاقتناع.

انهمكت فى غضون الشهرين الأخيرين من عام ١٨٥٩، إلى أقصى حد، فى الإعداد لإصدار ثان لكتاب "النشأة"، علاوة على عدد هائل من المراسلات. وبدأت فى الأول من يناير ١٩٦٠، فى ترتيب أوراقى، للعمل على كتاب "تمايز الحيوانات والنباتات، تحت تأثير التدجين" Variation of Animals and Plants under Domestication، لكنه لم ينشر إلا فى بداية عام ١٨٦٨، وقد كان هذا التأخير جزئيا، بسبب توعكاتى المتكررة، والتى استمر أحدها لسبعة أشهر، وفى جزء آخر، عن طريق إغرائى بالكتابة عن مواضيع أخرى كانت تثير انتباهى بشكل أكبر، فى ذلك الوقت.

تم فى ١٥ مايو ١٨٦٢ نشر كتابى الصغير، عن "تلقيح السحلبيات" Fertilisation of Orchids، الذى كلفنى عشرة أشهر من العمل، وقد تراكمت معظم الحقائق الموجودة به بشكل بطىء، على مدى العديد من السنوات السابقة. حيث انقدت فى غضون صيف ١٨٣٩- وأعتقد فى غضون الصيف السابق إلى الاهتمام بالتلقيح المتبادل(١) للزهور، بمساعدة الحشرات، نتيجة لانتهائى إلى الاستنتاج، أثناء تأملاتى حول نشأة الأنواع الحية، إلى أن التهجين لعب دورا مهما، فى الإبقاء على ثبات أشكال محددة. وقد عنيت بهذا الموضوع، فى غضون كل صيف تال تقريبا، وزاد اهتمامى به بشكل كبير، عند حصولى وقراءاتى، فى نوفمبر ١٨٤١، من خلال نصيحة "روبرت براون" Robert Brown، على نسخة من كتاب "س.ك. سـبرنـجل" C.K. Sprengel بعنوان " الكشف عن أسرار الطبيعة" Das entdeckte Geheimniss der Natur. وعنيت بشكل خاص على مدى بضع السنوات السابقة لعام ١٨٦٢، بتلقيح سحلبياتنا(٢) البريطانية، وبدا

---

(١) التلقيح المتبادل = التلقيح التهجينى Cross fertilization
(٢) السلحلبيات = الأوركيدات Orchids

لى أن أفضل خطة، هى القيام بإعداد بحث مكتمل قدر استطاعتى، عن هذه المجموعة من النباتات، بدلا من استخدام المادة العلمية الضخمة، التى جمعتها ببطء، فيما يتعلق بالنباتات الآخرى.

ثبت أن قرارى كان حكيما، حيث تم بعد صدور كتابى ظهور عدد مذهل من الأبحاث العلمية، والأعمال المنفصلة، حول موضوع التلقيح لجميع الأصناف من الزهور، وقد تم القيام بتلك الأبحاث بشكل أفضل بكثير، عما كان من المحتمل أن أقوم به. وبذلك تم الاعتراف بشكل كامل بجدارة "سـبرنـجل" العجوز المتواضع، التى تم إغفالها لمدة طويلة، بعد مضى سنوات طويلة على وفاته.

قمت فى غضون نفس السنة بنشر مقالة علمية، فى "سجلات الجمعية اللينيائية"، بعنوان "حول الشكلين، أو الحالة ثنائية الشكل، لزهرة الربيع" On the two Forms, or Dimorphic Condition of Primula، وأتبعتها خلال الأعوام الخمسة التالية، بخمس مقالات علمية أخرى، عن النباتات ثنائية الشكل(١) وثلاثية الشكل(٢). ولا أعتقد أن هناك شيئا آخر فى حياتى العلمية، منحنى هذا القدر الكبير من الإشباع، أكثر من التوصل إلى معنى التركيب بتلك النباتات. فقد لاحظت فى عام ١٨٣٨ أو ١٨٣٩، الازدواج الشكلى لنبات الكتان الأصفر(٣)، وظننت فى أول الأمر، أن ذلك مجرد حالة لا معنى لها من التغاير(٤)، لكننى وجدت عند فحص الأنواع الشائعة من زهرة الربيع، أن الشكلين كانا على درجة كبيرة من الانتظام والثبات، تمنع أن يتم النظر إليهما على هذا الأساس. وأصبحت بناء على ذلك مقتنعا تقريبا، بأن زهر الربيع العطرى(٥) الشائع، وزهر الربيع(٦)، قد كانا فى

(١) ثنائى الشكل = مزدوج الشكل — Dimorphic
(٢) ثلاثى الشكل — Trimorphic
(٣) الكتان الأصفر * — Linym flavum
(٤) التغاير — Variability
(٥) زهر الربيع العطرى= شفة البقر* — Cowslip
(٦) زهر الربيع =كعب الثلج= الزهر مزموم الشفة — Primrose

الطريق الى أن يصبحا منفصلى الجنس[١]، وأن المدقة[٢]القصيرة الموجودة فى واحد من الأشكال، والأسدية[٣] القصيرة الموجودة فى الشكل الآخر، كانا يميلان تجاه الإجهاض[٤]. وكانت النباتات بهـ ا الشكل معرضة، بناء على هذه الوجهة من النظر، لمحنة[٥]، ولكن عندما تبين أن الأزهار الحائزة على المدقات القصيرة الملقحة بغبار الطلع المستمد من الأسدية القصيرة، تقوم بالإدرار لبذور أكثر، من أى من الاتحادات الأربعة الأخرى، تم القضاء على نظرية الإجهاض. وأصبح من الواضح بعد القيام ببعض التجارب الإضافية، أنه- بالرغم من أن كلا الشكلين كانا خنثيين بشكل كامل- فإنهما يحملان نفس الدرجة من القرابة لأحدهما الآخر تقريبا، مثلما يفعل الشقان الجنسيان الخاصان بأحد الحيوانات المعتادة. ولدينا مع نبات الحناء[٦] حالة مدهشة بشكل أكبر، خاصة بثلاثة من الأشكال، التى تقف على درجة متماثلة من القرابة من أحدها الآخر. وقد وجدت فيما بعد، أن الذرية الناتجة عن اتحاد اثنين من النباتات التابعة لنفس الأشكال، تقوم بتقديم تناظر[٧] حميم وغريب، مع الأنغال[٨] الناتجة عن الاتحاد الخاص بنوعين متباينين.

---

(١) منفصل الجنس — Dioeceous

(٢) المدقة : عضو التأنيث فى الزهرة

(٣)السداة (جمعها أسدية): العضو الذكرى فى الزهرة — Stamen

(٤) اجهاض — Abortion

(٥) محنة — Trial

(٦) نبات الحناء = الفرندل — Lythrum

(٧) تناظر — Analogy

(٨) نغل (جمعها أنغال) — Hybrid

THE VARIATION

OF

ANIMALS AND PLANTS

UNDER

DOMESTICATION

Second Edition, Revised

Charles Darwin

VOLUME ONE

New York: D. Appleton & Co.

1883

لوحة (٣٧)

الصفحة الافتتاحية لكتاب تمايز الحيوانات والنباتات تحت تأثير التدجين – ١٨٨٣ (لم تتم ترجمته إلى الآن)

انتهيت فى خريف ١٨٦٤، من مقالة علمية طويلة، حول "النباتات المتسلقة" Climbing Plants، وقمت بإرسالها إلى "الجمعية اللينيائية". وقد كلفتنى كتابة هذه المقالة أربعة أشهر، لكننى كنت متوعكا جدا عند استلام صحاف التجارب الطباعية(١)،واضطررت لتركها فى حال سيىء، وكان الكثير من التعبيرات يشوبه الغموض. ولم يتم الاهتمام بالمقالة العلمية إلا بشكل قليل، ولكن عندما تم فى عام ١٨٧٥ تصويب المقال، وتم نشره ككتاب منفصل، كانت مبيعاته جيدة. وقد انقدت إلى تناول هذا الموضوع عن طريق قراءتى لمقالة علمية قصيرة، تم نشرها بواسطة "آساجراى"، فى عام ١٨٥٨. ثم أرسل إلىّ بعض البذور، وعندما قمت بإنبات ورعاية بعض النباتات، كنت مفتونا ومتحيرا، بالحركات الالتفافية الخاصة بالمحاليق(٢) والسيقان(٣)، كانت تلك الحركات غاية فى البساطة فى حقيقتها، رغم أنها تبدو لأول وهلة، غاية فى التعقيد، مما دفعنى إلى جلب أصناف متنوعة أخرى من النباتات المتسلقة، وقمت بدراسة الموضوع بأكمله. وأصبحت مع مرور الوقت أكثر تعلقا بالموضوع، لأننى لم أكن مقتنعا على الإطلاق، بالتفسير الذى قدمه لنا "هنسلو" فى محاضراته، عن النباتات الملتفة(٤)، وهو بالتحديد، أنها حائزة على نزعة طبيعية للنمو فى شكل لولبى(٥). وقد ثبت أن هذا التفسير خاطئ تماما. فإن البعض من التكيفات، التى يتم استعراضها بواسطة النباتات المتسلقة، تكون على نفس الدرجة من الجمال، المماثل لتلك الخاصة بالسحلبيات، من أجل التأكد من حدوث التلقيح المتبادل.

---

(١) صحاف التجارب الطباعية Proof-sheets
(٢) محلاق (جمعها محاليق) Tendril
(٣) ساق (النبات) Stem
(٤) النباتات الملتفة Twining
(٥) شكل لولبى Spire

بدأ تدوين كتابى "تمايز الحيوانات والنباتات تحت تأثير التدجين" كما صرحت من قبل، فى بداية عام ١٨٦٠، لكن لم يتم نشره إلى بداية عام ١٨٦٨. فقد كان كتابا ضخما، واستغرق منى أربعة أعوام وشهرين من العمل الشاق. وهو يقوم بتقديم جميع ملاحظاتى، ويشتمل على عدد هائل من الحقائق عن منتجاتنا الداجنة، التى تم جمعها من مصادر متنوعة. وقد تم فى الجزء الثانى، تناول الأسباب والقوانين الخاصة بالتغاير، والوراثة، وخلافهما، إلى الحد الذى تسمح به حالتنا المعرفية الحالية. وقد قمت تجاه نهاية الكتاب، بتقديم فرضيتى، التى تم التعسف ضدها بشدة، الخاصة بـ"شمولية التكوين". ومن شأن الفرضية التى لا يتم إثبات صحتها، أن تكون ذات فائدة صغيرة، أو بدون أى فائدة على الإطلاق، لكن إن كان من شأن شخص أن يقاد فى المستقبل إلى القيام بملاحظات من شأنها إثبات فرضية على هذه الشاكلة، فإننى أكون قد قمت بتقديم خدمة جليلة، حيث يمكن بهذا الشكل، الربط بين عدد مدهش من الحقائق المنعزلة، وجعلها قابلة للفهم. وقد تم النشر فى عام ١٨٧٥، لإصدار ثان مدققًا على نطاق واسع، وهو الأمر الذى كلفنى قدرا كبيرا من العمل الشاق.

تم الإصدار لكتابى "نشأة الإنسان" Descent of Man فى فبراير ١٨٧١. فإننى بمجرد أن أصبحت مقتنعا فى عام ١٨٣٧ أو ١٨٣٨، بأن الأنواع الحية قد كانت منتجات قابلة للتغيير[١]،لم أتمكن من تجنب الاعتقاد، بأن الإنسان لابد أن يندرج تحت نفس القانون. وقمت بناء على ذلك بجمع المذكرات التى تدور حول الموضوع، من أجل الإشباع لذاتى، ولم يكن ذلك لوقت طويل، بأى نية للنشر. ورغم أنه لم يتم النقاش على الإطلاق، فى كتاب" أصل الأنواع" (نشأة الأنواع الحية)، حول المنشأ الخاص بأى نوع حى محدد، إلا أن فكرى دار حول أنه من الأفضل، لتجنب قيام أى رجل محترم باتهامى بإخفاء وجهات نظرى، أن أضيف بأنه عن طريق هذا الكتاب، من شأنه أن يلقى الضوء على منشأ الإنسان، وعلى

(١) قابلة للتغيير أو التحويل أو التقلب – غير ثابت Mutable

تاريخه". وقد كان من العقيم والمؤذى لنجاح الكتاب، أن يتم عرضه، بدون التقديم لأى دليل على إيمانى الراسخ، فيما يتعلق بالنشأة الإنسانية.

عندما وجدت أن الكثير من علماء الطبيعة، قد تقبلوا بشكل كامل، مذهب تطور الأنواع الحية، فقد بدا لى أنه من المستحسن، القيام بتحديث تلك المذكرات بالتدريج، بمجرد حصولى عليها، وأن أقوم بنشر بحث خاص، عن نشأة الإنسان. وقد كنت أكثر من سعيد بالقيام بهذا العمل، لأنه منحنى فرصة القيام بالتناول الكامل، لموضوع الانتقاء الجنسى[1]. وهو موضوع كان يثير اهتمامى بشكل كبير دائما. وقد كان هذا الموضوع، وذلك الخاص بتمايز منتجاتنا الداجنة، بالإضافة إلى الأسباب والقوانين المتعلقة بالتغاير، والوراثة، والتهجين المتبادل للنباتات، تمثل المواضيع الوحيدة، التى أتيحت لى فرصة الكتابة عنها بشكل كامل، لكى أقوم باستخدام كل المادة العلمية، التى قمت بتجميعها. وقد استغرق منى كتاب "نشأة الإنسان"، ثلاثة أعوام من الكتابة، إلا أننى فقدت كما جرت العادة، بعضا من هذا الوقت، عن طريق اعتلال صحتى، وتم استهلاك بعضه، فى الإعداد لإصدارات جديدة، وأعمال صغيرة أخرى. وقد ظهر إصدار ثان مدققًا على نطاق واسع، من "نشأة الإنسان"، فى عام ١٨٧٤.

تم نشر كتابى "التعبير عن الانفعالات فى الإنسان والحيوانات" Expression of the Emotions in Man and Animals فى خريف عام ١٨٧٢. وقد كان فى نيتى القيام بتقديم فصل واحد فقط عن هذا الموضوع، فى كتابى "نشأة الإنسان"، لكن بمجرد أن بدأت فى وضع مذكراتى مع بعضها، رأيت أنه يحتاج إلى بحث منفصل.

---

(١) الانتقاء الجنسى Sexual selection



لوحة (٣٨)

آســاجــراى

ولد طفلى الأول فى ٢٧ ديسمبر ١٨٣٩، وبدأت على الفور فى تدوين مذكرات، ابتداء من أول فجر له فى الحياة، حول التعبيرات المختلفة، التى قام باستعراضها، حيث أننى شعرت بالاقتناع، حتى عند هذه الفترة المبكرة، بأن أكثر أطياف التعبير تعقيدا ورقة لابد أن يكون لها نشأة تدريجية وطبيعية. وقمت فى غضون صيف السنة التالية، ١٨٤٠، بقراءة كتاب "السير س. بيل Sir C. Bell" المثير للإعجاب عن التعبير، وقد أدى ذلك إلى الزيادة بشكل كبير، للاهتمام الذى شعرت به تجاه الموضوع، برغم أننى لم أستطع على الإطلاق، الموافقة على إيمانه، بأن العضلات المختلفة قد خلقت بشكل خصوصى، من أجل القيام بالتعبير. وقد قمت أحيانا ابتداء من هذا الوقت، بالاهتمام بهذا الموضوع، فى كل من الإنسان وحيواناتنا المدجنة. وقد بيع كتابى بشكل واسع، فقد تم التخلص من ٥٢٦٧ من النسخ، فى نفس اليوم الذى نشر فيه.

كنت أقوم فى صيف عام ١٨٦٠، بالاستجمام والراحة، بالقرب من "هارتفيلد Hortfield"، حيث يغزر التواجد لاثنين من أنواع نبات ورد الشمس[١]، ولاحظت أنه تم إيقاع العديد من الحشرات، فى شراك الأوراق الشجرية. وقمت بحمل بعض النباتات إلى المنزل، وعندما قمت بتقديم الحشرات لها، رأيت حركات المجسات[٢]، وجعلنى ذلك أفكر فى احتمال، أن يكون قد تم الإمساك بالحشرات، من أجل غرض معين، وخطر لى لحسن الحظ القيام باختبار حاسم، وهو أن أقوم بوضع عدد كبير من الأوراق الشجرية، فى مختلف السوائل النيتروجينية وغير النيتروجينية، ذات الكثافة[٣] المتساوية، وبمجرد أن وجدت أن الأولى فقط، هى التى قامت باستثارة الحركات النشيطة، فقد أصبح من الواضح، أنه يوجد هنا حقل جديد للأبحاث.

---

(١) نبات ورد الشمس: نبات يفرز عصارة تلتصق بها الحشرات — Drosera

(٢) مجس — Tentacle

(٣) كثافة — Density

كنت أقوم فى غضون السنوات التالية - كلما كان لدى وقت فراغ- بمتابعة تجاربى، ونشر كتابى عن "النباتات الملتهمة للحشرات" Insectivorous Plants، فى يوليو ١٨٧٥ - وهذا يعنى، بعد ستة عشر عاما من ملاحظاتى الأولى. وقد كان التأخير الذى حدث فى هذه المرة- كما كان مع جميع كتبى الأخرى- ذا ميزة كبيرة لى، لأن الإنسان يستطيع بعد فترة فاصلة كبيرة، انتقاد ما قام به من عمل بشكل جيد، كما لو كان ذلك خاصا بشخص آخر. وتمثل بالتأكيد الحقيقة التى تقول إن من شأن نبات أن يقوم- كلما تمت استثارته بشكل صحيح- بإفراز سائل يحتوى على أحد الحوامض[١] وعلى مادة مخمرة[٢]، مناظرة بشكل حميم، للسائل الهضمى[٣] الخاص بأى حيوان، اكتشافا جديرا بالانتباه.

سوف أقوم فى غضون هذا الخريف الخاص بعام ١٨٧٦، بنشر كتاب عن "تأثيرات التلقيح المتبادل والتلقيح الذاتى، فى المملكة النباتية" Effects of Cross and Self-Fertilisation in the Vegetable Kingdom. و سوف يشكل هذا الكتاب استكمالا لذلك الذى يدور حول "تلقيح السحلبيات"، الذى وضحت فيه، مدى المثالية التى كانت عليها وسائل التلقيح المتبادل، وسوف أقوم هنا بتوضيح مدى أهمية النتائج. ولقد انقدت على مدى أحد عشر عامًا، إلى إجراء العديد من التجارب المسجلة فى هذا المجلد، عن طريق مجرد المراقبة العرضية، وكان الأمر يحتاج بالفعل، إلى إعادة الظرف العارض، قبل أن يتم إثارة انتباهى بشكل كامل، إلى الحقيقة بأن نبتات[٤] الأصل الأبوى[٥] الملقح ذاتيا، تكون أقل فى المستوى[٦]، حتى فى الجيل الأول، فى الارتفاع والحيوية، عن نبتـــات الأصل الأبوى المـــلقح بشكل

---

(١) حامض — Acid
(٢) مادة مخمرة — Ferment
(٣) هضمى — Digwstive
(٤) نبتة — Seedling
(٥) الأصل الأبوى — Parentage
(٦) أقل فى المستوى — Inferior

THE DESCENT OF MAN
AND SELECTION IN RELATION TO SEX

BY CHARLES DARWIN

SECOND EDITION, REVISED.

WITH ILLUSTRATIONS.

LONDON:
JOHN MURRAY, ALBEMARLE STREET.
1874

لوحة (٣٩)

الصفحة الافتتاحية لكتاب

"نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي"

المشروع القومى للترجمة

نشأة الإنسان

والانتقاء الجنسى

(المجلد الأول)

تأليف : تشارلس داروين

ترجمة وتقديم : مجدى محمود المليجى

المجلس الأعلى للثقافة
٢٠٠٥

لوحة (٤٠)

الصفحة الافتتاحية للترجمة العربية لكتاب

"نشأة الإنسان و الانتقاء الجنسى"

تبادلى. ولدى أمل أيضا فى إعادة نشر إصدار منقح، من كتابى عن السحلبيات، وبعد ذلك، عن مقالاتى العلمية التى تدور حول نباتات ثنائية وثلاثية الشكل، علاوة على البعض من الملاحظات الإضافية، التى تدور حول مواضيع متقاربة، والتى لم يسمح لى الوقت بترتيبها. ومن المحتمل عندئذ، أن تكون قوتى قد استهلكت، وأن أكون قد أصبحت مستعدا لأن أقول : "لقد انتهى المشوار".

ما كتب فى أول مايو ١٨٨١:-

نشر كتاب "تأثيرات التلقيح المتبادل والتلقيح الذاتى" Effects of Cross and Self-Fertilisation فى خريف عام ١٨٧٦، وتقوم النتائج التى تم التوصل إليها هناك بالتفسير، حسب اعتقادى، للوسائل المستنبطة[1] اللانهائية والمدهشة، من أجل القيام بنقل غبار الطلع، من أحد النباتات إلى نبات آخر تابع لنفس النوع. وبالرغم من ذلك، فإننى أعتقد فى الوقت الحالى، كنتيجة رئيسية لملاحظات "هيرمان موللر" Herman Muller، أنه كان على أن أصر بشكل أقوى مما قمت به، على سرد التكيفات الكثيرة للتلقيح الذاتى، برغم علمى التام بالكثير من التكايفات التى على هذه الشاكلة. وقد تم نشر إصدار موسع بشكل كبير، لكتابى بعنوان "تلقيح السحلبيات" Fertilisation of Orchids، فى عام ١٨٧٧.

فى نفس العام ظهر كتاب "الأشكال المختلفة للزهور، إلى آخره" The Different Forms of Flowers, etc.، وصدر له فى عام ١٨٨٠، إصدار ثان. ويتألف هذا الكتاب بشكل رئيسى، من العديد من المقالات العلمية، التى تدور حول الزهور متغايرة الأنماط[2]، التى نشرت فى الأصل عن طريق الجمعية اللينيائية، وتم تصويبها وإضافة الكثير من المادة العلمية الجديدة عليها، علاوة على

(١) وسيلة مستنبطة = إختراع Contrivance

(٢) متغايرة الأنماط Heterostyled

Charles Darwin

THE EXPRESSION OF THE EMOTIONS IN MAN AND ANIMALS

SECOND EDITION, REVISED.

WITH ILLUSTRATIONS.

LONDON:
JOHN MURRAY, ALBEMARLE STREET.
1874.

[*The right of Translation is reserved.*]

لوحة (٤٦)

الصفحة الافتتاحية لكتاب

"التعبير عن الانفعالات فى الإنسان والحيوانات"

المشروع القومى للترجمة

التعبير عن الانفعالات في الإنسان والحيوانات

تأليف : تشارلس داروين

ترجمة وتقديم : مجدى محمود المليجى

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٥

لوحة (٤٣)

الصفحة الافتتاحية للترجمة العربية لكتاب

"التعبير عن الانفعالات فى الإنسان والحيوانات"

الملاحظات التى تدور حول البعض من الحالات الأخرى، التى يقوم فيها نفس النبات، بحمل صنفين من الزهور. وكما تم التعليق من قبل، فلم يقم أى اكتشاف صغير خاص بى على الإطلاق، بمنحنى هذا القدر الكبير من السرور، مثل التوصل إلى معنى الزهور متغايرة الأنماط. وأعتقد أن نتائج القيام بتهجين زهور على هذه الشاكلة، بإحدى الطرق التنغيلية[1]،تمثل شيئا غاية فى الأهمية، على أساس ارتباطها بعقم[2]الأنغال، رغم أن تلك النتائج قد تمت ملاحظتها، عن طريق العدد القليل فقط من الأشخاص.

قمت فى عام ١٨٧٩، بنشر ترجمة كتاب "الدكتور إرنست كراوس" Dr. Ernst Krause بعنوان "حياة "إراسموس داروين" Life of Erasmus Darwin، وأضفت إليه صورة وصفية لشخصيته وسلوكياته، منقولة عن معلومات كانت فى حوزتى. وقد كان الكثير من الناس مهتمين بهذه القصة الحياتية القصيرة لكننى دهشت من بيع ٨٠٠ أو ٩٠٠ نسخة فقط .

قمت فى عام ١٨٨٠، بالنشر بمعاونة ابنى "فرانك" Frank لكتابنا بعنوان "القدرة على الحركة الموجودة فى النباتات" Power of Movements in Plants. وقد كان هذا قطعة صعبة من العمل. والكتاب له صلة بعض الشيء، بكتابى الصغير حول "النباتات المتسلقة"، بنفس الشكل الذى كان كتاب "التلقيح التهجينى"، متعلقا بكتاب "تلقيح السحلبيات"، حيث كان من المستحيل التفسير – بناء على مبدأ التطور – أن تكون النباتات المتسلقة قد تطورت، إلى مجموعات مختلفة بهذا الشكل العريض، إلا إذا كانت جميع الأصناف النباتية حائزة قدرة بسيطة ما، على الحركة من نوعية مناظرة. وقد قمت بإثبات أن هذا هو الحال، وانقدت عـــلاوة على ذلك، إلى بعض التعميم العريض بشكل ما، وهذا يعنى أن الطوائف

---

(١) نغل = خارج عن المألوف — Illegitimate

(٢) عقم — Sterility



لوحة (٤٣)

منتصــف العمــر

العظيمة والمهمة من الحركات، المستثارة عن طريق الضوء، والجاذبية(١) الخاصة بالثقل(٢)، وخلافهما، تمثل جميعها أشكالا معدلة من حركة الالتفاف الدائرى(٣) الجوهرية. وقد كان من المبهج لى دائما، أن أقوم برفع النباتات، فى مستوى الكائنات المتعضية، وبناء على ذلك، فقد شعرت بالسرور بشكل خاص، أثناء التوضيح لمدى الكثرة، ومدى التكيف الحسن، المثير للإعجاب، للحركات التى يتمتع بها طرف جذر النبات .

أرسلت الآن (أول مايو ١٨٨١) إلى المطبعة، المخطوط اليدوى لكتاب صغير، حول "تكوين التراب النباتى، من خلال مفعول الديدان" The Formation of Vegetable Mould, Through the Action of Worms. وهذا موضوع ذو أهمية صغيرة، ولا علم لى بمدى التشويق الذى يحمله لقرائى [28]، ولكنه قد كان مشوقا بالنسبة لى. وهو استكمال لمقالة علمية قصيرة، قرأتها أمام الجمعية الـــچيولوچية، منذ أكثر من أربعين عاما، وقمت فيها بإحياء أفكار چيولوچية قديمة.

لقد ذكرت بهذا الشكل، جميع الكتب التى قمت بإصدارها، وقد كانت تلك الكتب بمثابة علامات على طريق حياتى، ولا يتبقى بهذا الشكل إلا القليل، الذى من الممكن أن يقال. وليس لدى شعور عن حدوث أى تغيير فى ذهنى، فى غضون الثلاثين عاما الماضية، باستثناء نقطة واحدة، سوف أقوم بذكرها الآن، ولا يمكن بالفعل، أن يكون هناك أى تغيير متوقع، باستثناء ما يتعلق بالتدهور العام. لكن أبى عاش إلى أن بلغ الثالثة والثمانين، وذهنه نشيط كما كان دائما، وجميع قدراته لم يخفت توهجها، وأتمنى أن أموت، قبل أن يكف ذهنى عن الأداء بدرجة معقولة. وأعتقد أننى قد أصبحت أكثر مهارة بشكل قليل، فيما يتعلق بتخمين التفسيرات

---

(١) الجاذبية = الجذب Attraction

(٢) الثقل Cravity

(٣) الالتفاف الدائرى * Circumnution

الصحيحة، وفى الاستنباط للاختبارات التجريبية، لكن من المحتمل أن يكون ذلك نتيجة لمجرد الممارسة، وللمخزون الكبير من المعارف. ومازلت أعانى من قدر كبير من الصعوبة، فى التعبير عن نفسى بشكل واضح وموجز، وقد كلفتنى تلك الصعوبة، فقدان القدر الكبير جدا من الوقت، لكنها كانت تحمل ميزة تعويضية تتمثل فى دفعى إلى التفكير طويلا وبتركيز، حول كل جملة، وذلك ما قادنى إلى رؤية الأخطاء الموجودة فى وزنى للأمور، وفى ملاحظاتى أو فى ملاحظات الآخرين.

يبدو أن هناك شيئا قدريا[١] فى ذهنى، يقودنى إلى القيام فى البداية، بوضع تصريحى أو اقتراحى بشكل خاطئ أو منحرف. وقد كنت معتادا فى الماضى التفكير حول الجمل، قبل أن أقوم بكتابتها، لكننى وجدت لسنوات عديدة، أننى أستطيع توفير الوقت، عن طريق الكتابة بلا اعتناء[٢] بخط يد ردىء[٣]، لصفحات كاملة بقدر ما أستطيع من السرعة، مع القيام بالاختزال لنصف الكلمات، ثم القيام بعد ذلك، بتصويب الكتابة بشكل مقصود. وكثيرا ما تكون الجمل غير المعتنى بكتابتها بهذا الشكل، جملاً أفضل من تلك التى قد أقوم بكتابتها عن قصد.

سوف أضيف بعد السرد بهذا الشكل لطريقتى فى الكتابة، أننى قمت بالنسبة لكتبى الكبيرة فى الحجم، بقضاء وقت طويل فى الترتيب العام للأمر. فاننى أقوم فى أول الأمر بعمل شكل كفافى، على أقصى حد من البدائية، فى اثنتين أو ثلاث من الصفحات، ثم شكل أكبر بعد ذلك فى صفحات عديدة، ويقوم العدد القليل من الكلمات، أو كلمة واحدة، بتمثيل مناقشة كاملة، أو سلسلة من الحقائق. ويتم التكبير لكل واحد من تلك العناوين، وكثيرا ما يتم نقلها، قبل أن أبدأ فى الكتابة بإسهاب. ويتم -كما هو الحال فى العديد من كتبى- استخدام الحقائق التى تمت ملاحظتها

---

(١) شيئا قدريا — Fatality

(٢) الكتابة بلا اعتناء — Scribble

(٣) ردىء — Vile

عن طريق الآخرين، بشكل شامل جدا. وحيث كان عليَّ بشكل دائم، تناول العديد من المواضيع المتباينة تماما، فى نفس الوقت، يعن لى أن أذكر، أننى أحتفظ بحوالى ثلاثين أو أربعين محفظة للأوراق، الموضوعة فى خزائن ذات رفوف، عليها بطاقات معنونة، والتى أستطيع الوضع فيها على الفور، لأى من المراجع أو المذكرات المنفصلة. ولقد قمت بشراء العديد من الكتب، وكنت أقوم بوضع فهارس عند نهاياتها، تضم جميع الحقائق التى تتعلق بموضوع العمل، أما إذا كان الكتاب ليس ملكى، فإننى أقوم بتحرير ملخص منفصل، ولدىَّ من تلك الملخصات، ما يملأ أحد الادراج الضخمة. وأقوم باستعراض جميع الفهارس القصيرة، ووضع فهرس عام ومرتب، قبل أن أبدأ العمل على أى موضوع. وعند تناولى لواحد أو أكثر من المحافظ الصحيحة للأوراق، تكون لدىَّ جميع المعلومات- التى تم جمعها على مدى حياتى- جاهزة للاستخدام.

قلت إن ذهنى قد تغير، من إحدى الجهات، فى غضون العشرين أو الثلاثين عاما الأخيرة. فإلى أن وصلت إلى الثلاثين من العمر، أو ما يتجاوز ذلك، كان الشعر من نوعيات كثيرة، مثل أعمال "ميلتون" Milton، و"جراى" Gray، و"بايرون" Byron، و"وردزورث" Wordsworth، و"كوليريدج" Coleridge، و"شيلى" Shelley، يمنحنى الكثير من السرور، وكنت أشعر بالبهجة الغامرة، حتى عندما كنت صبيا مدرسيا، من قراءة أعمال "شكسبير"، وخاصة الموجودة فى مسرحياته التاريخية. وقلت من قبل، إن الصور كانت تمنحنى البهجة التى لها اعتبارها، وكانت الموسيقى تمنحنى قدرا كبيرا جدا من السعادة. لكننى لا أستطيع منذ سنوات عديدة، تحمل قراءة سطرٍ واحدٍ من الشعر: ولقد حاولت مؤخرا أن أقوم بقراءة "شكسبير"، ووجدت ذلك مملا بشكل لا يطاق، إلى درجة شعورى بالغثيان. وقد فقدت تقريبا تذوقى للصور أو الموسيقى. وتقوم الموسيقى فى العادة، بتحفيزى على التفكير بشكل نشيط جدا، حول العمل الذى أنا بصدده، بدلا من منحى أى شعور بالسعادة. ومازلت أحتفظ ببعض من التذوق للمناظر الجميلة،

ولكنها لا تثير في نفسى السرور البهيج، الذى كانت تقوم به من قبل. وعلى الجانب الآخر، فإن القصص التى من نسيج الخيال، رغم أنها ليست ذات مرتبة عالية، كانت بالنسبة لى على مدى سنوات، باعثة على الراحة المدهشة، وكثيرا ما شعرت بالتقدير الشديد، لجميع الروائيين. ولقد تمت القراءة على مسامعى بصوت مرتفع، لعدد مدهش من الروايات، التى أحببتها، إذا كانت على مستوى متوسط من الجودة، وإذا لم تنته بشكل حزين - وهو الشيء الذى لابد أن يسن قانون لمنعه. فلا تصل الرواية، بناء على تذوقى، إلى الدرجة الأولى، إلا إذا كانت تحتوى على شخص، يستطيع المرء أن يشعر بالحب العميق له، ولو كان الأمر يتعلق بامرأة جميلة، فإن ذلك يكون أفضل بكثير.

يقوم هذا الفقدان الغريب والمؤسف[١]، للتذوقات الفنية الراقية، بتمثيل شيء أكثر شذوذا، إذا نظرنا إلى أن الكتب التى تدور حول التاريخ، والسرد لحياة الأشخاص، والرحلات (بغض النظر عن أى حقائق علمية قد تحتويها)، والمقالات التى تدور حول جميع الأنواع من المواضيع، تثير انتباهى بنفس القدر، الذى كانت تقوم به دائما. ويبدو أن ذهنى قد أصبح ضربا من الآلات، المعدة لاستخلاص[٢] قوانين عامة، من المجموعات الضخمة من الحقائق، ولكنى لا أستطيع استيعاب لماذا يكون من شأن ذلك، أن يتسبب فى الضمور لذلك الجزء المنفرد من الدماغ، الذى تعتمد عليه التذوقات العليا، وأعتقد أن أى إنسان له ذهن أكثر رقيا فى التعضى، أو أفضل تشكلا عن ذهنى، لن يكون من شأنه أن يعانى بهذا الشكل، وإذا كان لى أن أعيش حياتى مرة أخرى، فمن شأنى أن أضع قاعدة تنص، على القراءة لبعض من الشعر، والاستماع لبعض الموسيقى، لمرة واحدة على الأقل كل أسبوع، حيث كان من المحتمل للأجزاء التى ضمرت من دماغى فى الوقت الحالى، أن يتم الاحتفاظ بها عاملة، من خلال الاستخدام. فالفقدان لهذه التذوقات، يمثل فقدان

(١) مؤسف Lamentable
(٢) استخلاص Grind

السعادة، ومن المحتمل أن يكون مضرا بالذكاء، ومن المحتمل بشكل أكبر، للطابع المعنوى، عن طريق دبيب الوهن، إلى الجزء العاطفى الخاص بطبيعتنا.

بيعت كتبى بشكل واسع فى إنجلترا، وترجمت إلى الكثير من اللغات، ومرت خلال العديد من الإصدارات فى البلاد الأجنبية. ولقد سمعت أنه يقال إن نجاح العمل فى البلاد الخارجية، يمثل أفضل اختبار لقيمته المستديمة. وأشك فيما إذا كان ذلك شيئا جديرا بالاعتماد عليه على الإطلاق، ولكن بالحكم عن طريق هذا المستوى، فمن شأن اسمى أن يبقى مترددا لعدة سنوات قادمة، وبالتالى، قد يستحق الأمر القيام بمحاولة، لتحليل الخواص الذهنية والظروف، التى اعتمد عليها نجاحى، رغم أننى أعلم تماما، أنه لا يوجد إنسان، يستطيع القيام بذلك بشكل صحيح.

أنا لا أمتلك سرعة عظيمة على الفهم(١)، أو سرعة للبديهة(٢)، التى تكون ملحوظة بشدة، فى البعض من الرجال الحاذقين، مثل "هوكسلى Huxley". وبالتالى فإننى ناقد قليل البراعة: فعندما أقوم بالقراءة لأول مرة، لمقال علمى أو كتاب، فإن ذلك يقوم بشكل عام بإثارة إعجابى، ولا أستطيع إلا بعد قدر كبير من تقليب الفكر، إدراك النقاط الضعيفة. وقدراتى على متابعة سياق طويل، وتام التجريد من التفكير، محدودة جدا، وبالتالى، فلم يكن من شأنى على الإطلاق، أن أنجح بالنسبة للغيبيات أو الرياضيات. وذاكرتى هائلة، إلا أنها مبهمة: لكنها كافية لأن تجعلنى على حذر، عن طريق الإيماء إلى بشكل غامض، بأننى قد لاحظت أو قرأت شيئا معارضا للاستنتاج، الذى أنا فى الطريق للوصول إليه، أو على الجانب الآخر، أن يكون متماشيا معه، وأستطيع فى العادة بعد مرور بعض الوقت أن أقوم بالاستيعاب للموضع الذى أبحث فيه، عن مرجعياتى. وذاكرتى محدودة فى أحد الاتجاهات، إلى درجة أننى غير قادر على الإطلاق، على التذكر لأكثر من أيام معدودة، لأى موعد، أو بيت من أبيات الشعر.

---

(١) فهم = استيعاب Apprehension

(٢) سرعة البديهة Wit

قال بعض النقاد عنى، "يا له من مراقب جيد، ولكن ليس لديه أى قدرة على تزرين الأمور". ولا أعتقد أن من الممكن أن يكون ذلك صحيحا، لأن كتاب " أصل الأنواع" (نشأة الأنواع الحية) عبارة عن مجادلة طويلة، من بدايته إلى نهايته، وقد استطاع إقناع عدد لا يستهان به من الرجال البارعين. ولا يمكن لأى شخص أن يقوم بكتابة مثل هذا الكتاب، دون أن يكون لديه قدرة على تزرين الأمور. ولدى نصيب عادل من القدرة على الابتكار، والحصافة أو القدرة على الحكم على الأشياء، مماثلة لما يجب أن يكون لدى أى محام أو طبيب ناجح، ولكننى أعتقد أنها ليست بأى درجة أعلى من ذلك.

أظن على الجانب المشرق من الميزان، أننى متفوق على السياق الشائع من الناس، فى ملاحظة الأشياء التى تفلت بسهولة من الانتباه، وفى المراقبة لها بشكل دقيق. وقد كانت مثابرتى، على أقصى قدر من الضخامة التى من الممكن تحقيقها، فيما يتعلق بالمراقبة وجمع الحقائق. والشيء الأكثر أهمية بكثير، أن حبى للعلوم الطبيعية، قد كان متصلا ومتقدا.

تم من الناحية الأخرى، مساعدة الحب الصافى بشكل كبير، عن طريق الطموح إلى كسب احترام زملائي من العلماء فى التاريخ الطبيعى. وكانت لدىَّ منذ شبابى المبكر، رغبة عارمة للتفهم، أو إيجاد تفسير، لأى شيء ألاحظه، وهذا يعنى، أن أقوم بتجميع جميع الحقائق، تحت قانون عام ما. وقد قامت تلك الأسباب مجتمعة، بمنحى الصبر على تقليب الفكر أو التأمل(١)، لأى عدد من السنين، حول أى مشكلة لم يتم تفسيرها. وبقدر استطاعتى الحكم على الأشياء، فاننى لست قادرا على الاتباع الأعمى، لسياق الأناس الآخرين. لقد حاولت بشكل مستمر، الحفاظ على ذهنى حرا، بدرجة تجعله يقوم بلفظ أى فرضية، مهما كان محبوبة (وأنا لا أستطيع مقاومة التشكيل لفرضية، حول كل موضوع يعترضنى)، بمجرد أن تظهر الحقائق أنها معارضة لها. ولم يكن لدىَّ خيار بالفعل، إلا التصرف بهذه الطريقة، مع الاستثناء لموضوع "الحيود المرجانية"، لا أستطيع أن أتذكر فرضية واحدة تم

---

(١) التأمل Ponder

تشكيلها، لم يتم التخلى عنها، أو تعديلها بشكل كبير، بعد المرور لبعض الوقت. وقد قادنى ذلك بشكل طبيعى، إلى عدم الوثوق بشكل كبير، فى الترزن الاستنتاجى[١] فى العلوم المختلطة[٢]. وعلى الجانب الآخر، فإننى لست شكوكيا[٣] بشكل كبير، وهو إطار ذهنى، أعتقد أنه مضر بالنسبة للتطور العلمى. فمن المنصوح به، تجنب القدر الكبير من الشكوكية، فى الرجل العلمى، لتجنب الفقدان الكبير للوقت، إلا أننى قابلت عددا ليس بالقليل من الرجال، الذين أشعر بالتأكيد، أنهم كثيرا ما أحجموا عن التجربة، أو القيام بمراقبات، كان من شأنها أن تقوم بالإثبات، بشكل مباشر أو غير مباشر، أنها مفيدة.

سوف أقوم للتوضيح بتقديم أغرب حالة مرت بى. فقد قام أحد الرجال الأفاضل (الذى سمعت فيما بعد أنه أصبح خبيرا نباتيا جيدا) بالكتابة لى من الأقطار الشرقية Eastern Countries، بأن بذور أو حبوب الفول الحقلى[٤] الشائع، قد قامت فى هذا العام، بالنمو فى كل مكان، على الجانب المخالف للمألوف من القرنات. وقد قمت بالرد عليه بالكتابة، سائلا إياه عن معلومات أكثر، حيث إننى لم أستوعب ما يعنيه، ولكننى لم أتلق أى جواب منه لمدة طويلة جدا. ثم رأيت بعد ذلك، فى جريدتين يوميتين، صدرت إحداهما فى "كنت" Kent، والأخرى فى "يوركشاير" yorkshire، فقرات تنص على أنها لحقيقة جديرة بالملاحظة، أن "جميع الحبوب فى هذه السنة، قد نمت، على الجانب المخالف للمألوف". ودار فى ذهنى على هذا الأساس، أنه لابد أن يكون هناك أساس، لمثل هذا التصريح العام. وبناء عليه، ذهبت إلى البستانى الخاص بى، وهو رجل من "كنت"، وسألته عما إذا كان قد سمع شيئا يدور حول هذا الشأن، وقد أجابنى "لا يا سيدى، لابد أن يكون هناك خطأ، لأن الحبوب تنمو على الجانب المخالف للمألوف، فى السنة الكبيسة[٥]

---

(١) الترزن الاستنتاجى * Deductive Reasoning

(٢) العلوم المختلطة * Mixed Sciences

(٣) شكوكى = ميال للشك Sceprical = Skeptical

(٤) الفول الحقلى * Field-bean

(٥) سنة كبيسة (انتقالية) * Leap-Year

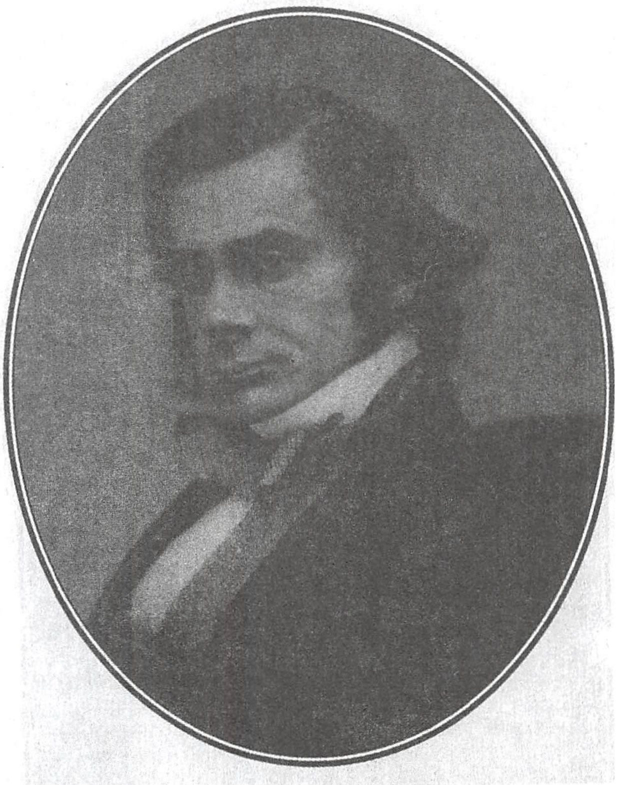
فقط، وهذه ليست سنة كبيسة". ثم سألته بعد ذلك عن الكيفية التى تنمو عليها الحبوب فى السنوات العادية، وكيف تنمو فى السنوات الكبيسة، ولكن سرعان ما عرفت، أنه لا يعلم شيئا على الإطلاق، عن كيفية نموها فى أى وقت، لكنه كان متمسكا باعتقاده.

سمعت بعد مرور بعض الوقت من مبلغى الأول، الذى قال مع الكثير من الاعتذارات، إنه لم يكن من شأنه مراسلتى، لو لم يسمع هذا التصريح، يصدر عن العديد من المزارعين الأذكياء، ولكنه قام بعد ذلك بالحديث مرة أخرى، مع كل واحد منهم، ولم يستوعب أى واحد، ما الذى كان يعنيه بكلامه. وبهذا الشكل، فلدينا هنا إيمان، - إذا كان من الممكن بالفعل تسمية أى تصريح بدون فكرة متعلقة به، على أساس أنه إيمان - قد انتشر فى جميع أرجاء إنجلترا تقريبا، بدون مقدار ذرة[١] من الأدلة.

نمى إلى علمى على مدى حياتى، ثلاث حالات فقط من التصريحات العالمية المزيفة، ومن المحتمل أن واحدة منها قد كانت مجرد دعابة خادعة[٢] (ولقد كان هناك العديد من الدعابات العلمية الخادعة)، إلا أنها رغم كل شىء، وجدت مكانا فى إحدى المجلات الزراعية الأمريكية. وكانت تتعلق بالاستيلاد فى "هولاندة" Holland، لسلالة جديدة من الثيران[٣]، عن طريق التهجين[٤] لأنواع متباينة من القبيلة الثيرانية[٥]، (التى تصادف على علمى بأن بعضها عقيم بشكل تام)، وقد كان لدى الكاتب الصفاقة[٦] الكافية للتصريح، بأنه تراسل معى، وبأننى تأثرت بشكل عميق، بأهمية هذه النتيجة. وقد تم إرسال المقالة إلىَّ، عن طريق القائم بإصدار إحدى المجلات الزراعية الإنجليزية، طالبا نصيحتى، قبل القيام بنشرها.

---

(١) مقدار ذرة — Vestige
(٢) دعابة خادعة • — Moax
(٣) ثور (جمعها ثيران) — Ox (Pl. Oxen)
(٤) تهجين — Crossing
(٥) القبيلة الثيرانية • — Bos (Tribe)
(٦) صفاقة = وقاحة — Impudence



لوحة (٤٤)

ثوماس هوكسلى (فى شبابه)

كانت الحالة الثانية تقريرا عن ضروب عديدة، تمت تربيتها بواسطة الكاتب، من أنواع متعددة من زهرة الربيع(١)، التى قامت بالإنتاج بشكل تلقائى(٢)، لمجموعة كاملة من البذور، بالرغم من أن النباتات الأبوية قد تمت حمايتها بعناية، من إمكانية وصول الحشرات إليها. وقد تم نشر هذا التقرير، قبل أن أكون قد اكتشفت، معنى تغاير قلم السمة(٣)، ولابد أن التصريح كان فى مجموعه مخادعا(٤)، أو أنه كان هناك إهمال فى استبعاد الحشرات بشكل فادح، إلى حد يندر تصديقه.

كانت الحالة الثالثة أكثر غرابة، فقد نشر "السيد هوث" Mr. Huth، فى كتابه عن "اقتران(٥) وثيقى القربى(٦)" Consanguineous Marriage، بعض المقتطفات عن أحد الثقات البلــچيكيين، الذى قال إنه قام بالاستيلاد البينى(٧) للأرانب، بطريقة حميمة إلى أقصى حد، للكثير جدا من الأجيال، بدون أى تأثيرات ضارة. وقد تم نشر التقرير فى أكثر المجلات العلمية احتراما، وهى الخاصة بالجمعية الملكية البلــچيكية Royal Society of Belgium، لكننى لم أستطع تجنب الشعور بالشك – ومن الصعب أن أقول لماذا، باستثناء أنه لم يكن هناك أى حادثة من هذا القبيل، وخبرتى فى استيلاد الحيوانات، تجعلنى أظن أن هذا بعيد الاحتمال جدًا.

قمت بناء على ذلك بتردد كبير، بالكتابة إلى "الأستاذ ڤان بينيدين" Prof. Van Beneden لسؤاله، عما إذا كان الكاتب شخصا جديرا بالثقة. وسريعا ما تلقيت الإجابة، بأن الجمعية صدمت بشكل كبير، من اكتشاف أن التقرير بأكمله،

---

(١) زهرة الربيع Primula = Primrose

(٢) تلقائى = عفوى = ذاتى Spontaneous

(٣) تغاير قلم السمة * Heterostylism

(٤) مخادع Fraudulent

(٥) الاقتران Marriage

(٦) وثيق القربى = من أصل واحد Consanguineous

(٧) الاستيلاد البينى * Interbreed

كان خادعًا (تمت الإشارة إلى عدم صحة التصريحات المنشورة، التى قام "السيد هوث" بالاعتماد عليها، عن طريقه شخصيا فى قصاصة، تم إلحاقها بجميع نسخ هذا الكتاب، الذى لم يبعه بعد ذلك). وقد تمت مواجهة الكاتب بشكل علنى فى المجلة، وتحديه بأن يقول أين قام بالتربية والاحتفاظ بقطيعه الكبير من الأرانب، أثناء قيامه بتجربته، التى لابد أنها استغرقت سنوات عديدة، ولم يمكن استخلاص أى إجابة منه.

كانت عادتى نظامية، ولم يكن لذلك أى فائدة ولو صغيرة، فى مجالى المحدد من العمل. وأخيرا أصبح لدىَّ مجال كبير للاستمتاع، نتيجةَ لأنه لم يكن علىَّ القيام بكسب معاشى. وقد قام حتى اعتلت صحته- ورغم إبادته لسنوات عديدة من حياتى- بحمايتى من التهاءات المجتمع ووسائل التسلية.

لذلك تم تحديد نجاحى كرجل علمى، مهما كان المدى الذى وصل إليه، حسب قدرتى على الحكم على الأشياء، عن طريق خواص ذهنية، وظروف معقدة ومتنوعة. وقد كان الأكثر أهمية من بينها: الحب للعلم والصبر الذى لا حدود له، فى تقليب الفكر حول أى موضوع – والمثابرة على المراقبة والجمع للحقائق – ونصيب عادل من الابتكار، علاوة على الحصافة. وأعتقد أنه مع مثل تلك القدرات المتوسطة، فإنه من المدهش بشكل حقيقى، أن يكون من شأنى التأثير إلى مدى له اعتباره، على إيمان الرجال العلميين، حول بعض النقاط المهمة.

الهوامش

١- منزل "السيد هنسلى ويدجوود" Mr. Hensleigh wedgwood فى "سارى" Surrey.

٢- التى يديرها "المبجل ج. كاس" Rev. G. Case، قس Minister المصلى التوحيدى Unitarian Chapel الموجود فى "هاى ستريت" High Street. وقد كانت "السيدة داروين" توحيدية، وتتردد على مصلى "السيد كاس"، وكان أبى عندما كان صبيا صغيرا يذهب هناك مع شقيقاته الكبريات سنا. ولكن تم تعميد Christened كل من أبى وأخيه بقصد أن يكونا تابعين إلى كنيسة إنجلترا Church of England، ويبدو بعد مرحلة صباه المبكرة أنه كان يذهب فى العادة إلى الكنيسة وليس إلى مصلى "السيد كاس". واتضح (فى St. James' Gazette، ١٥ ديسمبر ١٨٨٣) أنه تم إقامة لوح جدارى Mural tablet لذكراه فى المصلى، الذى يعرف الآن باسم "الكنيسة المسيحية الحرة" Free christian church.

٣- يتذكر "المبجل و. أ. ليتون" Rev. W.A. Leighton، الذى كان زميلا دراسيا لأبى فى مدرسة "السيد كاس" جلبه لزهرة إلى المدرسة، قائلا إن والدته علمته كيف يستطيع بالنظر إلى داخلية الزهور المتفتحة Blossom، اكتشاف اسم النبات. ويستطرد "السيد ليتون" بقوله "قام ذلك بلفت انتباهى وفضولى، وسألته بشكل متكرر عن كيف يمكن القيام بذلك؟". لكن درسه كان بالطبع غير قابل للفهم. [F.D.].

٤- منزل خاله "جوشوا ويدجوود" Josiah Wedgwood.

٥- "جوشوا ويدجوود"، ابن المشيد "لأعمال إتروريا" Etruria works.

٦- مقطع القصيدة الغنائية كان :-

Justum et tenacem propositivirum

Non civium ardor prava jubentium

Non vultus instantis tyranni

Mente quatit solida

٧- كان العاشر فى قائمة يناير ١٨٣١.

٨- "المبجل س. هويتلى" Rev. C. Whitley، الكاهن الشرفى Hon. Canon لـ "ديرهام" Durham، والذى كان من قبل قارئا فى الفلسفة الطبيعية Natural Philosophy فى جامعة "ديرهام".

٩- الراحل جون موريس هيربرت" Late John Maurice Herbert، قاضى المحكمة الريفية Country Court فى "كارديف" Cardiff و"دائرة مونموث" Monmouth Circuit.

١٠- كان "سوم جينيز" Soame Jenyns المشهور جدا، من أبناء العمومة لوالد "السيد جينيز".

١١- قام "السيد جينيز" Mr. Jenyns (حاليا "بلومفيلد" Blomefield) بوصف الأسماك فى كتاب "حيوانيات البيجل" Zoology of the Beagle، وهو المؤلف لسلسلة طويلة من المقالات العلمية، التى تدور بشكل رئيسى عن علم الحيوان.

١٢- كان والدى -فيما له علاقة بهذه الجولة- معتادا على سرد قصة تدور حول "سيدجويك" Sedgwick: حيث انطلقا من نزلهما فى صباح يوم، وبعد

أن قاما بالسير لمسافة ميل أو ميلين، توقف "سيدجويك" فجأة، وأقسم على العودة، لكونه متأكدا من "أن هذا الوغد = Scoundrel يقصد النادل = Waiter) لم يعط الخادمة المسئولة عن غرف النوم = Chambermaid ستة السنسات التى أمرت بتخصيصها لهذا الغرض. وتم فى النهاية إقناعه بالتخلى عن هذا المشروع، ما دام لا يوجد هناك أى سبب يدعو إلى اتهام النادل بشكل خاص بالخيانة = Perfidy– [F.D.].

١٣- انظر Philosophical Magazine، عام ١٨٤٢.

١٤- المقصود "چوسيا ويدجوود" Josiah Wedgwood.

١٥- تمت قراءة ذلك فى الاجتماع الذى عقد فى ١٦ نوفمبر ١٨٣٥، وتم طبعه فى كتيب = Pamphlet من ٣١ صفحة، تم توزيعه فيما بين الأعضاء التابعين للجمعية.

١٦- فى شارع فيتزوليام Fitzwilliam Street.

١٧- انظر Goolog. Soc. Proc.، عام ١٨٣٨، صفحات ٤٤٦ – ٤٤٩.

١٨- فى عام ١٨٣٩، صفحات ٣٩ – ٨٢.

١٩- انظر Geolog. Soc. Proc.، الجزء الثالث، عام ١٨٤٢.

٢٠- انظر Geolog. Trans.، الجزء الخامس، عام ١٨٤٠.

٢١- انظر Geolog. Soc. Proc.، الجزء الثانى، عام ١٨٣٨.

٢٢- انظر Philosophical Magazine، عام ١٨٤٢.

٢٣- التكرار البسيط الملحوظ هنا يتم تفسيره عن طريق أن المذكرات التى تدور حول "لايل" Lyell، وغيره، قد تمت إضافتها فى إبريل ١٨٨١، وذلك بعد مرور بضع سنوات من كتابة باقى الاسترجاعات.

٢٤- انظر Geological Observations، الإصدار الثانى، عام ١٨٧٦. و Coral Reefs، الاصدار الثانى، عام ١٨٧٤.

٢٥- تم نشره بواسطة "جمعية الشعاع" Ray Society.

٢٦- أخطأت "الأنسة بيرد" Miss Bird، كما علمت من "الأستاذ ميتسوكورى" Prof. Mitsukuri - (F.D.).

٢٧- انظر Geolog. Survey Mem، عام ١٨٤٦.

٢٨- تم البيع ما بين نوفمبر ١٨٨١ وفبراير ١٨٨٤، لـ ٨٥٠٠ نسخة.



لوحة (٤٥)

داروين فى العقد السادس

الجــزء الثالث

استرجاعات عن حياة والدى اليومية

العادات والمظهر - الكلاب - المسيرات - ركوب الخيل - المراسلات - الأعمال - السعوط والتدخين - الموسيقى - الصور - القراءة - الرحلات - مع أطفاله - استرجاعات ابنته - الزوار - السلوك - الأصدقاء - العمل - الأسلوب - اعتلال الصحة.

أريد فى هذا الجزء تقديم صورة عن حياة والدى اليومية. وقد بدا لى أنه من الممكن القيام بهذا فى شكل وضع تصور سريع للحياة فى منزل "داون" Down، فى واحد من الأيام، الذى تتناثر فيه مثل تلك الاسترجاعات، بالشكل الذى يقوم التسجيل باستدعائها. ومن شأن الكثير من تلك الاسترجاعات التى لها معنى، بالنسبة لهؤلاء الذين كانوا على معرفة بوالدى، أن تبدو غير ممتعة[١] أو تافهة[٢] بالنسبة إلى الأغراب. ورغم ذلك، فقد قمت بتقديمها، أملا فى أنها قد تساعد على الحفاظ على ذلك الانطباع عن شخصيته[٣]، الذى ما زال باقيًا فى أذهان هؤلاء الذين عرفوه وأحبوه - وهو انطباع غاية فى الحيوية، ولا يمكن ترجمته إلى مجرد كلمات.

يصعب فى هذه الأيام ذات الصور المتعددة الطباعة[٤] أن يكون من الضرورى قول الكثير عن مظهره الشخصى. فقد كان يبلغ حوالى ستة الأقدام فى الطول، لكنه نادرًا ما كان يبدو طويل القامة، لأنه كان يحدودب[٥] بقدر كبير، وقام

---

(١) غير ممتع = عديم اللون — Colourless
(٢) تافهة — Trifling
(٣) الشخصية — Personality
(٤) متعدد (الطباعة) — Multiplied
(١) يحدودب = يحنى ظهره — Stoop

فى الأيام الأخيرة باستسلام للاحديداب، لكننى أستطيع تذكر رؤيته منذ زمن طويل، وهو يطيح بذراعيه إلى الخلف، وفتح صدره على اتساعه، والاحتفاظ بنفسه فى وضع منتصب مشدود. وكان يعطى المرء الفكرة بأنه كان نشيطًا، أكثر من كونه قويًا: ولم تكن أكتافه عريضة بالنسبة لطول قامته، إلا أنها بالتأكيد لم تكن ضيقة. ولابد أنه كان يتمتع فى شبابه، بقدر كبير من قوة التحمل، فقد حدث فى إحدى الرحلات البرية التى انطلقت من السفينة البيجل، عندما كان الجميع يعانون من ندرة المياه، أنه كان واحدا من الاثنين، اللذين كانا أفضل من باقى المجموعة، فى الاستمرار فى الكفاح بحثا عن الماء. وكان نشيطًا فى صباه، وكان يستطيع القفز فوق حاجز[١]، موضوع على ارتفاع "تفاحة أدم"[٢] الموجودة فى عنقه.

كان يمشى بحركة متأرجحة[٣]، مستخدما عصا مبيطرة[٤] بالحديد بشكل ثقيل، التى كان يدق بها بصوت مرتفع على الأرض، مصدرا أثناء سيره حول "ممشى الرمال" Sand-walk فى "داون"، صوت طقطقة[٥] متواترة[٦]، تمثل بالنسبة لنا جميعًا، ذكرى واضحة تمامًا. وكان المرء كثيرا ما يرى عند عودته من جولته نصف النهارية، حاملا المعطف الواقى من الماء[٧] أو العباءة[٨]، عندما يقوم بتدفئته أكثر من اللازم، أنه كان يقوم بالاحتفاظ بخطواته المتأرجحة، بشيء من المجهود. وكانت خطواته داخل المنزل بطيئة ومجهدة فى كثير من الأحيان، وكان من الممكن أثناء صعوده الدرجات بعد الظهيرة، سماع ارتقائه الدرجات، بوقع أقدام

---

(١) حاجز — Bar
(٢) تفاحة أدم — Adam's apple
(٣) متأرجح — Swinging
(٤) مبيطر = مزود بكعب أو حدوة — Shod
(٥) صوت طقطقة = دقة — Click
(٦) متواتر = متكرر بانتظام = إيقاعى — Rhythmical
(٧) المعطف الواقى من الماء — The waterproof
(٨) عباءة = معطف فضفاضى — Cloak

ثقيلة، كما لو كانت كل خطوة تمثل مجهودا. وكان يتحرك أثناء انهماكه فى عمله، بشكل سريع وسهولة كافية، وكثيرا ما كان يقوم فى منتصف قيامه بالإملاء، بالذهاب بتلهف إلى القاعة الرئيسية، للحصول على قبصة(١) من السعوط(٢)، تاركا باب غرفة المكتب(٣) مفتوحًا، وصائحا بالكلمات الأخيرة من جملته أثناء سيره. وكان يقوم بالاستخدام داخل المنزل أحيانًا، لعصا من خشب البلوط(٤)، تشبه العصا الألـبية(٥) الصغيرة، وكانت تلك علامة، على أنه يشعر بالدوار(٦).

بالرغم من قوته ونشاطه، فإننى أعتقد أنه لم يكن يتمتع فى أى وقت، بأى رشاقة فى حركاته، وأنه كان غير بارع بطبيعته فى استخدام يديه، ولم يكن قادرا على الرسم بشكل جيد على الإطلاق [1]. وقد كان يشعر دائمًا بالأسف لذلك بشكل كبير، وكان ينادى بشكل متكرر بالضرورة القصوى، لأن يسعى الباحث فى التاريخ الطبيعى، إلى أن يجعل نفسه رساما(٧) جيدا.

كان فى استطاعته القيام بالتشريح بشكل جيد تحت المجهر(٨) البسيط، لكنى أعتقد أن ذلك كان بفضل صبره ودقته البالغين. وكانت من الأشياء المميزة له، أنه كان يعتبر الكثير من التفاصيل الصغيرة، المتعلقة بالمهارة فى التشريح، تمثل شيئا يتعدى المستوى البشرى. وكان معتادًا على الحديث بإعجاب، عن البراعة التى شاهدها فى تشريح "نيوبورت" Newport، لنحلة طنانة(٩)، وفى قيامه باستخراج

---

(١) قبصة — Pinch

(٢) السعوط = النشوق — Snuff

(٣) غرفة المكتب — Study

(٤) خشب البلوط أو السنديان — Oak

(٥) العصا الألـبية: عصا بأسفلها حديدة مستدقة، لتسلق الجبال — Alpen stock

(٦) دوار — Giddiness

(٧) رسام — Draughtsman = Draftsman

(٨) المجهر = الميكروسكوب — Microscope

(٩) النحلة الطنانة — Humble bee = Bumble bee

الجهاز العصبى، ببضع جزات من مقص دقيق، ممسوكًا، كما كان أبى معتادًا على التوضيح، مع الرفع للمرفق(١)، وفى وضع جسمانى من شأنه بالتأكيد أن يؤدى، إلى غاية من الثبات الضرورى. وكان يعتبر القيام بتحضير المقاطع(٢) أنجازا(٣) عظيما، وقد قام فى السنة الأخيرة من عمره، بتحمل الكثير من العناء، بنشاط مدهش، لكى يتعلم كيفية القيام بتحضير مقاطع للجذور والأوراق النباتية. ولم تكن يده على درجة كافية من الثبات، للإمساك بالغرض الذى سوف يتم قطعه، وكان يقوم باستخدام قاطع مجهرى(٤) عادى، الذى كان لب الإمساك بالغرض فيه مقموطًا(٥)، وكان الموسى(٦) ينزلق على سطح زجاجى، أثناء إنجاز المقاطع. وكان معتادا على السخرية من نفسه ومن مهارته فى جز المقاطع، التى كان يقول عنها، أنه "فاقد النطق من فرط الإعجاب بها". ولكن لابد على الجانب الأخر، من أنه كان يتمتع بدقة العين، والقدرة على تنسيق(٧) حركاته، حيث إنه كان ماهرا فى الرماية بالبندقية، عندما كان رجلا يافعا، وكان فى صباه ماهرا فى قذف الأشياء. وقد تمكن فى إحدى المرات، من قتل أرنب وحشى(٨)، كان يجلس فى حديقة زهور "شروزبرى" بواسطة إلقاء بلية(٩) تجاهه، وقام فى مرحلة الرجولة، فى إحدى المرات، بقتل طائر متصالب المنقار(١٠) بقطعة من الصخر. وقد كان غاية فى التعاسة لقتله بدون نفع لهذا الطائر، لدرجة أنه لم يذكر ذلك لعدة سنوات، ثم قام بعد

---

(١) مرفق = كوع — Elbow
(٢) مقطع — Section
(٣) انجاز — Feat
(٤) قاطع مجهرى = قاطع دقيق * — Microtome
(٥) مقموط: ممسوك بقمطة — Clamped
(٦) الموس = المحلاق — Razor
(٧) ينسق — Coordinate
(٨) أرنب وحشى (مشقوق الشفة) — Hare
(٩) بلية: كرة صغيرة من الزجاج أو الرخام — Marble
(١٠) الطائر متصالب المنقار * — Cross-beak

ذلك بشرح الأمر، على أساس أنه لم يكن من شأنه إلقاء الحجر، لولا أنه شعر بشكل مؤكد، بأن حذقه القديم قد فارقه.

كان يقوم أثناء السير بحركة متململة[١] بأصابعه، قام بوصفها فى أحد كتبه على أساس أنها سلوك رجل عجوز. وكان كثيرا ما يقوم عند جلوسه بدون حركة، بالقبض على أحد معصميه[٢] بواسطة اليد الأخرى، وكان يجلس وأرجله متقاطعة، ونتيجة لنحافتها البالغة، كان من شأنها أن تتصالب إلى حد بعيد جدا، كما يمكن أن ترى فى إحدى الصور. وكان لديه كرسيه الخاص فى غرفة المكتب، وفى غرفة الاستكانة[٣]، اللذين تم رفعهما، لكى يكونا أعلى بكثير من الكراسى المعتادة، وقد تم القيام بذلك، لأن الجلوس على كرسى منخفض، أو أى كرسى معتاد، كان يتسبب له فى البعض من عدم الراحة. وكنا معتادين أن نسخر منه، لأنه كان يجعل كرسيه العالى، الموجود فى غرفة الاستكانة، أكثر ارتفاعا، عن طريق وضع مستقرات القدمين[٤] عليه، ثم يقوم بعد ذلك بمعادلة[٥] النتيجة، عن طريق إراحة أقدامه على كرسى أخر.

---

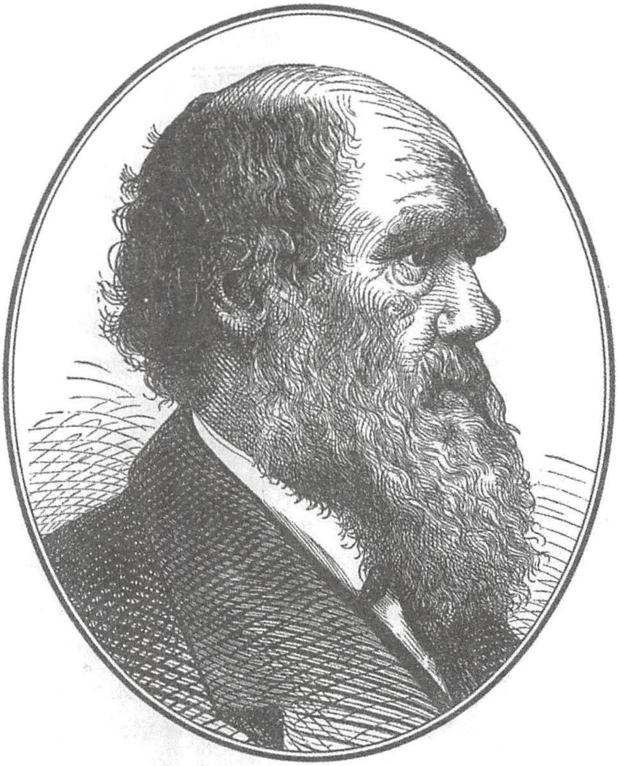
(١) متململ — Fidgeting

(٢) معصم = رسغ — Wrist

(٣) غرفة الاستكانة * : للانسحاب بعد العشاء = المعيشة — Drawing-room

(٤) مستقر للقدم * — Foot stool

(٥) يعادل — Neutralise



لوحة (٤٦)
بدأ "داروين" فى إطلاق لحيته
فى الستينيات من القرن.

كانت لحيته كثة وغير مشذبة تقريبا، وكان شعرها رماديا وأبيضَ، وكان ناعما أكثر منه خشنا، أو مموجا أو مجعدا[١]، وكان شاربه مشوها بعض الشيء، بقصه قصيرا وبزاوية قائمة. وقد أصبح شديد الصلع[٢]، ولم يبق لديه سوى حافة من الشعر الداكن من الخلف.

كان وجهه متورد اللون[٣]، وربما جعل ذلك الناس يظنون أنه أقل اعتلالا[٤] عما كان عليه. وقد كتب إلى "الدكتور هوكر" Dr. Hooke (فى ١٣ يونيو ١٨٤٩) قائلا: "كل شخص يقول لى إننى أبدو ناضرا[٥] وجميلا، ومعظمهم يظن أننى خجول، إلا أنك لم تكن على الإطلاق واحدا من هؤلاء". ولابد من تذكر، أنه كان فى ذلك الوقت مريضا[٦] بشكل تعيس، بشكل أكبر بكثير من حاله فى السنوات التالية. وكانت عيونه رمادية تميل إلى الأزرق، تحت ظل حيود[٧] عميقة متدلية، مع حواجب عيون[٨] سميكة كثة بارزة. وكانت جبهته المرتفعة مغضنة[٩] بشكل كبير، ولكن عدا ذلك، لم يكن على وجهه الكثير من العلامات أو الخطوط، ولم تكن تعبيراته[١٠] تظهر أى سمات تنم عن المشقة[١١] المستمرة التى كان يعانى منها.

---

(١) مجعد (الشعر) Frizzled
(٢) أصلع Bald
(٣) متورد اللون Ruddy colour
(٤) معتل = مريض Invalid
(٥) ناضر Blooming
(٦) مريض Ill
(٧) حيود (العين) * Brows
(٨) حواجب العيون Eyebrows
(٩) مغضن = مجعد Wrinkled
(١٠) تعبير Expression
(١١) مشقة Dicomfort

عندما كانت تتم استثارته بمحادثة ظريفة، كانت تصرفاته بأكملها، تصبح مشرقة ومفعمة بالحيوية[١] بشكل مدهش، وكان وجهه يشترك بشكل كامل فى هذه الحيوية العامة، وكانت ضحكته منطلقة ومرنانة[٢]، كجلجلة الأجراس[٣]، مثل تلك الخاصة بالإنسان، الذى يسلم نفسه بشكل ودى[٤] وباستمتاع، إلى الشخص والغرض الذى قام بإضحاكه. وكان يقوم فى كثير من الأحيان، باستخدام نوع ما من الإيماء[٥] مع ضحكته، مثل رفع ذراعيه إلى أعلى، أو الإنزال بواحدة منهما إلى أسفل بلطمة[٦]. وأعتقد بشكل عام، أنه كان ميالا إلى الإيماء، وكان يقوم فى كثير من الأحيان باستخدام يديه، أثناء قيامه بشرح أى شىء (على سبيل المثال، التلقيح لزهرة)، بطريقة تبدو أنها كشىء مساعد لنفسه، عن كونها لمساعدة المستمع. وقد كان يقوم بذلك فى المناسبات، التى من شأن معظم الناس، أن تلجأ فيها إلى توضيح تفسيراتهم، عن طريق الرسوم الإيضاحية السريعة، باستخدام القلم الرصاص.

كان يرتدى الملابس الداكنة، ذات القياس الفضفاض والسهل. وقام فى السنوات الأخيرة، بالتخلى عن القبعة العالية، وكان يقوم حتى عند وجوده فى "لندن"، بارتداء قبعة سوداء لينة فى الشتاء، وقبعة كبيرة من القش فى الصيف. وكان لباسه خارج المنزل يتألف من العباءة القصيرة، التى أظهره فيها "إليوت" Elliot و"فراى" Fry، فى الصورةالضوئية التى يستند فيها إلى عامود موجود فى الشرفة[٧]. وكان الشيئان المميزان للباسه داخل المنزل، يتمثلان فى قيامه بشكل دائم تقريبًا،

---

(١) مفعم بالحيوية — Animated

(٢) مرنان — Sounding

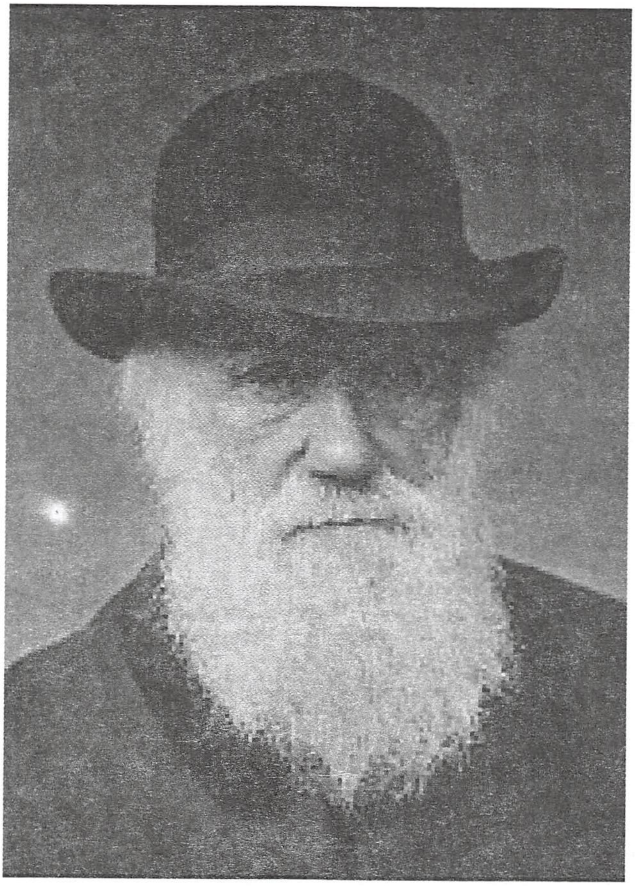
(٣) جلجلة الأجراس — Peal

(٤) ودى = متجاوب • (من الشائع قصر ترجمتها على "متعاطف") — Sympathetic

(٥) ايماء = ايماءة — Gesture

(٦) لطمة = صفعة — Slap

(٧) شرفة — Verandah



لوحة (٤٧)
داروين شيخا بقبعة لينة

بوضع شال فوق أكتافه، وكان لديه حذاء كبير طويل الرقبة من القماش مبطن بالفراء، الذى كان يستطيع ارتداءه، فوق الحذاء الذى يرتديه داخل المنزل. وكان يعانى مثل معظم الناس رقيقى الصحة[١] من الحرارة، وكذلك من البرودة[٢]، وبدا كما لو كان غير قادر على التوصل إلى الموازنة، بين التغالى فى الحرارة والتغالى فى البرودة، وكثيرا ما كان من شأن أى توتر ذهنى، أن يجعله يشعر بالحرارة الزائدة، بحيث كان من شأنه أن يقوم بخلع معطفه، إذا ارتبك شىء فى مسار عمله.

كان يستيقظ مبكرا، وقد كان ذلك بشكل رئيسى لأنه لم يكن يستطيع الاضطجاع فى السرير، وأعتقد أنه كان يفضل مغادرة الفراش، فى وقت أكثر تبكيرا عما كان يقوم به. وكان يقوم بجولة قصيرة قبل تناول الفطور، وهى عادة بدأت عندما ذهب لأول مرة إلى مؤسسة للشفاء بالماء[٣]. وقد احتفظ بهذه العادة، إلى نهاية حياته تقريبا. وكنت أحب وأنا صبى صغير، الخروج معه، ولدىّ إحساس مبهم باحمرار شروق الشمس فى الشتاء، واسترجاع الصحبة اللطيفة، وبنوع معين من التشريف والافتخار، فى القيام بذلك. وكان معتادًا على بعث البهجة فى نفسى عندما كنت صبيا، عن طريق إخبارى، حتى فى مسيرتنا المبكرة، فى صبحيات الشتاء المعتمة، كيف تقابل مرة أو مرتين، مع ثعالب أثناء هرولتها[٤] إلى مواطنها عند بزوغ الفجر[٥].

كان يبدأ العمل على الفور بعد تناوله الإفطار منفردًا، حوالى الساعة ٧،٤٥ صباحًا، معتبرا الساعة والنصف الواقعة ما بين الثامنة والتاسعة والنصف، أفضل الأوقات للعمل. ثم يأتى فى الساعة التاسعة والنصف، إلى غرفة المعيشة، للاطلاع

---

(١) رقيق الصحة — Delicate
(٢) برودة — Chilliness
(٣) الشفاء بالماء — Water-cure
(٤) هرولة = خبب — Trotting
(٥) بزوغ الفجر — Dawning

على رسائله – معلنا ابتهاجه إذا كان البريد خفيفا، وشاعرا فى بعض الأحيان بالكثير من القلق، إن لم يكن كذلك. وكان من شأنه بعد ذلك، أن يستمع إلى القراءة وبصوت مرتفع لأى خطابات عائلية، وهو مضطجع على الأريكة[١].

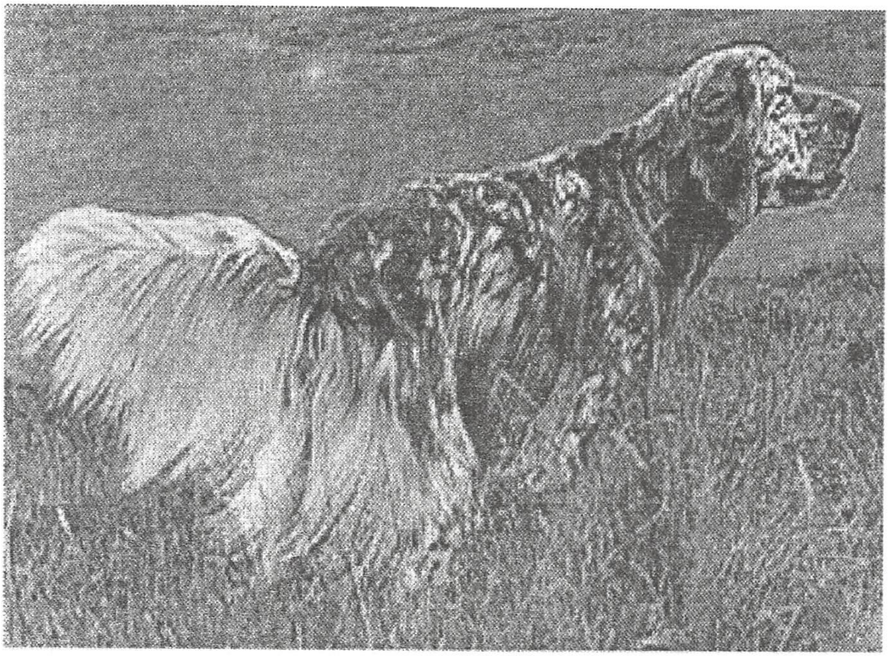
كانت القراءة بصوت مرتفع– التى كانت تتضمن جزءا من إحدى الروايات– تستمر إلى حوالى العاشرة والنصف، يعود بعدها للعمل إلى حوالى الساعة الثانية عشرة، أو بعدها بربع الساعة. و كان يعتبر عند هذا الوقت، أن عمله اليومى قد انتهى، ومن شأنه فى كثير من الأحيان، أن يقول بصوت راض: "لقد أنجزت عملا يوميا جيدا". وكان يقوم بعد ذلك بالخروج من المنزل، سواء كان الجو مطيرا أو صحوا، وكانت "بولى" Polly ، كلبته الأرضية البيضاء ترافقه فى الجو الصحو، لكنها كانت ترفض القيام بذلك فى الجو الممطر، أو كان من الممكن رؤيتها مترددة فى الشرفة، مع تعبير يمثل خليطا من الاشمئزاز[٢]، والخزى[٣] من افتقادها الشجاعة، إلا أن ضميرها كان يسود فى العادة وبمجرد أن يتبين لها بشكل واضح أنه ذهب، كانت لا تحتمل أن تبقى متخلفة عنه.

---

(١) أريكة — Sofa

(٢) اشمئزاز — Disgust

(٣) خزى — Shame



لوحة (٤٨)

أحد الكلاب التى كان "داروين" مشغوفًا بها

كان والدى مشغوفًا دائما بالكلاب، وكانت لديه القدرة عندما كان يافعا، على اختلاس مودة الحيوانات المدللة(١) الخاصة بأخواته البنات، واكتسب عندما كان فى "كامبريدج"، حب كلب ابن عمه "و.د.فوكس"، وربما كان هذا هو الحيوان الصغير، الذى كان معتادا على التسلل من أسفل داخل فراشه، وينام عند قدميه كل ليلة. وكان لدى والدى كلبٌ فظ(٢)، والذى كان مخلصا(٣) له، ولكنه كان غير ودود لكل شخص آخر، وقد تذكره الكلب عند عودته من رحلة "البيجل"، ولكن بطريقة غريبة كان والدى مغرمًا بروايتها. حيث ذهب إلى الساحة، وصاح بطريقته القديمة، فاندفع الكلب خارجا، وبدأ فى السير معه، غير مظهر لأى انفعال(٤) أو استثارة، كما لو كان نفس الشيء قد حدث فى اليوم السابق، بدلا من منذ خمس سنوات مضت. وقد تم استخدام تلك القصة، فى كتاب "نشأة الإنسان" Descent of Man، الإصدار الثانى، صفحة ٧٤.

مازلت أذكر اثنين فقط من الكلاب اللذين كانا على علاقة بوالدى. أحدهما كان كلبا مسترجعا(٥) ضخما نصف أصيل(٦)، لونه أسود وأبيض، يدعى "بوب" Bob، كنا مغرمين به كثيرا، عندما كنا أطفالا. وقد كان هو الكلب الذى سردت عنه قصة "وجه البيت الدافئ(٧)"، فى كتاب "التعبير عن الانفعالات" Expression of Emotions.

---

(١) حيوان مدلل أو أليف — Pet

(٢) فظ — Surly

(٣) مخلص = متفانى — Devoted

(٤) انفعال — Emotion

(٥) كلب مسترجع — Retriever

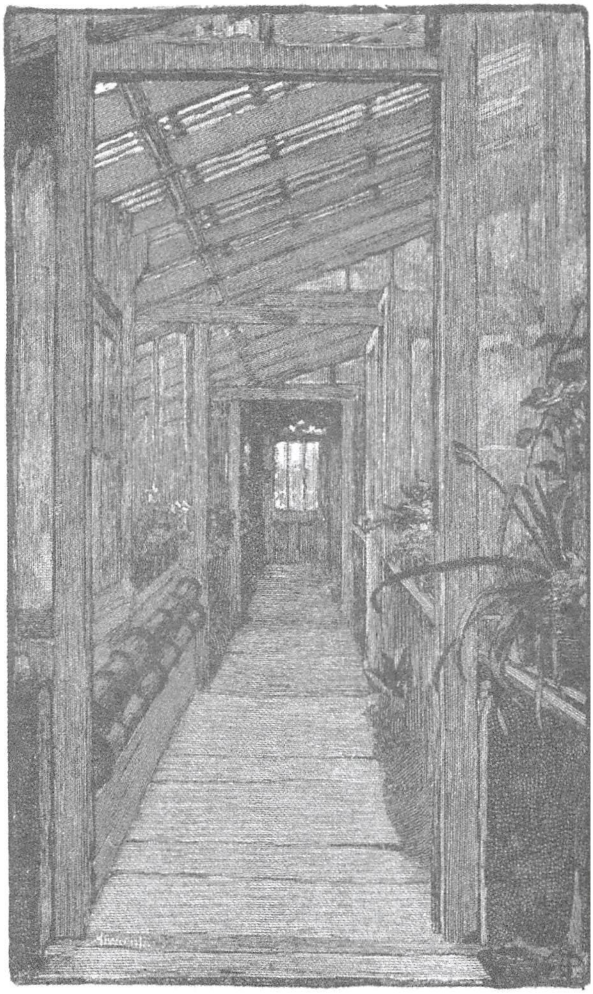
(٦) نصف أصيل — Half-bred

(٧) البيت الدافئ (للنباتات) — Hot-house

لكن الكلبة الأكثر ارتباطًا بوالدى، كانت تلك التى سبق ذكرها، "بولى"، وهى كلبة أرضية ثعلبية[١] خشنة بيضاء اللون. وكانت كلبة حادة الذكاء[٢] وحنونة[٣]، وعندما كان سيدها يزمع الذهاب فى رحلة، كانت تكتشف دائما هذه الحقيقة، عن طريق علامات حزم الأغراض فى غرفة المكتب، وبناء عليه، كانت تصبح منخفضة المعنويات[٤]. وكانت تبدأ أيضا فى الشعور بالاثارة، عن طريق رؤية الإعداد لغرفة المكتب ترقبا لعودته إلى المنزل. لقد كانت كائنا ضئيلا ماكرا[٥]، وكانت معتادة على الارتجاف أو اتخاذ هيئة التعاسة، عندما يمر والدى عليها، أثناء انتظارها لوجبة العشاء، وكأنها تعرف بالضبط، أن من شأنه أن يقول عنها (كما كان يفعل فى كثير من الأحيان)، "أنها تتضور من الجوع[٦]". وكان أبى معتادا على جعلها تقوم بالإمساك بقطعة من الكعك الجاف موضوعة على أنفها، وكانت لديه طريقة ودودة ومتسمة بالجلال[٧]، فى القيام بالشرح لها قبل ذلك، بأنها لابد أن تكون "فتاة صالحة جدا". وقد كانت لديها علامة على ظهرها، تمثل موضع حرق قديم، وعاد فيها الشعر إلى النمو بلون أحمر بدلا من الأبيض، وكان والدى يمدحها[٨] على هذه الخصلة[٩] من الشعر، على أساس أنها تتوافق مع نظريته المتعلقة بشمولية التكوين[١٠]، حيث كان أبوها كلبًا أرضيًا ثورانيًا[١١]،

---

(١) كلب أرضى ثعلبى * — Fox-terrier
(٢) ذكاء حاد — Sharp-wit
(٣) حنون = عطوف = ودود — Affectionate
(٤) منخفض المعنويات — Low-spirited
(٥) ماكر — Cunning
(٦) يموت (يتضور) من الجوع — Famishing
(٧) متسم بالجلال * — Mock-solemn
(٨) يمدح = يثنى على — Commen
(٩) خصلة (من الشعر) — Tuft
(١٠) شمولية التكوين (نظرية داروين عن الوراثة) — Pangenesis
(١١) كلب أرضى ثورانى * — Bull-terrier



لوحة (٤٩)

مستدفأ النباتات الزجاجى

الملحق بمنزل "تشارلس داروين"

وهكذا كان الظهور للشعر الأحمر بعد الحرق، يوضح الوجود لبريعمات(١) حمراء كامنة(٢). لقد كان رقيقا بشكل ممتع مع "بولى"، ولم يقم على الإطلاق بإظهار أى نفاذ للصبر، تجاه سبل الرعاية التى كانت تحتاج إليها، مثل السماح لها بالدخول من الباب، أو الخروج من نافذة الشرفة، لكى تنبح على الأناس الأشقياء(٣)، وهو واجب فرضته على نفسها، وكانت تستمتع كثيرا بالقيام به. وقد ماتت، أو بالأصح كان لابد من إنهاء حياتها، بعد أيام قليلة من وفاته [2].

كانت مسيرة منتصف اليوم لوالدى تبدأ فى العادة، بزيارة لبيت النباتات الزجاجى، حيث كان يقوم بالتطلع إلى أى بذور(٤) نابتة(٥)، أو أى من النباتات التجريبية، التى كانت تحتاج للفحص العارض، لكن كان من النادر أن يقوم على الإطلاق، بأى مشاهدة جادة فى ذلك الحين. ثم يذهب بعد ذلك فى تريضه(٦)، سواء حول "الممشى الرملى" Sand-walk، أو إلى خارج حدود أرضه، فى الجوار الملاصق للمنزل. وكان الممشى الرملى عبارة عن شريط(٧) ضيق من الأرض، تبلغ مساحته واحدًا ونصف فدان(٨)، مع ممشى من الحصى يحيط به. وكان يوجد على واحد من جوانبه أجمة(٩) عريضة قديمة، بها أشجار سنديان ذات حجم متوسط، التى صنعت ممشى مستورا مظللاً، وكان الجانب الآخر مفصولا عن الحقل العشبى المجاور، بواسطة سياج(١٠) منخفض من نبات الزعرور البرى(١١)، الذى كان من

---

(١) بريعمات = براعم صغيرة — Gemmules
(٢) كامن = دفين — Latent
(٣) شقى = مشاغب — Naughty
(٤) بذرة — Seed
(٥) ينبت — Germinate
(٦) تريض = نزهة رياضية — Experimental
Constitutional
(٧) شريط — Shaw
(٨) فدان: مقياس للأرض بمساحة ٤٨٤٠ ياردة مربعة أى حوالى ٤٠٠٠ متر مربع — Acre
(٩) أجمة = دغل — Shaw
(١٠) سياج — Hedge
(١١) نبات الزعرور البرى — Quickset

المستطاع التطلع من فوقه، إلى المنظر الموجود هناك، وهو واد صغير هادئ، ينتهي في الأرض المرتفعة، الموجودة تجاه حافة تل "وسترهام" Westerham، مع أيكة[١] من أشجار البندق[٢]، وغابة[٣] من أشجار الأرز[٤]، وهي البقايا لما كانت في الماضي غابة شاسعة، تمتد إلى طريق "وسترهام". ولقد سمعت والدى يقول، إن سحر هذا الوادى البسيط الصغير، هو الذى ساعد على جعله يستقر في "داون".

قام والدى بزراعة الممشى الرملى بأنواع مختلفة من الأشجار، مثل البندق، والحمراية[٥]، والزيزفون[٦]، والدردار المستدق[٧]، والبتولا[٨]، والنوار الأبيض[٩]، والقرنوس[١٠]، ومع صف طويل من نباتات البهشية[١١] على طول الجانب المكشوف. وكان يقوم في الأيام الخوالى بعدد معين من الدورات كل يوم، وكان معتادا على إحصائها باستخدام كومة من صخور الصوان، التى كان يركل واحدة منها لكى تستقر على الممشى، فى كل مرة يمر فيها على الكومة. وأعتقد أنه فى السنوات الأخيرة، لم يكن يلتزم بعدد معين من الدورات، لكنه كان يقوم بأكبر عدد يشعر بالقدرة عليه. وكان الممشى الرملى يمثل أرض اللعب بالنسبة لنا ونحن أطفال، وكنا نرى هنا والدى باستمرار عند سيره حوله. فقد كان يحب أن يرى ما الذى نقوم به، وكان مستعدا دائمًا للتعاطف مع أى لهو يدور. ومن اللافت للنظر

---

(١) أيكة — Coppice
(٢) شجر البندق — Hazel
(٣) غابة — Wood
(٤) شجر الأرز = الأرزية: من الفصيلة الصنوبرية — Larch
(٥) شجر الحمراية = حورة رومية = جار الماء: شجر حرجي يألف الماء — Alder (tree)
(٦) شجر الزيزفون — Lime tree
(٧) شجر الدروار المستدق * — Hornbeam
(٨) شجر البتولا = التامول = شجر القضبان — Birch
(٩) شجر النوار الأبيض = ياسم = فاغو — Privet
(١٠) شجر القرنوس = القرانيا — Dogwood
(١١) نبات البهشية = عود الخير = شرابة الراعى = طيم — Holly

التفكير فى أن ارتباط الممشى الرملى مع والدى، يجعل استرجاعاتى المبكرة إلى أقصى حد، تتوافق مع استرجاعاتى الأخيرة، وهى توضح كيف كانت عاداته غير قابلة للتغيير.

عندما كنا ننفرد ببعضنا فى بعض الأحيان، كان يقف ثابتا أو يسير بانسلال[١]، لمراقبة الطيور أو الحيوانات[٢]. وقد قامت فى إحدى هذه المرات، بعض السناجب[٣] اليافعة بالركض متسلقة ظهره وساقيه، فى الوقت الذى كانت أمها تنبح عليها بالتياع، من أعلى الشجرة .وكان يستطيع دائما العثور على أعشاش الطيور، حتى إلى السنوات الأخيرة من حياته، وكنا ونحن أطفالٌ نعتبر أن لديه نبوغا خاصا للقيام بهذا الاكتشاف. وكان يلتقى مصادفة أثناء تجولاته الهادئة مع الطيور الأقل شيوعا، لكننى أظن أنه كان معتادا على إخفائها عنى عندما كنت صبيا صغيرا، لأنه لاحظ المعاناة الذهنية التى كنت أتحملها لعدم رؤيتى طائر السسكين[٤] أو الحسون الذهبى[٥]. أو أى طائر كان . وكان يروى لنا، كيف أنه كان يزحف بدون إحداث صوت فى الغابة الكبيرة، عندما عثر على ثعلب نائم أثناء النهار، والذى بوغت بشكل كبير، إلى درجة أنه أخذ فى التحديق فيه لوقت طويل، قبل أن يقوم بالفرار. وقد كان بصحبته كلبٌ مستدق الخطم[٦]، الذى لم يظهر أى علامة من الاستثارة عند مشاهدته للثعلب، وكان معتادا على إنهاء القصة بالتعجب، من كيف كان الكلب واهن العزيمة.

---

(١) بانسلال — Stealthily

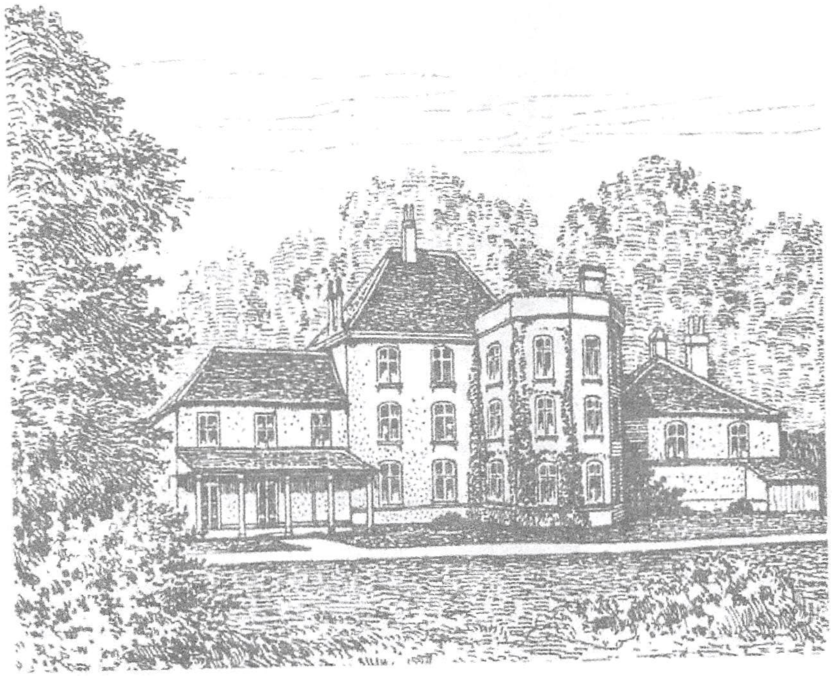
(٢) الحيوانات — Beasts

(٣) سنجاب — Squirrel

(٤) طائر السسكين : كالحسون ولكنه حاد المنقار — Siskin

(٥) طائر الحسون الذهبى: من العصافير — Goldfinch

(٦) كلب مستدق الخطم • — Spitz dog



لوحة (٥٠)

منزل "تشارلس داروين" فى بلدة "داون"

كان المكان المفضل الآخر هو "منحدر السحلب[١]" Orchis Bank، الذى يقع فوق وادى "كودهام" Cudham الهادئ، حيث تنمو أشجار ذباب السحلب[٢] ومسك السحلب[٣]، فيما بين أشجار السرو الجبلى[٤]، ورأسيات المآبر[٥] والنيوتيا[٦]، تحت أغصان[٧] أشجار الزان[٨]، وكان مغرما أيضا بالغابة الصغيرة "هانجروف" Hangrove، التى تقع فوق الأولى مباشرة، وأتذكر هنا قيامه بجمع الأعشاب، عندما أصبحت لديه هواية اكتشاف أسماء الأصناف الشائعة هناك. وكان مغرما باقتباس قول أحد أولاده الصغار، الذى قام عند عثوره على أحد الأعشاب التى لم يرها والده من قبل، بوضعه بجوار طبقه أثناء تناول العشاء، معلقا بقوله "أنا مكتشف فوق العادة للعشب!".

كان والدى يستمتع بشكل كبير بالتجول ببطء فى الحديقة، بصحبة والدتى أو البعض من أطفاله، أو تكوين مجموعة تجلس على أريكة خشبية، موجودة على المرج المعشوشب[٩]، إلا أنه كان يقوم عادة بالجلوس على العشب، وأتذكر أنه كان كثيرا ما يستلقى تحت إحدى أشجار الزيزفون الضخمة، واضعا رأسه على الرابية[١٠] الخضراء الموجودة عند قاعدتها. وكان يتم فى الجو الصيفى الجاف، أثناء جلوسنا فى الخارج، سماع العجلة الهوائية[١١] الخاصة بالبئر[١٢]، وهى تدور

---

(١) السحلب — Orchis
(٢) شجر ذباب السحلب * — Fly-orchis
(٣) شجر مسك السحلب * — Musk-orchis
(٤) شجر السرو الجبلى = العرعر = شيزى — Juniper
(٥) شجر رأسيات المآبر * — Cephalanthera
(٦) شجر النيوتيا # — Neottia
(٧) غصن أو فرع شجرة — Bough
(٨) شجر الزان — Beech
(٩) المرج المعشوشب * — Lawn
(١٠) رابية — Mound
(١١) العجلة الهوائية * — Fly-wheel
(١٢) بئر — Well

حول محورها بشكل مألوف، وأصبح هذا الصوت بهذا الشكل مرتبطا بتلك الأيام السعيدة. وكان يحب فى العادة أن يراقبنا، ونحن نقوم بلعب كرة المضرب على الأرض المعشوشبة(١)، وكثيرا ما كان يقوم بإعادة أى كرة شاردة(٢) إلينا، عن طريق قرعها بمقبض عصاه المقوس.

رغم عدم قيامه بالاشتراك الشخصى فى أعمال الحديقة، فإنه كان يستمد الكثير من البهجة من جمال الزهور، مثل مجموعة زهور الغار الشيحى(٣)، التى كانت عادة ما تحتل مكانا فى غرفة المعيشة. وأعتقد أنه كان يقوم فى بعض الأحيان بدمج إعجابه بتركيب أى زهرة، مع جمالها الجوهرى(٤)، مثل حالة الأزهار الضخمة المتدلية(٥)، ذات اللون القرنفلى(٦) والأبيض، الموجودة فى الزهور ثنائية الأغلفة(٧). وكان لديه بنفس الطريقة تعلق، نصف فنى ونصف علمى نباتى، بزهور التبغ الهندى(٨) الضئيلة الزرقاء. وكان من شأنه فى كثير من الأحيان أثناء اعترافه بالإعجاب بها، أن يسخر من الألوان الفنية الغبراء مرتفعة المستوى، ويقابلها(٩) بمسحات الطبيعة اللونية الزاهية. وكنت أحب سماعه وهو يقوم بالتعبير عن إعجابه، بجمال زهرة، وكأنه ضربٌ من الشعور بالعرفان بالجميل للزهرة نفسها، وولع شخصى بشكلها الرقيق ولونها. ويبدو أننى مازلت أتذكر قيامه بلمس أى زهرة، تبعث فيه البهجة، وكان ذلك نفس الإعجاب البسيط، الموجود لدى أى طفل.

---

(١) لعب كرة المضرب على أرض معشوشبة * Lawn-tennis
(٢) شارد Stray
(٣) زهر الغار الشيحى = بقيل = الأزاليا Azalea
(٤) جوهرى = داخلى Intrinsic
(٥) متدلى Pendulous
(٦) لون قرنفلى Pink
(٧) الزهور ثنائية الأغلفة أو الأغماد * Dielytra
(٨) نبات التبغ (الدخان) الهندى Lobelia
(٩) يقابل = يغاير Contrast

كان لا يستطيع الامتناع عن إضفاء الصفات البشرية(١) على الأشياء الطبيعية. وكان هذا الشعور يبزغ فى السباب، كما يبزغ فى المديح - وعلى سبيل المثال، كان يقول عن البعض من النبتات- "تلك المتسولات(٢) الضئيلات يفعلن بالضبط، ما لا أريدهن القيام به". وكان من شأنه أن يتحدث بطريقة نصف مستفزة ونصف معجبة، عن إبداع(٣) ورقة شجر السنط(٤)، فى القيام بلولبة نفسها خارجة(٥) من حوض ماء، حاول القيام بتثبيتها داخله. ومن الممكن للمرء أن يرى نفس الروح، فى الطريقة التى يتحدث بها عن نبات الندية(٦)، والديدان الأرضية، وخلافهما [3].

فى حدود تذكرى، فإن الاستجمام(٧) الآخر الوحيد له، بجانب السير، قد كان ركوب الخيل، الذى قام باتباعه بناء على توصية من "الدكتور بنس چونز Dr. Bence Jones"، وقد حالفنا الحظ فى العثور له، على أسلس وأهدأ جواد كبة(٨) فى العالم، وقمنا بترتيب عدد من الدورات القصيرة، التى كانت كفيلة بعودته إلى المنزل، فى الوقت المحدد لوجبة الغذاء. ويتناسب ريفنا مع هذا الغرض، نتيجة إلى العدد الكبير من الوديان الصغيرة، التى تعطى تنوعا، لما قد يكون فى أى بلد منبسطة، مجرد دورة مملة على الطريق. وأعتقد أنه لم يكن مغرما بالجياد بطبيعته، ولا كانت لديه فكرة مرتفعة عن ذكائها. وكثيرا ما كانت تتم السخرية من "تومى" Tommy، للوجل الذى كان يظهره، عند المرور والعودة إلى المرور أمام نفس الكومة، من بقايا تقليم السياج، أثناء السير حول الحقل. وأعتقد أنه كان يشعر

---

(١) إضفاء الصفات البشرية — Personify
(٢) متسول = شحاذ — Beggar
(٣) إبداع — Ingenuity
(٤) شجر السنط = الخرنوب المصرى — Mimosa = Acacia
(٥) يلولب إلى الخارج * — Screw out
(٦) نبات الندية = ورود الشمس = الدروسيرة — Sundew
(٧) الاستجمام — Recreation
(٨) جواد كبة * — Cob

بالدهشة من نفسه، عندما يتذكر كيف كان ممتطيا(١) جسورا للجياد، وكيف أن التقدم فى العمر والاعتلال فى الصحة، قد انتزعا جلده بشكل تام. وكان من شأنه القول، أن امتطاء الجياد كان يمنعه من التفكير بشكل أكثر فاعلية بكثير عن المشى – وأن اضطراره للانتباه إلى الجواد، كان يعطيه مشغولية كافية، لمنع أى تفكير عميق حقيقى. لكن التغيير فى المناظر الذى حصل عليه، كان شيئا جيدًا لمعنوياته ولصحته.

حدث لسوء الحظ، أن سقط "تومى" بشكل ثقيل وهو عليه، على طريق "كيستون" Keston العمومى. وقد قام ذلك، علاوة على حادث مع جواد آخر، بإحداث اضطراب فى أعصابه، وبناء على ذلك تم نصحه بالإقلاع عن ركوب الخيل.

إذا كان لى الذهاب إلى أبعد من تجربتى الخاصة، واسترجاع ما سمعته من قول عن ولعه بالرياضة وخلافها، فإننى أستطيع التفكير فى أشياء كثيرة، ولكن الكثير منها من شأنه أن يكون تكرارا، للموجود فى استرجاعاته. فقد كان مغرما وهو فى المدرسة، بلعبة ضرب الكرة الخماسى(٢)، وكانت تلك هى اللعبة الوحيدة التى يجيدها. وكان مغرما ببندقيته عندما كان صبيا صغيرا، وأصبح راميا ماهرا، وكان معتادا سرد قيامه فى أمريكا الجنوبية، بقتل ثلاثة وعشرين طائر شنقب(٣)، بأربع وعشرين طلقة. وكان حريصا أثناء روايته للقصة، على إضافة، أنه يظن أنها لم تكن على نفس الدرجة من الضراوة، مثل طائر الشنقب الإنجليزى.

---

(١) يمتطى = يركب (الجياد) Ride

(٢) لعبة ضرب الكرة الخماسى • Bat-fives

(٣) طائر الشنقب Snipe

كانت وجبة الغداء[١] فى "داون" تأتى، بعد مسيرة منتصف النهار، وهنا يعن لى أن أقول كلمة أو كلمتين، حول وجباته بشكل عام. حيث كان لديه ولع صبيانى بالحلويات[٢]، وكان ذلك لسوء الحظ بالنسبة له، حيث كان يتم منعه بشكل مستمر عن تناولها. ولم يكن ناجحا بشكل خاص فى الحفاظ على "عهوده"[٣]، كما كان يطلق عليها، التى كان يقطعها على نفسه ضد تناول الحلويات، ولم يكن يعتبرها ملزمة له على الإطلاق، إلا إذا قطعها على نفسه بصوت مرتفع.

كان يشرب القليل من النبيذ[٤]، ولكنه كان يستمتع به، ويصبح منتعشا بالمقدار الضئيل الذى يحتسيه. وقد كان لديه ذعر من احتساء الخمور، وكان يقوم باستمرار بتحذير أولاده من أنه من الممكن لأى شخص، أن ينقاد إلى شرب الخمر بإسراف. وأتذكر فى براءتى كصبى صغير، أننى قمت بسؤاله ما إذا كان قد شعر بالترنح من السكر فى يوم من الأيام، وقد أجاب بوقار شديد، إنه يشعر بالخزى لأن يقول، إنه احتسى فى يوم من الأيام، قدرا كبيرا من الخمور فى "كامبريدج". وقد قام ذلك بالتأثير علىَّ بشكل كبير، حيث إننى أعلم الآن، المكان الذى كان موضع هذا التساؤل.

كان يقوم بعد تناوله الغداء، بمطالعة الصحيفة اليومية، وهو مستلق على الأريكة الموجودة فى غرفة المعيشة. وأعتقد أن الصحيفة كانت المادة غير العلمية الوحيدة، التى كان يقوم بقراءتها لنفسه. أما كل شىء آخر، من روايات، وقصص رحلات، وتاريخ، فكانت تتم قراءتها له بصوت مرتفع. وكان لديه اهتمام واسع بالحياة، بحيث كان هناك الكثير الذى يقوم بشغل باله فى الصحف اليومية، رغم أنه

---

(١) وجبة الغداء — Luncheon

(٢) حلويات = الأشياء الحلوة المذاق — Sweets

(٣) عهد = وعد — Vow

(٤) النبيذ — Wine

كان يسخر من الإسهاب[١] فى المجادلات[٢]، وأعتقد أنه كان يقوم بقراءتها بشكل مختصر فقط. وقد كان اهتمامه بالسياسة شيئا له اعتباره، إلا أن آراءه فيما يخص تلك الأمور، قد تم تشكيلها بطريقة عارضة، عنها عن طريق أى كمية جدية من التفكير.

بعد الانتهاء من قراءة جريدته، يحل وقت تحرير الرسائل، التى كان يقوم بتدوينها بالإضافة إلى مخطوطات كتبه، أثناء جلوسه على كرسى ضخم من شعر الجياد، موضوع بجوار المدفأة، بينما تكون الأوراق مرتكزة على لوح من الخشب، مستقر على ذراعى الكرسى. وعندما كان عليه كتابة خطابات كثيرة أو طويلة، كان من شأنه أن يقوم بإملائها من نسخة مبدئية، وكان يتم تدوين تلك النسخ المبدئية، على ظهور المخطوطات اليدوية أو صفحات المراجعة، وكانت غير قابلة للقراءة تقريبا، وفى بعض الأحيان، حتى بالنسبة إليه شخصيا. وكانت لديه قاعدة خاصة بالاحتفاظ بجميع الخطابات التى تلقاها، وكانت تلك عادة تعلمها عن والده، وقال إنها كانت ذات نفع كبير له.

كان يتلقى الكثير من الرسائل الصادرة عن أناس أغبياء، ومستهترين، وكانت جميعها تتلقى ردودا. وكان معتادا على القول بأنه إذا لم يرد عليها، فسوف يقع ذلك على ضميره فيما بعد، ولاشك أن الكياسة التى كان يقوم بها الرد على كل شخص، كان لها القدر الكبير من التأثير، الذى نتج عنه الإحساس العام والواسع الانتشار بلطف طبيعته، والذى كان واضحا بشكل كبير عند وفاته.

لقد كان غاية فى المراعاة لمراسليه فى أشياء أخرى أقل أهمية، وعلى سبيل المثال، فعندما كان يقوم بإملاء خطاب موجه إلى شخص غريب، كان من النادر إغفال أن يقول لى "من الأفضل أن تحاول إجادة الكتابة، لأنه موجه إلى شخص

---

(١) اسهاب = كثرة الكلام — Wordiness

(٢) مجادلات — Debates

غريب". وكان يتم تحرير خطاباته فى العادة، مع الافتراض بأن من شأنها أن تقرأ باستهتار، ولهذا، كان يحرص على أن يقول لى أثناء قيامه بالإملاء أن أجعل أى عبارة مهمة تبدأ بفقرة واضحة، "لكى تقوم باصطياد عينه"، وكان يقوم بترديد ذلك فى كثير من الأحيان. أما عن مقدار تفكيره فى المعاناة التى كان يتسبب فيها للآخرين، عن طريق توجيه الأسئلة إليهم، فإن ذلك سوف يتم توضيحه بشكل كامل، عن طريق الاطلاع على خطاباته. ومن الصعب أن يقال أى شيء، حول اللهجة العامة المتبعة فى خطاباته، فإنها سوف تقوم بالحديث عن نفسها. وقد كانت المجاملة غير المتغيرة الموجودة بها مثيرة للانتباه بشكل كبير، ولدىّ إثبات على تلك الصفة، من الشعور الذى كان يكنه له "السيد هاكون Mr. Hacon"، وهو محاميه الخاص. فرغم أنه لم ير والدى على الإطلاق، فإنه كان يحمل له شعورا مخلصا بالصداقة، وكان يتكلم بشكل خاص عن خطاباته، على أساس أنه من النادر لأى إنسان، أن يتلقى شيئا عن طريق العمل مثل: "كل شيء قمت به كان صحيحا، وكل شيء مشكور بشكل غامر".

كانت لديه صيغة[١] مطبوعة لاستخدامها فى الرد على المراسلين المزعجين[٢]، ولكن كان من النادر أن يقوم باستخدامها، وأعتقد أنه لم يجد على الإطلاق أى مناسبة تدعوه إلى استخدامها بطريقة مفيدة. وقد تلقى خطابا من شخص غريب، يحتوى على أن الكاتب أخذ على عاتقه تأييد نظرية التطور فى اجتماع جدالى، ولكونه رجلا يافعا كثير المشغولية، وليس لديه وقت للقراءة، فإنه يرغب فى الحصول على مجمل يدور حول آراء والدى. وقد تلقى حتى ذلك الرجل العجيب ردا متمدينا، رغم أننى أعتقد أنه لم يحصل على الكثير من المعلومات من أجل حديثه. وكانت لديه قاعدة للقيام بتقديم الشكر لمانحى[٣] الكتب، ولكن ليس

(١) صيغة Form

(٢) مزعج Trouble some

(٣) مانح Donor

لمانحى النشرات[1]. وقد عبر فى بعض الأحيان عن دهشته، من قيام القليل من الناس بشكره، على كتبه التى كان يقوم بتوزيعها بشكل سخى، وقد قامت الخطابات التى تلقاها بمنحه القدر الكبير من السرور، لأنه كان معتادا تكوين تقدير غاية فى التواضع، عن قيمة جميع أعماله، إلى درجة أنه كان يشعر بالمباغتة الحقيقية للاهتمام الذى تقوم باستثارته.

كان حريصا فيما يتعلق بأمور المال والأعمال، ودقيقا بشكل ملحوظ. وكان يقوم بالاحتفاظ بالحسابات بعناية شديدة، ويقوم بتصنيفها، وموازنتها عند نهاية العام، مثل أى تاجر. وأتذكر الطريقة السريعة التى كان من شأنه اتباعها، لتناول دفتر حساباته، لكى يقوم بتسجيل كل إيصال مصرفى[2] تم دفعه، كما لو كان فى عجالة لتسجيله، قبل أن ينساه. ولابد أن والده سمح له بالاعتقاد، بأن من شأنه أن يكون أكثر فقرا، عما كان فى واقع الأمر، وذلك لأنه لابد أن البعض من الصعوبة التى واجهها فى العثور على منزل فى الريف، قد نبعت من المبلغ المتواضع الذى شعر أنه قادر على دفعه. إلا أنه كان يعلم بالطبع، أن من شأنه أن يكون فى ظروف ميسرة، حيث يذكر ذلك فى "استرجاعاته"، على أساس أنه واحد من الأسباب التى دفعته إلى عدم العمل على دراسة الطب بحماس شديد، بشكل مماثل لما كان من شأنه أن يقوم به، لو كان هناك اضطرار لكسب معيشته.

كان لديه تدبير بالنسبة للأوراق، لكنه كان هواية بشكل أكبر من كونه تدبيرًا حقيقيًا. حيث كان يتم الاحتفاظ بجميع الصفحات الخالية من الكتابة، الموجودة فى الخطابات المتلقاة، فى حافظة أوراق، لكى يتم استخدامها فى كتابة الملحوظات، وقد كان احترامه لأوراق الكتابة هو الذى جعله يقوم بالكتابة بهذا القدر الكبير، على ظهور صفحات مخطوطاته القديمة، إلا أنه قام بهذه الطريقة، لسوء الحظ، بتدمير أجزاء ضخمة من مخطوطات كتبه الأصلية. وقد امتد شعوره تجاه الورق إلى

---

(١) نشرة = كتيب Pamphlet

(٢) إيصال مصرفى Check

فضلات الأوراق، وكان يقوم بالاعتراض، بشكل شبه مازح، على العادة الناتجة عن اللامبالاة، بإلقاء أى لفافة ورقية[١] فى نار المدفأة، بعد استخدامها فى إشعال شمعة.

كان والدى سخيا وكريما بشكل مدهش تجاه جميع أطفاله، فيما يتعلق بشىء من المال، ولدىَّ سبب خاص لتذكر لطفه، عندما أفكر فى الطريقة التى قام بها، بتسديد بعض ديونى فى "كامبريدج" - وجعلها تبدو تقريبا، كما لو كانت فضيلة منى، أن قمت بإبلاغه عنها. وكان لديه فى السنوات الأخيرة من عمره، مخطط رقيق وكريم، لتقسيم ما يزيد عن حاجته فى نهاية العام، فيما بين أطفاله.

كان لديه احترام كبير للقدرة على القيام بالأعمال الحرة[٢]، وكثيرًا ما كان يتحدث بإعجاب عن أحد الأقارب، الذى استطاع مضاعفة ثروته. وكثيرا ما كان يقول عن نفسه بشكل مازح، أن الشىء الذى يفتخر به فى الحقيقة، هو النقود التى قام بادخارها. وكان لديه شعور بالإشباع من النقود التى جناها عن طريق كتبه. وقد كان تلهفه على الادخار ناشئًا بقدر كبير، عن مخاوفه من ألا يتمتع أطفاله بقدر كاف من الصحة، لاكتساب معيشتهم، وهو هاجس[٣] كان يلازمه لكثير من السنين. ولدى استرجاع باهت لقوله "شكرا للرب، سوف يكون لديكم خبز وجبن"، وقد كنت يافعا جدا، بحيث كنت أميل إلى أخذ هذه المقولة بمعناها الحرفى.

كان يستريح بعد الانتهاء من الخطابات، حوالى الساعة الثالثة من بعد الظهيرة، فى غرفة نومه، مستلقيا على الأريكة، ومدخنا للفافة من التبغ[٤]، ومنصتا لرواية أو كتاب آخر غير علمى. وكان يقوم بالتدخين فى وقت راحته فقط، بينما كان السعوط بمثابة منبه له، وكان يقوم بتناوله أثناء ساعات العمل. وقد داوم على

---

(١) لفافة ورقية — Spill

(٢) الأعمال الحرة * — Pure business

(٣) هاجس — Foreboding

(٤) لفافة تبغ — Cigarette

تناول السعوط لسنوات طويلة من حياته، حيث إنه تعلم هذه العادة منذ كان طالبا فى "إدنبرة". وكانت لديه علبة سعوط جميلة من الفضة، أهدتها له "السيدة ويدجوود"، سيدة "مير"، والتى كان شديد الاعتزاز بها - لكنه نادرا ما كان يقوم بحملها، حيث كان من شأن ذلك أن يغريه على تناول عدد كبير من القبصات. وقد تحدث فى أحد خطاباته المبكرة عن إقلاعه عن السعوط لمدة شهر، ووصف شعوره "بأنه أصبح كسولا[(١)] وغبيا[(٢)] وسوداويا[(٣)] إلى أقصى حد". وقد أخبرنى جارنا وكاهننا السابق، "السيد برودى إنز" Brodie Innes، أن والدى قام فى وقت ما باتخاذ قرار، بألا يتناول السعوط إلا إذا كان بعيدا عن المنزل، وأنه قال "هذا أفضل ترتيب بالنسبة لى "ثم أضاف": لأنى أحتفظ بالصندوق فى غرفة مكتبى، التى أستطيع الوصول إليها من الحديقة، دون الحاجة إلى استدعاء الخدم، وأن يكون من المتاح لى بشكل أكثر تكرارا عن المعتاد، أن أحظى ببضع دقائق من المحادثة مع صديقى العزيز". وكان يقوم فى العادة بتناول السعوط من جرة زجاجية[(٤)] موضوعة على منضدة البهو، حيث كان الاضطرار للقيام بقطع تلك المسافة، يمثل عامل كبح بسيطًا، وكانت صلصلة[(٥)] غطاء جرة السعوط، صوتا مألوفا جدا. وكان من شأنه فى بعض الأحيان، أن يتراءى له أثناء جلوسه فى غرفة المعيشة، أن نار المدفأة الموجودة فى غرفة المكتب، قد تكون منخفضة، ولكن عندما يتطوع أى واحد منا للذهاب لمراعاتها، يتبين أنه كان يرغب أيضا، فى الحصول على قبصة من السعوط.

---

(١) كسول Lethargic

(٢) غبى Stupid

(٣) سوداوى - كئيب - حزين Melancholy

(٤) جرة (زجاجية) - مرطبان Jar

(٥) صوت صلصلة Clink

بدأ والدى فى التدخين بشكل دائم فى سنواته الأخيرة فقط، رغم أنه كان قد تعلم التدخين أثناء رحلاته على صهوات الجياد، فى سهول "الـبامـبا" Pampas، بأمريكا الجنوبية مع الـ "جواكيين" Gauchos، ولقد سمعته يتحدث عن الراحة البالغة الناتجة عن تناول قدح من "الماتى"(١) ولفافة من التبغ، عندما كان يتوقف بعد مدة طويلة من امتطاء الجياد، ولم يكن فى استطاعته الحصول على الطعام لبعض من الوقت.

كانت القراءة بصوت مرتفع كثيرا ما ـعثه إلى النوم، وكان يشعر بالأسف لفقدانه أجزاء من أى رواية، لأن والدتى كانت تستمر فى القراءة، حتى لا يكون توقف الصوت باعثا على إيقاظه. وكان ينزل فى الساعة الرابعة، لارتداء ملابسه المخصصة للسير، وكان منتظما إلى درجة أنه من الممكن للشخص أن يكون متأكدا تماما، من أن الساعة فى حدود دقائق من الرابعة، عند سماع خطواته الهابطة.

كان يعمل من حوالى الرابعة والنصف إلى الخامسة والنصف، ثم يأتى إلى غرفة المعيشة، ويقوم بإنفاق الوقت فى التراخى، إلى أن يحين الوقت (حوالى السادسة)، للصعود لفترة أخرى من الراحة، مع القراءة للروايات، ولفافة من التبغ.

تخلى مؤخرا عن تناول العشاء المتأخر، وكان يقوم بتناول وجبة شاى بسيطة فى السابعة والنصف (فى الوقت الذى كنا نتناول فيه العشاء)، مع بيضة واحدة أو قطعة صغيرة من اللحم. ولم يكن يستمر على الإطلاق فى البقاء فى الغرفة بعد وجبة العشاء، وكان يعتذر بقوله إنه امرأة عجوز، لابد من السماح لها بمغادرة الغرفة مع السيدات. وقد كان هذا واحدا من العلامات والنتائج الكثيرة، لضعفه واعتلال صحته بشكل مستديم. وكان من شأن نصف ساعة لا أكثر ولا أقل من المحادثة، أن تتسبب له فى ليلة بدون نوم، وربما الفقدان لنصف وقت عمل اليوم التالى.

---

(١) الماتى: شراب يشبه الشاى فى أمريكا الجنوبية Mate

كان يشترك بعد العشاء مع والدتى فى "لعبة الطاولة"(١)، وكانا يقومان بلعب جولتين كل ليلة، وكان يتم على مدى السنوات العديدة، الاحتفاظ بسجل خاص بالجولات، التى ربحها كل منهما، وكان يهتم بشكل كبير بهذا السجل. وكان يصبح غاية فى الحيوية تجاه هذه الجولات، ويقوم بالندب بمرارة لحظه السيئ، والانفجار بغضب شديد زائف، لحظ والدتى الجيد.

كان يقوم -بعد انتهاء لعبة الطاولة- بقراءة أى كتاب علمى لنفسه فى غرفة المعيشة، وإذا كان هناك حديث كثير يدور هناك، ففى غرفة المكتب.

كان من شأنه فى المساء- وهذا يعنى بعد أن يكون قد قرأ بقدر ما سمحت به قوته، وقبل أن تبدأ المطالعة بصوت مرتفع- أن يقوم فى كثير من الأحيان بالاستلقاء على الأريكة، والإصغاء إلى والدتى وهى تعزف على "الـبيانو". ورغم أنه لم يكن يتمتع بأذن موسيقية جيدة، لكن كان لديه ولع حقيقى بالموسيقى الجيدة. وكان دائم التفجع(٢) من أن استمتاعه بالموسيقى، قد أصبح كليلا مع العمر، إلا أن ولعه باللحن الجيد فى حدود استرجاعاتى كان قويا. ولم أسمعه على الإطلاق وهو يهمهم(٣)، بأكثر من لحن واحد، وهو أغنية "ويلزية" Welsh وهى "Ar hyd y nos"، والتى كان يؤديها بشكل صحيح، وأعتقد أنه كان أيضا معتادا الهمهمة بأغنية "أوتاهيتية" Otaheitan صغيرة. ونتيجة لافتقاده الأذن الموسيقية، فإنه كان غير قادر على التعرف على أى لحن،عند سماعه مرة أخرى، لكنه كان يظل ملازما لما يشعر بالحب له، وكثيرا ما كان من شأنه أن يقول- عندما يتم عزف مقطوعة قديمة مفضلة لديه- "إنها شىء رقيق، ما هى؟" وكان يحب بشكل خاص، أجزاء من سيمفونيات بيتهوفن" Beethoven's symphonies، وقطعا خاصة بـ"هاندل" Handel. وقد قام بكتابة قائمة خاصة بجميع القطع، التى كان يميل إليها بشكل

(١) لعبة الطاولة = النرد Backgammon

(٢) يتفجع Lament

(٣) يهمهم Hum

خاص، من بين تلك التى كانت والدتى تقوم بعزفها - مقدما بكلمات قليلة، الانطباع الذى تضيفه كل واحدة منها عليه - إلا أن تلك الملحوظات فقدت لسوء الحظ. وكان حساسا تجاه الاختلافات فى الأسلوب[1]، وكان يستمتع بشكل شديد، بعزف الراحلة "السيدة ڤيرنون لاشينجتون" Mrs. Vernon Lushington، وفى يونيو ١٨٨١، عندما قام "هانسى ريختر" Hans Richter بزيارته فى "داون"، تمت استثارته إلى الحماس الشديد، عن طريق أدائه الرائع على "الـــبيانو". وكان يستمتع كثيرا بالغناء الجيد، وكانت مشاعره تتحرك إلى ما يقارب ذرف الدموع، عن طريق الأغانى العظيمة أو الحزينة. وكان غناء ابنة أخيه، "اللادى فارار" Lady Farrer، لأغنية "سوليــڤان" Sullivan "هل سيأتى" Will he come، يمثل إمتاعا لا يكل أبدا بالنسبة إليه. وقد كان متواضعا إلى أقصى حد فيما يتعلق بمذاقاته، وبالتالى كان يشعر بالسرور، عندما يجد أن الآخرين يتوافقون معه.

أصبح شديد الشعور بالإجهاد فى الأمسيات، وبشكل خاص فى السنوات الأخيرة، وكان يغادر غرفة المعيشة حوالى الساعة العاشرة، ويذهب إلى الفراش فى العاشرة والنصف. وكانت لياليه فى العادة سيئة، حيث كان يقوم فى كثير من الأحيان بالاستلقاء وهو مستيقظ، أو يجلس فى الفراش لساعات طويلة، وهو يعانى من الكثير من عدم الارتياح. وكان يعانى فى الليل، من نشاط أفكاره، وكان من شأنه أن يصاب بالإجهاد، عن طريق قيام ذهنه بالتفكير فى مشكلة، كان قد نبذها عن طيب خاطر. وكان يحدث فى الليل أيضا، أن يقوم أى شىء تسبب فى إغاظته[2] أو إزعاجه أثناء النهار، بالتسلط عليه، وأظن أنه كان يشعر بالمعاناة فى ذلك الحين، إذا لم يكن قد قام بالرد على خطاب خاص بشخص مزعج.

---

(١) أسلوب Style

(٢) يغيظ Vexed

مكتبته القراءة المنتظمة، التى قمت بذكرها، والتى استمرت للكثير من السنين، من الاطلاع على كمية ضخمة من النوعيات الخفيفة من الأدب. وقد كان مغرما إلى أقصى حد بالروايات، وأتذكر جيدا، الطريقة التى كان يتوقع بها الشعور بالسرور، من أن تتم قراءة إحدى الروايات عليه، أثناء قيامه بالاستلقاء، أو إشعال لفافة تبغ. وكان يهتم بشكل قوى بكلٍ من الحبكة(١) والأشخاص(٢)، وكان من شأنه أن يرفض بأى حال من الأحوال أن يعلم مسبقا، كيفية الانتهاء للقصة، وكان يعتبر التطلع إلى نهاية الرواية، على أساس أنها سمة أنثوية. ولم يكن يستطيع الاستمتاع بأى قصة لها نهاية محزنة، ولهذا السبب لم يكن يميل إلى "چورچ إليوت" George Eliot، رغم أنه كثيرا ما كان يتحدث بدفء، مادحا رواية"سايلاس مارنر" Silas Marner. وكانت تتم القراءة وإعادة القراءة لـ"والتر سكوت" Walter Scott، و"الأنسة أوستن" Miss Austen، و"السيدة جاسكيل" Mrs. Gaskell، إلى حد أنه لا يمكن قراءة أعمالهم أكثر من ذلك. وكان يضع تحت يده اثنين أو ثلاثة من الكتب فى نفس الوقت - كرواية، وربما سرد حياة ذاتية، وكتابًا خاصًا بالرحلات. ولم يكن يقوم كثيرا بقراءة الكتب غير المألوفة أو القديمة المستوى، لكنه كان يتمسك فى العادة بقراءة الكتب المعاصرة، التى يحصل عليها من مكتبة تقوم بالترويج للقراءة.

لا أظن أن مذاقاته الأدبية وآراءه، كانت على مستوى متوافق مع بقية ذهنه. وكان يعتبر نفسه- رغم وضوح الرؤية أمامه، بالنسبة لما يعتقد أنه جيد- خارج المجال تمامًا، فيما يتعلق بأمور الأذواق الأدبية، وكان كثيرا ما يتحدث عما يفضله أو لا يفضله هؤلاء المنغمسون فيه، كما لو كانوا يقومون بتشكيل طائفة، لا يدعى الانتماء إليها.

---

(١) حبكة (للقصة) Plot

(٢) الأشخاص Characters

كان يميل فى جميع الأمور المتعلقة بالفن، إلى السخرية من النقاد المعترف بهم[١]، وكان يقول إن آراءهم تتشكل، عن طريق النمط السائد[٢]. وبناء على ذلك، فقد كان من شأنه فى أمور الرسم أن يقول، كيف كان كل شخص فى أيامه يشعر بالإعجاب بروائع فنية، أصبحت حاليا مهملة. ولعله من الممكن تقريبا اعتبار ولعه بالصور كرجل يافع، كدليل على أنه كان لديه تقدير مرتفع لرسم الشخصيات، على أساس أنه عمل فنى، وليس على أساس أنه رسم مماثل للأصل. ومع ذلك فإنه كثيرا ما كان يتحدث بشكل ساخر، عن القيمة الفنية المتواضعة للرسومات الشخصية، وكان يقول إن أى صورة ضوئية[٣]، تساوى أى عدد من الصور المرسومة، كما لو كان غير قادر على رؤية القيمة الفنية، الموجودة فى الصورة الشخصية المرسومة. ولكن كان يتم فى العادة التصريح بذلك، أثناء محاولاته لحثنا على التخلى عن فكرة العمل على رسم صورة شخصية له، وهى عملية مضجرة[٤] إلى أقصى حد بالنسبة له.

تم تدعيم هذه الطريقة من النظر إلى نفسه على أساس أنه جهول[٥]، فى جميع الشئون المتعلقة بالفن، عن طريق انعدام الادعاء، وهو الشيء الذى كان جزءا من طابعه. وقد كانت لديه فيما يتعلق بمسائل التذوقات- بالإضافة إلى الأشياء الأكثر جدية- الشجاعة الخاصة بآرائه. إلا أننى أتذكر حالة قد تبدو مناقضة لذلك، فعندما كان يقوم بالتطلع إلى رسومات "تيرنر" Turner، الموجودة فى غرفة نوم "السيد راسكين" Mr. Ruskin، لم يعترف- كما حدث فيما بعد- بأنه لا يستطيع تبين شيء على الإطلاق، لما كان "السيد راسكين" يرى فيها. لكن هذا

(١) معترف به Professed
(٢) النمط السائد Fashion
(٣) صورة ضوئية Photograph
(٤) مضجرة = مؤرقة Irksome
(٥) جهول Ignoramus

القدر القليل من الادعاء لم يكن فى صالحه، ولكنه كان لصالح المجاملة لمضيفه[١]. وقد شعر بالسرور والرغبة فى الضحك، عندما أحضر إليه "السيد راسكين" فيما بعد، بعضا من الصور الضوئية (أعتقد أنها كانت صور شخصيات " فـانـدايك" Vandyke)، وكان يبدو أنه كان معتزا بشكل لطيف، باستطلاع رأى والدى عنهم.

كان القدر الكبير من قراءاته العلمية باللغة الألمانية، وقد كان ذلك مجهدا للغاية بالنسبة له، وكنت أصطدم كثيرا عند اطلاعي على أى كتاب بعده، برؤية علامات قلم الرصاص المخطوطة كل يوم، فى الموضع الذى توقف عنده، التى توضح مدى القدر القليل الذى كان يستطيع قراءاته فى كل مرة. وكان معتادا على أن يطلق على اللغة الألمانية كلمة "اللعينة" Verdammte، ويقوم بنطقها كما لو كانت كلمة إنجليزية. وكان ساخطا[٢] بشكل خاص على الألمان، لأنه كان مقتنعا بأن فى استطاعتهم الكتابة بشكل سهل إذا أرادوا، وكثيرا ما كان يقوم بامتداح "الدكتور ف. هيلدبراند" Dr. F. Hildebrand لكتابته بالألمانية، بنفس الوضوح المماثل للكتابة باللغة الفرنسية. وكان يقوم فى بعض الأحيان بإعطاء جملة ألمانية إلى أحد الأصدقاء، وهى سيدة ألمانية محبة لوطنها[٣]، وكان معتادا السخرية منها، إذا لم تتمكن من ترجمتها بشكل فصيح[٤]. وقد قام هو شخصيا بتعلم اللغة الألمانية، عن طريق المجاهدة باستخدام قاموس[٥]، وكان يقول إن الطريقة الوحيدة المتاحة أمامه، هى أن يقوم بقراءة إحدى الجمل، وتكرارها مرات عديدة جدا، ومن شأن المعنى فى النهاية أن يتراءى له. وعندما بدأ فى تعلم اللغة الألمانية منذ وقت طويل مضى، كان يتباهى[٦] بذلك أمام "السير ج. هوكر" Sir J. Hooker، الذى كان يجيب، "آه، يا رفيقى العزيز هذا لا يعتبر شيئا كبيرا، لقد بدأت فى تعلمها مرات كثيرة".

---

(١) مضيف Host

(٢) ساخط = ناقم Indignant

(٣) محب لوطنه = وطنى Patriotic

(٤) فصيح Fluent

(٥) قاموس = معجم Dictionary

(٦) يتباهى Boast

تمكن رغم افتقاده قواعد النحو، من التوافق بشكل حسن مع اللغة الالمانية، وكانت الجمل التى فشل فى فهم كنهها، بشكل عام جملا صعبة بالفعل. ولم يكن يحاول على الإطلاق التحدث باللغة الألمانية بشكل صحيح، ولكنه كان يقوم بالنطق[١] بالكلمات، كما لو كانت إنجليزية، وقد كان ذلك يقوم بتمثيل صعوبة ليست بالقليلة، عندما كان يقوم بقراءة أى جملة ألمانية ويطلب ترجمتها. لقد كانت لديه بالتأكيد أذنٌ سيئة، بالنسبة للأصوات الملفوظة، بحيث كان من المستحيل له استيعاب الاختلافات الدقيقة فى نطق الألفاظ.

كان من الملحوظ اهتمامه العريض بالفروع العلمية، التى لم يكن متخصصا فيها شخصيا. وقامت عقائده فى العلوم الأحيائية، بجعل نفسها محسوسة بشكل عريض، إلى درجة أنه كان هناك شىء مثيرٌ للاهتمام بالنسبة له، فى معظم أقسامه. وقد قام بقراءة قدر كبير من الأعمال المتميزة بشكل خاص، وأجزاء كبيرة من الكتب المرجعية[٢]، مثل كتاب "هوكسلى" Huxley عن "تشريح اللافقاريات" "Invertebrate Anatomy"، أو كتاب مثل "علم الأجنة" Embryology لـ "بالفور" Balfour، حيث لم تكن التفاصيل الموجودة بها، تابعة لخط تخصصه بأى معيار. ورغم عدم قيامه بدراسة الكتب المفصلة، من النوع المتخصص فى حقل ضيق من المعرفة[٣]، إلا أنه كان يشعر بأقوى درجة من الإعجاب بها.

كان يشعر فى العلوم غير الأحيائية بتعاطف شديد مع العمل، الذى لم يكن فى استطاعته فى الحقيقة الحكم عليه. وعلى سبيل المثال، فإنه كان معتادا القراءة لكل الموجود فى مجلة "الطبيعة" Nature تقريبا، رغم أن الكثير منها يتعامل مع الرياضيات والفيزياء. وكثيرا ما كنت أسمعه يقول إنه يحصل على نوع من الإشباع فى قراءة مقالات تستعصى على فهمه. وأتمنى لو كان فى استطاعتى تقليد الطريقة، التى كان يقوم بها بالسخرية من نفسه نتيجة لذلك.

---

(١) ينطق — Pronounce

(٢) كتاب مرجعى — Text book

(٣) مقال متخصص فى حقل ضيق من المعرفة — Monograph

من الأشياء الجديرة بالملاحظة أيضا، كيف كان يحتفظ باهتمامه تجاه المواضيع التى قام بالعمل عليها من قبل. وقد كان هذا هو الحال بشكل لافت للنظر، بالنسبة لعلم طبقات الأرض. وقام فى أحد خطاباته إلى "السيد چود" .Mr Judd، بالإلحاح عليه أن يأتى لزيارته، قائلا إنه منذ وفاة "لايل" أصبح من النادر له على الإطلاق، الانغماس فى محادثة چيولوچية. وقد قامت ملاحظاته التى قام بها، قبل بضع سنوات فقط من وفاته، حول الحصى[١] العمودى[٢] الموجود فى الركام المجروف[٣] عند "ساوثهامبتون" Southampton، وتم تناولها فى خطاب إلى "السيد چيكى" Mr. Geikie، بتقديم حالة أخرى. وقد قام مرة أخرى– فى خطابات إلى "الدكتور دوهرن" Dr. Dohrn– بإظهار أن اهتمامه بالبرنقيلات[٤] لا يزال حيا. وأعتقد أن ذلك كله يرجع، إلى حيوية ومثابرة ذهنه – وهى خاصية سمعته يتحدث عنها، كما لو كان يشعر أنه موهوب من جهتها بشكل قوى. ولم يكن ذلك راجعا لأنه كان معتادا على استخدام أى عبارات على هذه الشاكلة عن نفسه، ولكن كان من شأنه أن يقول، إن لديه القدرة على الإبقاء على أى موضوع أو تساؤل، أمام عينيه بشكل ما، لعدد كبير من السنين. ويظهر مدى امتلاكه لتلك القدرة عندما نضع فى الاعتبار، عدد المعضلات المختلفة التى قام بحلها، والفترة المبكرة التى بدأت فيها بعض تلك المعضلات، فى شغل باله.

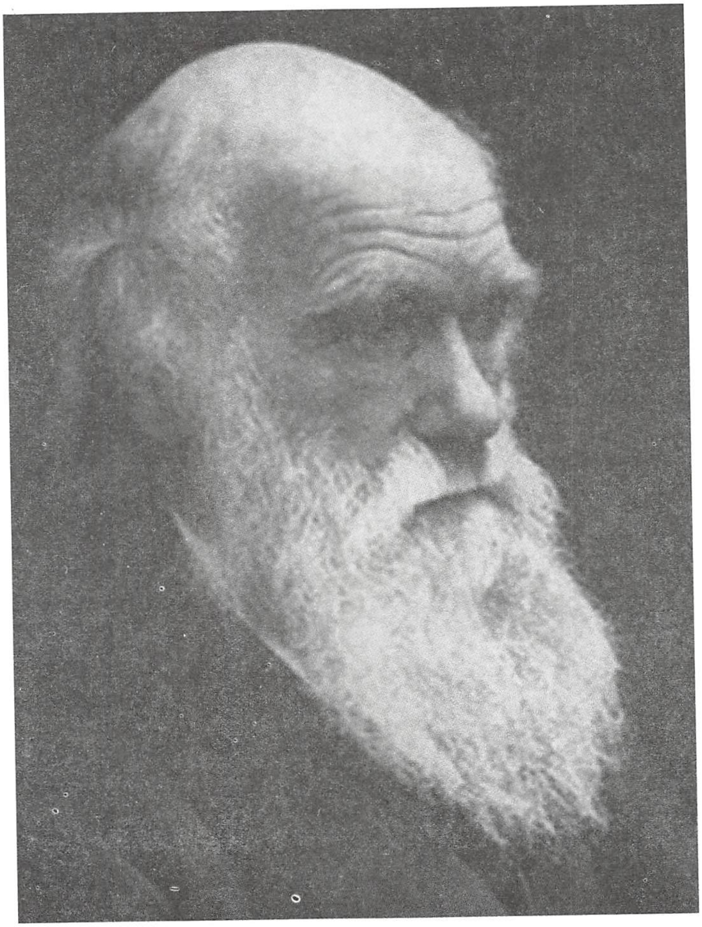
---

(١) حصى — Pebbles

(٢) عمودى — Upright

(٣) الركام المجروف — Drift

(٤) البرنقيلات: حيوانات بحرية قشرية تعلق بالصخور من رتبة هدابيات الأقدام — Barnacles



لوحة (٥١)

تشارلس فى شيخوخته

لقد كانت علامة مؤكدة على أنه معتل، عندما يتكاسل، فى أى من الأوقات المخالفة لساعات راحته المنتظمة، حيث لم يكن هناك انتهاك لنظام حياته، طوال المدة التى يكون فيها صحيحا بشكل معتدل. وكانت أيام الأسبوع، وأيام الآحاد، تمر متشابهة، وكل منها محتفظ بالفترات المحددة للعمل والراحة. ومن المستحيل تقريبا لأى شخص- باستثناء هؤلاء الذين كانوا يراقبون حياته اليومية- أن يتبين مدى ضرورة الوتيرة[١] المنتظمة، التى قمت بتصويرها، لإبقائه فى حالة جيدة، ومدى المعاناة والصعوبة التى كانت تتم بها المحاولة لإنجاز أى شىء يتعدى ذلك. وكان أى لقاء عام له، حتى أكثرها تواضعا، يمثل مجهودا بالنسبة له. فقد قام فى عام ١٨٧١، بالذهاب إلى كنيسة قرية صغيرة، من أجل زواج ابنته الكبرى، لكنه استطاع بالكاد، تحمل التعب الناتج عن تواجده، على مدى الاحتفال القصير الذى تم. ومن الممكن أن يقال نفس الشيء، عن المناسبات القليلة الأخرى، التى تواجد فيها فى الاحتفالات المماثلة.

أتذكر رؤيته منذ سنوات طويلة ماضية، فى احتفال بتعميد طفل، وهى ذكرى ظلت تلازمنى، حيث إنها بدت لنا ونحن أطفال، على أساس أنها حدث خارجٌ عن المعتاد وغير طبيعى. وأتذكر بوضوح منظره فى جنازة أخيه "إراسموس"، عند وقوفه أثناء تناثر الجليد، وهو متدثر بعباءة جنائزية[٢] طويلة سوداء، بمظهر وقور واستغراق حالم[٣] حزين.

عندما عاد- بعد مرور فاصلة تقدر بالكثير من السنين- إلى حضور اجتماعات "الجمعية اللينيائية" Linnean، تم الشعور بأن ذلك، كان في الحقيقة، شيئا يمثل مهمة خطيرة، لا يمكن الإقدام على اتخاذ قرار بها، بدون الكثير من المخاوف، ومن الصعب القيام بتنفيذها، بدون تحمل الكثير من المعاناة التالية لذلك.

---

(١) وتيرة Routine

(٢) جنازة = مأتم Funeral

(٣) استغراق حالم Reverie

وبنفس الطريقة حضر حفلة إفطار، أقيمت عند "السير چيمس باچيت Sir Hames Paget، مع بعض الضيوف المتميزين للمؤتمر الطبى (فى عام ١٨٨١)، بالتسبب فى إجهاد شديد له.

كان الصباح الباكر هو الوقت الوحيد، الذى يستطيع فيه القيام بأى مجهود من أى نوع، مع الإفلات النسبى من العقوبة. وبذلك كان من المفضل عنده، القيام بزيارة أصدقائه العلميين فى "لندن"، فى وقت مبكر مثل العاشرة صباحًا. ونتيجة لنفس السبب، كان يبدأ رحلاته، بواسطة أكثر قطار مبكر ممكن، وكان معتادا الوصول إلى منازل أقاربه الموجودين فى "لندن"، عندما يكونون على وشك ابتداء يومهم.

كان يقوم بالاحتفاظ بسجل يوميات دقيق، خاص بالأيام التى كان يعمل فيها، وتلك التى كان اعتلال صحته، يمنعه فيها من العمل، لكى يكون من الممكن له، تحديد عدد الأيام التى كانت خاملة فى أى سنة مطلوبة. وكان هذا السجل اليومى، عبارة عن مفكرة[١] صفراء صغيرة، كانت تترك مفتوحة على رف المدفأة[٢]، مرتكزة على المفكرات الخاصة بالسنوات السابقة - وكان يقوم أيضا بتسجيل اليوم الذى يبدأ فيه أى رحلة،وذلك الخاص بعودته.

كانت أكثر رحلاته تكرارا، عبارة عن زيارات لمدة أسبوع إلى "لندن"، وذلك إما إلى منزل أخيه (٦ شارع "الملكة آن" Queen Anne Street)، وإما إلى منزل ابنته (٤ شارع بريانستون Bryanston). وكان يتم فى العادة إغراؤه عن طريق والدتى، بالقيام بتلك الزيارات القصيرة، عندما يكون قد أصبح من الواضح نتيجة لتكرار "الأيام السيئة"، أو نتيجة للدوار[٣] الذى يصيب رأسه، أنه تعدى طاقته

(١) مفكرة = دفتر يوميات Diary
(٢) رف المدفأة Mantel - piece
(٣) دوار Swimming

فى العمل[١]. وكان يقوم بالذهاب وهو غير مرحب بذلك، ويحاول عقد الصفقات الشديدة معها، مشترطا- على سبيل المثال- أن من شأنه أن يعود بعد خمسة أيام بدلا من ستة. وكان لابد من البدء فى حزم الأمتعة حتى لو كانت مغادرة المنزل لا تتعدى أكثر من أسبوع واحد، فى وقت مبكر من اليوم السابق، وكان يقوم بنفسه بالجزء الرئيسى منه. وكانت المشقة التى تتسبب فيها الرحلة على الأقل مؤخرا، ترتكز بشكل رئيسى فى التوقع[٢]، وفى الشعور البائس الذى يقوم بغمره، والذى كان يعانى منه قبل بدء الرحلة مباشرة. بينما تقوم رحلة طويلة المدة إلى حد ما، مثل تلك التى قام بها إلى "كونيستون" Coniston، بإجهاده بمقدار قليل بشكل مثير للدهشة، عند الوضع فى الاعتبار، مدى العجز الذى كان يعانى منه، وقد استمتع بها بالتأكيد، وبطريقة صبيانية تقريبا، وإلى حد غريب.

ورغم أنه قال، إن البعض من تذوقاته الجمالية[٣] قد عانت من الاضمحلال التدريجى، فإن ولعه بالمناظر الطبيعية ظل يانعا وقويا. وكانت كل مسيرة له فى "كونيستون" تمثل بهجة جديدة، ولم يشعر بالتعب على الإطلاق من الإطراء على جمال الريف شديد التحدر[٤] المتقطع بالتلال، الموجود عند رأس البحيرة[٥].

كانت واحدة من الذكريات[٦] السعيدة الخاصة بذلك الوقت (عام ١٨٧٩)، زيارة باعثة على البهجة إلى "جراسمير" Grasmere : "اليوم المثالى" كما كتبت أختى، "لقد استطاع الاستمتاع الشديد والفيض الروحى لوالدى، أن يقوما بتشكيل صورة فى ذهنى، أحب أن أقوم بالتفكير فيها. فقد كان من النادر أن يستطيع البقاء بدون حركة فى العربة أثناء دورانها، وكان يقوم بالنهوض والإعجاب بالمنظر من

---

(١) يتعدى الطاقة فى العمل * Overwork

(٢) التوقع Anticipation

(٣) التذوقات الجمالية Aesthetic tastes

(٤) شديد التحدر = كثير التلال Hilly

(٥) بحيرة Lake

(٦) ذكريات Memories

كل نقطة جديدة، وظل حتى أثناء العودة ممتلئا بجمال "مياه رايدال" Rydal Water، رغم أنه لم يكن يسمح بقول، أن "جراسمير". تتساوى على الإطلاق، مع "كونستون" المحبوبة له.

بجانب تلك الرحلات الطويلة، كانت هناك زيارات أقصر مدة لمختلف الأقارب مثل منزل زوج أخته، بالقرب من "تل ليث" Leith Hill، وإلى ابنه بالقرب من "ساوثهامـــبتون" Southampton. وكان يشعر دائما بالاستمتاع بشكل خاص من التجوال[١] على الأرض المفتوحة الخشنة، مثل الأراضى المشاع[٢] بالقرب "تل ليث" و"ساوثهامــبتون"، والأراضى البور[٣] المغطاة بنبات الخلنج[٤]، التابعة لـــ"غابة أشداون" Ashdown Forest، أو "الأرض الوعرة" Rough بالقرب من منزل صديقه "السير ثوماس فارير" Sir Thomas Farrer. ولم يكن خاملا على الإطلاق، حتى وهو فى تلك الرحلات، وكان يعثر على أشياء يقوم بمراقبتها. فقد قام فى "هارتفيلد" Hartfield، بمراقبة نبات ورد الشمس[٥] وهو يقوم بالإمساك بالحشرات وخلافها، وقام فى "توركى" Torquay، بمراقبة تلقيح إحدى السحلبيات[٦] (الزهرة المستدقة)[٧]، وقام باكتشاف علاقات الشقين الجنسيين[٨]، فى نبات الزعتر[٩].

---

(١) يتجول — Ramble
(٢) الأراضى المشاع — Commons
(٣) الأراضى البور — Wastes
(٤) نبات الخلنج — Heath
(٥) نبات ورد الشمس = الدروسيرا — Drosera
(٦) السحلبيات — Orchids
(٧) الزهرة المستدقة * — Spiranthes
(٨) الشقان الجنسيان * — Sexes
(٩) نبات الزعتر = الصعتر = الريحان = من الفصيلة الشفوية — Thyme

كان يشعر دائما بالفرح الشديد للرجوع إلى المنزل، بعد انتهاء رحلاته، وكان يستمتع بشكل كبير بالترحاب، الذى يلقاه من كلبته "بولى"، التى كان من شأنها أن تصبح جامحة(١) من فرط الإثارة، وتلهث(٢)، وتصرخ بصوت حاد(٣)، وتندفع بسرعة فى كل مكان فى الغرفة، وتقفز على ومن فوق الكراسى، وكان معتادا أن يقوم بالانحناء منخفضا، ضاغطا وجهها إلى وجهه، ويتركها تلعقه، ويتحدث إليها بصوت رقيق ملاطف فريد.

كان لدى والدى القدرة على منح تلك الرحلات الصيفية سحرا، كان يتم الشعور به بقوة، عن طريق جميع أفراد العائلة. فقد كان ضغط العمل فى المنزل، يبقيه على أقصى حد من قدراته على الاحتمال، وعندما يتحرر منه، كان يقدم على رحلاته باستمتاع شبابى، كان يجعل صحبته شيئا ممتعا، وكنا نشعر أننا رأينا منه على مدى أسبوع من الرحلة، أكثر مما نراه منه على مدى شهر فى المنزل.

إلا أن بعضا من تلك التغيبات عن المنزل، كان له تأثير مثبط عليه، حيث يبدو عندما يكون مثقلا بشكل كبير بالعمل قبلها، كما لو كان من شأن الغياب للتوتر(٤) المعتاد، أن يسمح له بالسقوط فى حالة معينة، من اعتلال الصحة.

كانت هناك بجانب الرحلات التى قمت بذكرها، زياراته إلى مؤسسات الاستشفاء بالمياه. فقد تم حثه فى عام ١٨٤٩، عندما كان مريضا جدا، ويعانى من دوار(٥) مستمر، عن طريق أحد الأصدقاء، إلى تجربة الشفاء المائى، وقد وافق فى آخر الأمر، على الذهاب إلى مؤسسة "الدكتور جالى" Dr. Gully فى "مالـــڤيرن" Malvern. وتوضح خطاباته الموجهة إلى "السيد فوكس" Mr. Fox، مدى التأثير

---

(١) جامح Wild

(٢) يلهث Pant

(٣) يصرخ بصوت حاد Squeak

(٤) توتر Strain

(٥) دوار Sickness

الجيد للعلاج عليه، ويبدو أنه ظن أنه عثر على شفاء من متاعبه، ولكن- مثل جميع سبل العلاج[١] الأخرى- كان لها تأثير عابر فقط. إلا أنه وجد فى أول الأمر، أنه جيد جدا له، إلى درجة أنه عندما عاد إلى المنزل، شيد لنفسه حمام منضحة[٢]، وتعلم رئيس الخدم[٣]، أن يكون رجل الحمام[٤] الخاص به.

قام بالعديد من الزيارات إلى "موربارك" Moor Park، ومؤسسة "الدكتور لان" Dr. Lane للمعالجة بالمياه، الموجودة فى "سارى" Surrey، فى موقع ليس بعيدًا عن "ألدرشوت" Aldershot. وكانت تلك الزيارات مرضية، وكان يقوم دائمًا بتذكرها بسرور. وقد قام "الدكتور لان" بتقديم استرجاعاته الخاصة بوالدى، فى "محاضرة حول تشارلس داروين"، بواسطة "دكتور ريتشاردسون"Dr. Richardson، فى ٢٢ أكتوبر ١٨٨٢، التى أقتبس منها:-

"لقد كان محاطا بالطبع، "فى مؤسسة عامة مثل تلك الخاصة بى، بأنماط عديدة التنوع[٥] من الطباع، وبأشخاص من كلّ من الشقين الجنسيين، غالبيتهم مختلفون عنه بشكل كبير - وبالاختصار، كانوا أشخاصا شائعين، مثل الأغلبية الموجودة فى كل مكان، لكن المماثلين له على الأقل، كانوا رفاق إنسانية ورفقاء مرض. ولم يحدث على الإطلاق أن كان أى واحد منهم أكثر لطفا[٦]، أو أكثر توددا، أو أكثر سحرا بمعنى الكلمة، عما كان عليه هو شخصيا بشكل عام" ... "ولم يهدف على الإطلاق، كما يحدث فى كثير من الأحيان مع المتحدثين، إلى احتكار[٧] المحادثة. وكان سروره مستمدا من العطاء بدلا من الأخذ، وكان مستمعا جيدا بقدر

---

(١) وسيلة علاج Remedy
(٢) حمام منضحة Douche-bath
(٣) رئيس الخدم Butler
(٤) رجل الحمام Bathman
(٥) عديد التنوع Multifarious
(٦) لطف Genial
(٧) يحتكر Monopolise

ما هو متحدث جيد. ولم يقم على الإطلاق بإلقاء العظات[١] ولا الخطب[٢]، لكن حديثه- سواء بشكل وقور أو شكل هزلى (وقد كان ذلك يتم عندما يحين دوره)- كان مليئا بالحياة والملح، وكان سريعا، ومشرقا، ومليئا بالحيوية".

من الممكن القيام بجمع فكرة عامة عن علاقته بعائلته وأصدقائه، مما سبق سرده، ولعله من المستحيل محاولة الوصول إلى تقرير كامل عن تلك العلاقات، لكن تخطيطًا كفافيا أكثر امتلاء بشكل بسيط، قد لا يكون شيئا مستبعدا. فلا أستطيع الحديث بالنسبة إلى حياته الزوجية، إلا بأكثر طريقة مختصرة. فقد كان يتم إظهار طبيعته الرقيقة والمتعاطفة فى علاقته تجاه والدتى، فى أكثر السيماء جمالا. وكان يجد سعادته فى تواجدها، وأصبحت من خلالها حياته، التى كان من الممكن أن تكون مظللة بالكآبة، مفعمة بالقناعة والبهجة الهادئة.

قام كتاب "التعبير عن الانفعالات" Expression of Emotions، بإظهار كيف كان يقوم بمراقبة أطفاله بشكل حميم، وكانت من الأشياء المميزة له (كما سمعته يقول)، إنه كان رغم تلهفه على المراقبة بشكل دقيق، للتعبير الخاص بطفل يبكى، إلا أن تعاطفه مع الأسى، كان يقوم بإفساد مراقبته. ويوضح دفتر ملحوظاته- الذى كان يقوم فيه بتسجيل أقوال أطفاله الصغار- السرور الذى كان يستمده منهم. ويبدو أنه كان لا يزال يحتفظ بنوع من الذكرى المفعمة بالندم عن أيام الطفولة، التى خبت أضواؤها، وبناء على ذلك، قام فى "الاسترجاعات" بكتابه: "عندما كنتم صغارا جدًا فى العمر، كان مثار بهجتى أن ألهو معكم جميعًا، وأعتقد أن ذلك كان يتم بتحسر[٣]، بأن مثل تلك الأيام، لا يمكن أن تعود مرة أخرى".

---

(١) يعظ Preach

(٢) يخطب (نثرا) Prose

(٣) تحسر Sigh

من الممكن لى أن أقوم بالاقتباس، على أساس التوضيح لرقة طبيعته، لبعض الجمل المأخوذة عن تقرير خاص بابنته الصغيرة "آنى" Annie، تمت كتابتها بعد مرور بضعة أيام على وفاتها:-

"ولدت ابنتنا المسكينة "آنى" فى "شارع جوار" Gower street، فى ٢ مارس ١٨٤١، وانقضى أجلها(١) فى "مالـڤيرن" Malvern، فى منتصف نهار ٢٣ إبريل ١٨٥١".

"وأنا أقوم بكتابة هذه الصفحات القليلة، لأننى أفكر فى السنوات القادمة، فإذا كان لنا أن نعيش، فسوف تقوم الانطباعات التى يتم وضعها الآن، بالاستدعاء بشكل أكثر حيوية، لمميزاتها الرئيسية. حيث تتمثل السمة الرئيسية فى مزاجها التى تنبثق على الفور أمامى، من أى نقطة أستعيد فيها النظر إليها، فى مرحها الطافى(٢) الممزوج(٣) باثنين من المميزات الأخرى، وهما بالتحديد. حساسيتها التى من الممكن بسهولة إغفالها عن طريق أى شخص غريب، وحنانها الشديد. وكان مرحها وحيوية الشباب يشعان من سيمائها بأكملها، وكانت تجعل كل حركة لها، مرنة ومليئة بالحياة والنشاط. وكان من الممتع والمبهج التطلع(٤) إليها. ويقوم وجهها العزيز الآن بالانبثاق أمامى، حيث كانت معتادة فى بعض الأحيان، المجيء متسارعة أثناء هبوطها درجات السلم، ومعها قبصة مختلسة من السعوط لتقديمها إلىَّ، وكان مظهرها بأكمله يشع بالسرور، لقيامها بمنح السرور وعندما كان مرحها يتعدى تقريبا إلى الاسترسال فى الصخب(٥)، أثناء لهوها مع أبناء عمومتها فان لمحة واحدة من عينى، حتى لو لم تكن خاصة بالاستياء(٦) (وذلك لأننى أحمد الله، على أننى لم ألق مثل تلك النظرة عليها)، ولكن تلك المفتقدة للتعاطف، كان من شأنها أن تقوم بتغيير قسماتها بأكملها لبضع دقائق.

---

(١) ينقضى الأجل * Expire
(٢) طافى Buoyant
(٣) ممزوج Tempered
(٤) يتطلع = ينظر Behold
(٥) الصخب Boisterousness
(٦) الاستياء Displeasure



لوحة (٥٢)
"آنى" ابنة "تشارلس داروين"
التى توفيت فى عام ١٨٥١

كانت "النقطة الأخرى الموجودة فى طابعها- والتى قامت بجعل مرحها ومعنوياتها غاية فى الإمتاع- تتمثل فى حنانها الشديد، والذى كان ذا طبيعة تشبثية وتربيتية إلى أقصى حد. وقد قام ذلك بإظهار نفسه عندما كانت طفلة رضيعة، فى صورة أنها لم تكن ترتاح بدون القيام بلمس والدتها، عندما تكون فى الفراش معها، وكان من شأنها مؤخرا، عندما تكون متوعكة[١]، أن تقوم بمداعبة إحدى أذرع أمها لمدة زمنية ما. ويبدو عندما تكون معتلة جدا، أن رقاد أمها بجوارها، كان يقوم بتسكينها بطريقة مختلفة تماما، عما يمكن لذلك أن يفعله، مع أى طفل آخر من أطفالنا. وكذلك كان الأمر معى، حيث كان من شأنها فى أى وقت تقريبا، أن تقوم بقضاء نصف ساعة، فى ترتيب شعر رأسي، وتسمى ذلك "لتجعله جميلا"، أو تقوم العزيزة المسكينة، بتسوية ياقاتى وأكمامى - وبالاختصار، فى ملامستى.

لقد كانت بجانب مزاجها المرح بهذا الشكل، ودودة[٢]، وصريحة[٣]، ومتفتحة[٤]، وواضحة، وطبيعية، وبدون أى ظل من التحفظ[٥]. وكان ذهنها بأكمله نقيا وشفافا. وكان أى شخص يشعر أنه يعرفها بشكل شامل، وأنه يستطيع الوثوق بها. وكنت دائما أفكر، أنه قد يكون من المقدر لنا، أن يكون لدينا فى عمرنا المتقدم، روح محبة واحدة على الأقل، والتى لا يمكن أن يقوم أى شىء بتغييرها. وقد كانت جميع حركاتها مملوءة بالحيوية والنشاط، وعادة ما يكون ذلك بشكل رشيق. وعندما كانت تقوم بالتجول معى حول الممشى الرملى، رغم قيامى بالسير بسرعة، فإنها كثيرا ما كانت تسبقنى، حاجلة على قدم واحدة[٦]، بطريقة رشيقة إلى أقصى حد، وفمها مشرق طوال الوقت، بأعذب الابتسامات. وكانت لديها أحيانا

---

(١) متوعك Poorly

(٢) ودود Cordial

(٣) صريح Frank

(٤) متفتح Open

(٥) التحفظ Reserve

(٦) يحجل بقدم واحدة * Pirouetting

طريقة دلال جميلة تجاهى، مازالت ذكراها ساحرة. وكانت تقوم فى كثير من الأحيان، باستخدام لغة مبالغ فيها، وعندما كنت أقوم بممازحتها[1] عن طريق المبالغة فيما قالته، فاننى أرى الآن بوضوح تام، الرفعة الصغيرة للرأس، وهتافها "أوه، يا والدى، عليك أن تشعر بالخجل ". كانت تصرفتها أثناء المرض الأخير القصير الأمد، فى الحقيقة ملائكية[2].حيث لم تشك ولو مرة واحدة، ولم تصبح نكدة الطباع[3] على الإطلاق، وكان لديها مراعاة للآخرين، وكانت شاكرة بأكثر الطرق رقة ومثيرة للشفقة، لكل شيء يتم القيام به من أجلها. وعندما أصبحت منهكة بدرجة جعلت من الصعب عليها أن تتكلم، كانت تقوم بامتداح كل شيء، يتم تقديمه إليها، وقالت عن إحدى وجبات الشاى، أنها "كانت جيدة بشكل جميل". وعندما قمت بإعطائها بعض الماء قالت "أشكرك بشدة"، وأعتقد أن تلك قد كانت الكلمات الأخيرة الثمينة، التى تم توجيهها إلىَّ على الإطلاق، من شفتيها العزيزتين.

"لقد فقدنا البهجة الموجودة فى المنزل، وسلوان تقدمنا فى العمر. ولابد أنها كانت تعلم مدى الحب الذى نكنه لها. وياليتها تستطيع أن تعلم الآن، كيف أننا مازلنا وسوف نظل إلى الأبد، نشعر بالحب العميق والرقيق لوجهها العزيز البهيج! فلتحل عليها البركات!. ٣٠ إبريل ١٨٥١.

قمنا جميعنا كأطفال له، باستمداد السرور بشكل خاص، من الألعاب التى كان يقوم بها معنا، لكننى لا أعتقد أنه كان يقوم بالتهريج[4] كثيرا معنا، وأعتقد أن صحته منعته من أى لعب خشن. وكان يقوم فى بعض الأحيان بسرد القصص علينا، وهو الشيء الذى كان يعتبر شيئا ممتعا بشكل خاص، وكان ذلك جزئيا بناء على ندرة حدوثه.

---

(١) يمازح = يمتحن — Quiz
(٢) ملائكى — Angelic
(٣) نكد الطباع — Fretful
(٤) يهرج = يصخب — Romp

تتضح الطريقة التى اتبعها فى تنشئتنا، عن طريق قصة صغيرة تدور حول أخى "ليونارد" Leonard، والتى كان والدى مغرما بسردها. فإنه حضر إلى غرفة المعيشة ووجد "ليونارد" يتراقص فوق الأريكة، وهو ما كان ممنوعا، من أجل المحافظة على اليايات[١]، وقال "أوه يا لينى، لينى، هذا ضد جميع القواعد"، وتلقى كرد لذلك "إذن، أعتقد أنه من الأفضل لك أن تخرج من الغرفة". ولا أصدق أنه فاه بأى كلمة غاضبة لأى من أطفاله فى حياته، لكننى متأكد من أنه لم يتطرق إلى أذهاننا على الإطلاق ألا نطيعه. وأتذكر جيدًا إحدى المناسبات، التى قام فيها والدى بتأنيبى[٢] لشىء من الإهمال، ومازلت أسترجع الشعور بالكئابة الذى حل علىَّ، والعناية التى قام باتخاذها لتشتيت ذلك، عن طريق التحدث معى بعد ذلك بقليل، بشكل رقيق خاص. وقد ظل يحتفظ بطريقته المبهجة والحنونة تجاهنا طوال حياته. وأتعجب فى بعض الأحيان من استطاعته القيام بذلك، رغم انتسابه لعرق متحفظ[٣] على شاكلتنا، ولكننى ارجو أن يكون قد علم، بمدى استمتاعنا بكلماته وأسلوبه، اللذين ينمان عن الحب. وكم من المرات- بعدما أصبحت رجلا- وددت عندما كان أبى يقف خلف الكرسى الذى أجلس عليه، أن يكون من شأنه القيام بتمرير يده فوق شعرى، كما كان يفعل عندما كنت صبيا. وقد سمح لأطفاله البالغين بالضحك معه وعليه، وكان بشكل عام على علاقات متبادلة[٤] تسودها المساواة[٥] الكاملة معنا.

---

(١) ياى = زنبرك — Spring
(٢) يؤنب = يوبخ — Reprove
(٣) متحفظ (فى التعبير عن المشاعر والعواطف) — Undemonstrative
(٤) علاقات متبادلة — Terms
(٥) مساواة — Equality



لوحة (٥٣)
تشارلس داروين مع أحد أبنائه

كان شديد الاهتمام بشكل دائم، بخطط وإنجازات كل واحد منا. وكنا معتادين السخرية منه، ونقول إنه لا يثق فى أولاده، لوجود القليل من الشك لديه، حول قيامهم بشيء من العمل، الذى لم يكن يشعر بالثقة فى أن لديهم علمًا كافيًا به. وعلى الجانب الآخر، فإنه كان يميل بشكل كبير، إلى أخذ وجهة نظر محابية لما كنا نقوم به. وعندما كنت أظن أنه قام بوضع قيمة غاية فى الارتفاع، على أى شيء قمت به، فإنه كان معتادا إظهار سخطه، وكان يميل إلى الانفجار فى غضب مصطنع. وقد كانت شكوكه جزءا من تواضعه، فيما يتعلق بأى شيء مرتبط به شخصيا بأى طريقة، وكانت آراؤه المحابية لأعمالنا، ناتجة عن طبيعته المتعاطفة، التى جعلته متساهلا(١) مع كل شخص.

كان يحافظ دائمًا على التعبير لأطفاله بأسلوبه الممتع،عن تشكراته، ولم أقم على الإطلاق بتحرير خطاب، أو قراءة صفحة بصوت مرتفع له، بدون أن أتلقى بعضا من الكلمات الرقيقة، بالاعتراف بالجميل. وكان حبه وحنانه تجاه حفيده الصغير "برنارد" Bernard عظيما، وكثيرا ما كان يتحدث عن السرور الذى يشعر به عند رؤيته "لوجهه الضئيل فى مواجهته، أثناء تناول الغداء. وكان يقوم هو و"برنارد" بمقارنة أذواقهما، مثل التفضيل للسكر البنى على الأبيض، وما إلى ذلك، وكانت النتيجة "نحن نتفق دائما، أليس كذلك؟".

وقد كتبت شقيقتى التالى:

تتمثل "ذكرياتى الأولى لوالدى، فى الاستمتاع بلهوه معنا. فقد كان متعلقا بشكل عاطفى جدا بأطفاله، رغم أنه لم يكن من المحبين للأطفال بدون تمييز. وكان بالنسبة لجميعنا، أكثر زملاء اللهو إمتاعا، وأفضل متعاطف على الإطلاق. ومن المستحيل بالفعل، القيام بالوصف بشكل كاف، كيف كانت علاقته مبهجة لعائلته، سواء عندما كانوا أطفالا، أو فى المراحل المتأخرة من حياتهم".

---

(١) متساهل Lenient

"لقد حاول أحد أبنائه- كدليل على شروط العلاقات المتبادلة التى كنا عليها، وأيضا على مدى تقدير قيمته كزميل لهو، عندما كان فى حوالى الرابعة من العمر- القيام بإعطائه ست بنسات كرشوة، لكى يأتى ويلهو معه فى أوقات العمل. وكنا جميعا على علم بقدسية[١] وقت العمل، ولكن كان يبدو من المستحيل أن يستطيع شخص مقاومة إغراء ست بنسات".

"لابد أنه كان أكثر القائمين بالتمريض صبرا وبعثا على البهجة. وأتذكر ما بدا ملاذ[٢] سلام وراحة لى، عندما كنت معتلة، وعندما كان يتم تدثرى على أريكة غرفة المكتب، وأنا أقوم بشكل متراخٍ، بالتطلع إلى الخريطة الـــجيولوجية القديمة، المعلقة على الحائط. ولابد أن ذلك كان أثناء وقت عمله، لأننى أتصوره دائمًا، وهو جالس على الكرسى ذى الذراعين من شعر الجياد، بجوار ركن المدفأة.

"كانت هناك علاقة أخرى تدل على صبره غير المحدود، تتمثل فى الطريقة التى كان علينا تحملها، أثناء القيام بشن غارات[٣]، للدخول إلى غرفة المكتب، عندما نكون فى حاجة ملحة، للحصول على شريط لاصق[٤]، أو خيط[٥]، أو دبابيس[٦]، أو مقص[٧]، أو طوابع[٨]، أو مسطرة قدمية الطول[٩]، أو مطرقة[١٠]. وكانت تلك الأشياء والضروريات المماثلة الأخرى، موجودة دائما فى غرفة المكتب، وكانت المكان الوحيد، الذى من المؤكد وجودها فيه. وكنا نشعر أنه من

---

(١) قدسية Sacredness
(٢) ملاذ Haven
(٣) يشن غارة Raid
(٤) شريط لاصق * Sticking - plaster
(٥) خيط String
(٦) دبوس Pin
(٧) مقص Scissors
(٨) طابع (بريد) Stamp
(٩) مسطرة قدمية الطول * Foot-rule
(١٠) مطرقة = شاكوش Hammer

الخطأ الذهاب إليها، أثناء وقت العمل، ومع ذلك، فعندما كانت الضرورة ملحة، فإننا كنا نقوم بذلك. وأتذكر نظرته الصبورة، عندما قال فى إحدى المرات: "لا تظنى أنك لا تستطيعين الدخول مرة أخرى، لقد تمت مقاطعتى فى أحيان كثيرة جدا من قبل". وقد كنا نخاف من الدخول من أجل الحصول على شريط لاصق، لأنه كان لا يحب أن يرى أننا قمنا بجرح أنفسنا، سواء كان ذلك من جهتنا، أو بناء على حساسيته المفرطة، تجاه الرؤية للدم. وأتذكر جيدا بقائى مترصدة فى الممر، إلى أن يصبح على مسافة آمنة، ثم القيام بعد ذلك، بالتلصص طلبا للشريط اللاصق".

"يبدو لى أن الحياة، عندما أعود إلى استرجاع النظر إليها، كانت منتظمة جدا فى تلك الأيام المبكرة، ولا أعتقد باستثناء الأقارب (والبعض القليل من الأصدقاء المقربين)، أن أى شخص كان يأتى إلى المنزل. وكنا أحرارا بعد انتهاء الدروس، فى الذهاب أينما شئنا، وكان ذلك بشكل رئيسى، إلى غرفة الجلوس وفى حدود الحديقة، وبذلك فإننا كنا بشكل كبير جدا، بصحبة كلٍّ من والدى ووالدتى. وكنا نعتبر أن من أكثر الأشياء إمتاعا، أن يقوم بالسرد علينا، لأى قصص تدور حول "البيجل"، أو حول أيام "شروزبرى" المبكرة - والتفاصيل الصغيرة حول حياة المدرسة وتذوقاته الصبيانية. وكان يقوم فى بعض الأحيان أيضا، بالقراءة بصوت مرتفع لأطفاله، كتبا مثل روايات "سكوت" Scoot، وأتذكر القليل من المحاضرات الصغيرة حول المحرك البخارى(١).

"كنت مريضة بشكل او بآخر فى غضون السنوات الخمس، ما بين سن الثالثة عشرة والثامنة عشرة من عمرى، وكان معتادا لزمن طويل (سنوات كما يبدو لى)، على لعب جولتين من لعبة الطاولة معى بعد كل ظهيرة. وقد كان يقوم بلعبهما بأعلى روح معنوية ممكنة، وأتذكر أننا كنا معتادين فى وقت من الأوقات، الاحتفاظ بسجل للجولات، وبما أن هذا السجل كان فى صالحه، فإننا قمنا بالاحتفاظ

---

(١) المحرك البخارى Steam - engine

بقائمة من أرقام النرد المزدوجة، التى يلقيها كل منا، لأننى كنت مقتنعة، بأنه كان يقوم بإلقاء النرد، بطريقة أفضل منى".

"كان صبره وتعاطفه بدون حدود، وكنت أشعر أثناء تلك النوبات المرضية المرهقة، وفى بعض الأحيان، عندما كنت أشعر بالتعاسة إلى أقصى حد، أن تعاطفه، يصل إلى حد المبالغة فى الشدة. وعندما كنت فى أسوأ حالاتى، كنا نذهب إلى منزل عمتى فى "هارتفيلد" Hartfield بـ "ساسكس" Sussex، وبمجرد أن يتم الانتقال بسلامة، كان يذهب إلى "مور بارك" moor Park، لقضاء أسبوعين من الاستشفاء بالمياه. وأسترجع الآن كيف كنت عند عودته، لا أطيق انتظار دخوله إلى غرفتى، وكان تعبير التعاطف والانفعال(١) الرقيق الموجود على وجهه، غاية فى تحريك المشاعر، وكان يتجدد بعد عودته من غيابه القصير".

"كان يقوم بالاهتمام بجميع مساعينا(٢) واهتماماتنا(٣)، وكان يشاركنا حياتنا، بطريقة يقوم بها العدد القليل جدا من الآباء. ولكننى متأكدة من أن أيًا منا لم يشعر، أن هذه الحميمية لها أى دخل على الإطلاق، باحترامنا وطاعتنا له. وكان أى شىء يقوله، هو الحقيقة التامة، والقانون بالنسبة لنا. وكان يقوم دائما بشغل ذهنه بأكمله، من أجل الإجابة على أى من تساؤلاتنا. وتجعلنى إحدى المناسبات التافهة أشعر بمدى عنايته، بما كان موضع اهتمامنا. فلم يكن لديه أى ولع بالقطط، رغم أنه كان معجبا بتصرفات القطط الصغيرة البارعة. ولكنه كان يعلم ويتذكر، جميع ما يتعلق بقططى كثيرة العدد، وكان من شأنه أن يتحدث عن سلوكيات وطباع المشهورين منهم، لسنوات طويلة بعد وفاتهم".

---

(١) انفعال Emotion

(٢) مساعى Pursuit

(٣) اهتمام Interest

" كانت السمة المميزة الأخرى، الخاصة بمعاملاته مع أطفاله، احترامه لحريتهم[١]، ولشخصيتهم[٢]. وأتذكر حتى كفتاة هادئة، الشعور بالاستمتاع الشديد فى هذا الإحساس بالحرية. وكان من شأن والدنا ووالدتنا ألا يرغبا، حتى فى معرفة ما نقوم به أو نفكر فيه، إلا إذا أردنا إخبارهما. وكانا يجعلاننا نشعر دائما، بأن كل فرد فينا كائنٌ له آراؤه وأفكاره، التى كانت ذات قيمة عالية بالنسبة له، بحيث خرج أفضل ما بداخلنا إلى ضوء الشمس فى وجوده".

" لا أظن أن إحساسه الزائد عن الحد بصفاتنا الجيدة، سواء كانت ذهنية أو أخلاقية، جعلنا مغرورين، كما كان من المحتمل أن يكون متوقعا، لكننا كنا فى الواقع، أكثر تواضعا وإقرارا بالجميل له. ولا شك أن السبب كان يتمثل فى أن تأثير شخصيته، والإخلاص والعظمة الموجودين فى طبيعته، قد كان لهما تأثيرٌ أعمق وأكثر دواما، عن أى إفراطات صغيرة، كان من الممكن أن يسببه لخيلائنا ثناؤه أو إعجابه ".

لقد كان كرأس للإطار المنزلى، محبوبا ومحترما بشكل كبير، وكان دائما ما يتحدث مع الخدم بطريقة مؤدبة، مستخدما تعبيرات مثل "هل من الممكن أن تتكرم" فى طلبه لأى شيء. وكان من النادر جدا أن يشعر بالغضب من الخدم، ومما يوضح مدى ندرة حدوث ذلك، أننى عندما كنت صبيا صغيرا، تطرق إلى سمعى توبيخٌ لخادم، وكان والدى يتكلم بشكل غاضب، وترك ذلك انطباعا عندى، على أساس أنه حادث مروع[٣]، وأتذكر أننى عدوت إلى أعلى هاربا من إحساس عام بالرعب[٤]. ولم يكن يزعج نفسه، بما يدور حول الإدارة للحديقة أو الأبقار وخلافهما. وكان يعتبر الجياد من الأشياء المتعلقة به بشكل قليل، إلى درجة أنه

---

(١) الحرية — Liberty

(٢) الشخصية — Personality

(٣) مروع = مرعب — Appaling

(٤) رعب — Awe

كان يتساءل بتشكك، عما إذا كان من الممكن أن يقوم بإرسال أحد الجياد وعربة إلى "كيستون" Keyston، لإحضار نبات ورد الشمس (الدروسيرة)، أو إلى المشاتل الزراعية[١] فى "وسترهام" Westerham، طلبا للنباتات، أو ما شابه ذلك.

كان والدى حائزا على سحر غريب كمضيف، وكان وجود الزائرين مثيرا له، وكان يجعله يقوم بإظهار أفضل مميزاته. وكان يقول دائما عن "شروزبرى"، أن والده كان دائم الرغبة، فى أن تتم العناية بالضيوف بشكل مستمر، ويتحدث فى أحد الخطابات الموجهة إلى "فوكس"، عن الاستحالة لتحرير خطاب، بينما المنزل مليء بالضيوف. وأعتقد أنه كان يشعر دائما بعدم ارتياح، لعدم استطاعته القيام بشيء أكثر، للترحيب بضيوفه، ولكن النتيجة كانت ناجحة، ولتعويض أى خسارة، كان هناك الربح المتمثل، فى شعور الضيوف بأنهم أحرار تماما، فى التصرف طبقا لما يحبونه. وكان الزوار الخارجون عن المعتاد إلى أقصى حد، هم الذين يظلون من يوم السبت إلى يوم الإثنين، أما الذين كانوا يظلون لمدة أطول، فقد كانوا فى العادة الأقارب، وكان يتم اعتبارهم من الشئون الخاصة بوالدتى بشكل أكبر من أن يكون ذلك من شئونه.

كان هناك بجانب هؤلاء الزوار، أجانب وغرباء آخرون، الذين كانوا يأتون لتناول الغداء، ويرحلون بعد الظهر. وكان معتادا بضمير حى[٢] على إطلاعهم، على المسافة الشاسعة التى تفصل "داون" عن "لندن"، والمشقة التى عليهم ملاقاتها للذهاب إليها، مسلما بشكل لا واع، بأن من شأنهم أن يجدوا الرحلة شاقة[٣]، كما يحدث معه. ولكن إن لم يمنعهم ذلك، فإنه كان يقوم فى العادة بترتيب الرحلات لهم، ويخبرهم بمتى يأتون، وبشكل عملى، متى يغادرون. وقد كان من الممتع مشاهدة الطريقة، التى يشد بها على يد أى ضيف، يتم الترحيب به لأول مرة، فقد

---

(١) مشتل زراعى — Nursery

(٢) ضمير حى — Conscientious

(٣) شاق = منهك — Toilsome

كانت يده تندفع بطريقة تعطى الشخص الشعور بأنها تتسارع لمقابلة يد الضيف. وكانت يده تقوم مع الأصدقاء القدامى بالهبوط بتلويحة قلبية إلى اليد الأخرى، بطريقة كنت أشعر دائما بالارتياح لرؤيتها. وكان وداعه متميزا بشكل رئيسى، بالطريقة اللطيفة التى كان يقوم بها، أثناء وقوفه عند الباب، بشكر ضيوفه، لأنهم جاءوا لرؤيته.

كانت تلك اللقاءات على الغداء حفلات ناجحة جدا، ولم يكن هناك أى مجال للضجر(١) أو الفتور(٢) فيما يدور فيها، وكان أبى يبدو مشرقا ومستثارا، على مدى الزيارة بأكملها. وقد قام "الأستاذ دى كاندول" Prof. De Candolle بوصف إحدى الزيارات إلى "داون"، بطريقته المثيرة للإعجاب والمتعاطفة لوصف والدى [4]. وقد تكلم عن سلوكه، على أساس أنه مشابه لذلك الخاص بأى "عالم"(٣) فى "أكسفورد" Oxford أو "كامبريدج". ولا يستوقفنى ذلك على أساس أنه مقارنة جيدة تماما، فإنه كان فى استرخائه وطبيعيته يتمتع بالسلوك الخاص ببعض الجنود بشكل أكبر، وهو سلوك نابع عن الغياب التام للتظاهر(٤) أو العاطفة. ولقد كان هذا الغياب للتكلف(٥)، وكانت الطريقة الطبيعية والبسيطة، التى كان يبدأ بها الحديث إلى ضيوفه، لعرض وجهات نظرهم هى التى قامت بجعله غاية فى الجاذبية كمضيف لأى شخص غريب. وكان يبدو أن اختياره البهيج لمادة الحديث، شىء نابع من طبيعته المتعاطفة، واهتمامه المتواضع المفعم بالحيوية بأعمال الآخرين.

---

(١) ضجر Drag
(٢) فتور Flag
(٣) عالم Savant
(٤) تظاهر Pretence
(٥) تكلف Pose

أعتقد أنه تسبب لبعض الناس، فى معاناه فعلية عن طريق تواضعه، ولقد رأيت الراحل "فرانسيس بالفور" Francis Balfour يخرج عن صوابه[١] تماما، عن طريق معلومة منسوبة إليه حول نقطة ما، قام والدى بإعلان أنه يجهلها تمامًا.

من الصعب محاولة الإحاطة بشكل تام بالمميزات الخاصة بمحادثات والدى. فقد كان لديه رعب أكبر مما لدى معظم الناس، من القيام بتكرار قصصه، وكان يقول باستمرار: "لابد أنك سمعتنى أقول" أو "لقد قلت لك"، وقد كانت تلك خاصية مميزة، قامت بإضفاء تأثير غريب على محادثاته. وكان من شأن الكلمات الأولى من أى جملة، أن تقوم فى كثير من الأحيان، بتذكيره باستثناء ما، أو سبب معارض، لما كان فى سبيله إلى الإدلاء به، وكان من شأن هذا بدوره، أن يقوم باستحضار نقطة أخرى، وكان من شأن الجملة بهذا الشكل أن تصبح منظومة[٢]، مكونة من جملة اعتراضية[٣]،ضمن جملة اعتراضية، وكان من المستحيل فى كثير من الأحيان، استيعاب سياق ما كان يقوله، إلى أن يصل إلى نهاية جملته. وكان معتادا أن يقول عن نفسه، إنه لم يكن سريعا بدرجة كافية، لكى يقيم جدالا مع أى شخص، وأظن أن هذا كان صحيحا. فإن لم يكن الموضوع منصبًا على ما كان يعمل عليه فى ذلك الوقت، لم يكن فى استطاعته وضع سلسلة المجادلة، فى سياقها بسرعة كافية. وكان هذا يظهر حتى فى خطاباته، حيث لم يتذكر فى خطابين إلى "الأستاذ سيمـــبر" Prof. Semper، حول تأثير الانعزال[٤]، سلسلة الحقائق التى أراد ذكرها، إلا بعد مرور بضعة أيام، من إرسال الخطاب الأول.

كان يعانى عندما كان يرتبك أثناء الحديث، من تلعثم مميز، عند الكلمة الأولى من أى جملة. ولا أتذكر حدوث ذلك إلا مع الكلمات التى تبدأ بحرف "و =

---

(١) يخرج عن الصواب Discompose

(٢) منظومة System

(٣) جملة اعتراضية Parenthesis

(٤) الانعزال Isolation

W"، و من المحتمل أنه كان يعانى من صعوبة مع هذا الحرف، ولأننى سمعته يقول، إنه كان لا يستطيع النطق بحرف "و" فى صباه، وعرض عليه ست بنسات، إذا استطاع أن يقول "White Wine"، التى قام بنطقها "rite rine". ومن المحتمل أنه ورث هذه النزعة، عن "إراسموس داروين"، الذى كان يتلعثم [5].

كان يقوم فى بعض الأحيان بضم ألفاظه المجازية(١) بطريقة غريبة، مستخدمًا عبارة مثل "متمسكا مثل الحياة" - وهى خليط من "متمسكا من أجل حياته" و"متمسكا مثل الموت الزؤام". وقد نتج ذلك عن طريقته المتلهفة، لإدخال التأكيد إلى ما يقوله. وكان هذا يقوم فى بعض الأحيان، بإضفاء سمة من المبالغة، حيث لم يكن ذلك مقصودا، ولكنه كان يقوم أيضا بإعطاء، سمة نبيلة بالاقتناع القوى والفياض، كما حدث على سبيل المثال، عندما كان يقوم بتقديم الأدلة، أمام "المفوضية الملكية" Royal Commission، حول تشريح الحيوانات الحية(٢)، وصدرت منه كلمات تدور حول القساوة(٣)، مثل "إن هذا يستحق المقت(٤) والاشمئزاز(٥)". وكان نادرا ما يستطيع الكلام، عندما يشعر بقوة مسألة مماثلة حيث كان من السهل عندئذ أن يغضب، وهو شىء كان لا يحبه إلى أقصى حد. وكان يعى أن غضبه يميل لمضاعفة نفسه بلا حدود، ولهذا السبب، كانت لديه رهبة (على سبيل المثال) من القيام بتوبيخ أحد الخدم.

لقد كان إثباتا عظيما للتواضع الموجود فى أسلوب حديثه، أنه عند مجىء عدد من الزوار، من طرف "السير چون لوبوك" Sir John Lubbock، بعد ظهر أحد أيام الأحد، لم يبد كما لو كان يقوم بالوعظ(٦) أو إلقاء محاضرة، رغم استحواذه

---

(١) لفظ مجازى = مجاز = كنية — Metaphor

(٢) تشريح الحيوانات الحية — Vivisection

(٣) القساوة = القسوة = الوحشية — Cruelty

(٤) المقت = البغض — Detestation

(٥) الاشمئزاز — Abhorrence

(٦) يعظ — Preach

على وقت طويل جدا للحديث. وكان ساحرا بشكل خاص عندما يقوم بممازحة[١] أى شخص، ويفعل ذلك بروح معنوية مرتفعة. وكان أسلوبه فى مثل تلك الأوقات، خفيف الظل وصبيانيًا[٢]، وكانت رقة طبيعته تتبدى للعيان بأقوى صورة. وكان هذا هو الحال، عندما يتحدث مع أى سيدة، تجلب له السرور والتسلية، وكان من الممتع مشاهدة خليط المزاح[٣] والمراعاة[٤] الموجود فى أسلوبه.

عندما كان والدى يستقبل العديد من الزوار، فإنه كان يقوم بتدبير أمورهم بشكل جيد، ويتداخل فى الحديث مع كل واحد منهم، أو يقوم بجمع اثنين أو ثلاثة منهم حول كرسيه. وكان هناك دائما أثناء تلك المحادثات، القدر الكبير من المزاح، وتحول فكاهى فى حديثه، أو بهجة غامرة بديلة عن ذلك. ومن المحتمل أن يكون استرجاعى للعامل الفكاهى الغامر، هو الأكثر حيوية فى ذهنى، لأن أفضل المحادثات كانت تتم مع "السيد هوكسلى" Mr. Huxley، الذى كانت لديه ميول مماثلة للدعابة، حتى عندما لا يكون هناك مجال للدعابة. وكان والدى يستمتع إلى أبعد حد، بدعابة "السيد هوكسلى"، وكان من شأنه أن يقول فى كثير من الأحيان، " إن مزاح هوكسلى شيء رائع!". وأعتقد أنه قد كانت له محاولات علمية أكثر (ذات طبيعة تشبه العراك)، مع "لايل" Lyell و"السير جوزيف هوكر" Sir Joseph Hooker.

كان معتادا القول، أن من المحزن له ألا يجد، تجاه أصدقاء الجزء الأخير من حياته، نفس الشعور بالعاطفة الدافئة التى كانت موجودة فى شبابه. وكان يقوم بتأكيد ذلك بتقديم الأدلة فى خطاباته المبكرة الصادرة عن "كامبريدج"، على الصداقة القوية التى كانت تربطه بـــ "هيربرت" Herbert و"فوكس"، ولكن لا يوجد

---

(١) يمازح Chaffing
(٢) صبيانى Boyish
(٣) المزاح Raillery
(٤) المراعاة = الاحترام Deference

أحد سواه، يستطيع إن يقول إن مودته لم تكن، على مدى حياته، من أدفأ نوعية ممكنة. ولم يكن من شأنه فى سبيل تقديم خدمة إلى صديق، أن يجنب نفسه أى مشقة، وكان يتم التقديم بطيب خاطر، للثمين من الوقت والجهد. ولاشك فى أنه كان يتمتع بقدرة غير عادية على جعل الأصدقاء يتعلقون به. وكان لديه العديد من الصداقات الدافئة، لكنه كان مرتبطا بروابط من المودة بـــ "السير جوزيف هوكر"، بشكل أقوى مما نراه كثيرا بين الرجال. وقد كتب فى "استرجاعاته"، "من الصعب أن أكون قد تعرفت على أى إنسان، أكثر جدارة بالمحبة من "هوكر"".

كانت علاقته مع أناس القرية علاقة لطيفة، وكان يعاملهم، أفرادا وجماعة، بكياسة كلما حدث اتصال معهم، وكان يشعر بالاهتمام بكل شىء يتعلق بشئونهم. وساعد بعد مرور بعض الوقت على قدومه للمعيشة فى "داون"، على إنشاء "نادى ودى" Friendly Club، وقام بمهام أمين صندوقه[1] لمدة ثلاثين عاما. وقام بتحمل الكثير من المشاق المتعلقة بأمور النادى، قائما بتسجيل حساباته بدقة وانضباط متحوط، ومستمدا السرور من أحواله المزدهرة. وعند الاحتفال بـــ "يوم الإثنين الأبيض" Whit-Monday، كان النادى معتادا القيام بمسيرة متجولا مع فرقة موسيقية ورايات، فى موكب استعراض على الأرض المعشوشبة الموجودة أمام المنزل، وكان يقوم بلقائهم فى هذا المكان، ويشرح لهم موقفهم المالى فى خطاب قصير، متبل[2] بالبعض من الدعابات المعتادة. وكثيرا ما كان عليلا بدرجة تجعل حتى هذا الاحتفال البسيط، يمثل إجهادا بالنسبة له، ولكننى أعتقد أنه لم يتخلف فى أى مرة عن مقابلتهم.

كان يقوم أيضا بمهام أمين الصندوق لـــ "نادى الفحم" Coal Club، وهو الشىء الذى أعطاه بعض المشغولية، وقام لبعض من السنوات، بمهام "القاضى الإقليمى" Couty Magestrate.

---

(١) أمين الصندوق — Treasurer

(٢) متبل — Seasoned

فيما يتعلق بانغماس والدى فى الاهتمام بشئون القرية، كان "السيد برودى إنز" Mr. Brodie Innes غاية فى الكرم، لقيامه بإعطائى استرجاعاته عن ذلك :-

"عندما أصبحت كاهن "داون" في عام ١٨٤٦، أصبحنا أصدقاء، واستمر ذلك إلى مماته. وكانت تصرفاته تجاهى وتجاه عائلتى، لطيفة بشكل لا يتغير، وقد قمنا برد هذا الشعور بمودة دافئة".

"كان يقوم بالمساعدة الفعالة فى جميع أمور الأبرشية، فى الأمور المرتبطة بالمدارس، والأعمال الخيرية، والأعمال الأخرى، وكان على استعداد دائم للاشتراك السخى، وكنت فى الاختلافات التى تحدث أحيانا فى تلك الأمور- كما يحدث فى الأبرشيات الأخرى- متأكدا بشكل دائم من مساندته. وكان يرفع شعارا، بأن عليه عندما لا يكون هناك فى الواقع أى اعتراض مهم، تقديم مساعدته إلى رجل الدين، الذى من المحتم أن يكون عالما بالظروف على أفضل وجه، وهو الذى يكون مسئولا بشكل رئيسى".

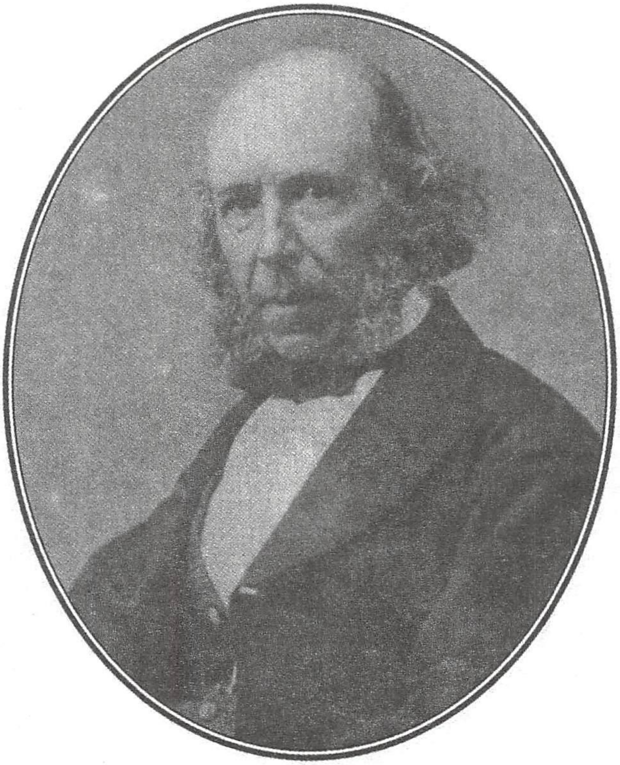
كان اتصاله[١] بالغرباء موسوما بالكياسة[٢] المتحوطة[٣] ويتسم بالشكليات إلى حد ما، ولكن لم تتح له فى الحقيقة، إلا فرصٌ قليلة للقاء الغرباء.

---

(١) اتصال — Intercourse

(٢) كياسة — Politeness

(٣) متحوط = محاط بالشكوك — Scrupulous



لوحة (٥٤)

هيربرت سبنسر

قال "الدكتور لان" Dr. Lane بوصف [6]، إنه فى المناسبة النادرة التى قام فيها والدى، بحضور محاضرة لـــ "الدكتور ساندرسون" Dr. Sanderson، فى "المؤسسة الملكية" Royal Institution، قام جميع الحاضرين بالنهوض للترحيب به"، فى الوقت الذى كان يبدو فيه أنه "ليس على دراية كافية، بأن مثل هذا الانفجار فى التصفيق(١)، من الممكن أن يكون من أجله". فقد قادته حياة "داون" الهادئة، إلى جعله يشعر بالارتباك، عند تواجده فى مجتمع كبير، وعلى سبيل المثال، فإنه كان يشعر بضيق الصدر(٢)، للعدد الكبير الذى يكون موجودا، فى أمسيات(٣) "الجمعية الملكية" Royal Society. والشعور بأن عليه أن يعرف الناس، وزادت الصعوبة التى كانت لديه فى تذكر الوجوه، فى أيامه الأخيرة، فى عدم شعوره بالراحة، فى مثل تلك المناسبات. ولم يتضح له أنه من الممكن التعرف عليه من صوره، وأتذكر أنه لم يكن مستريحا عندما تم التعرف عليه بشكل واضح، بواسطة أحد الغرباء الموجودين فى صالة "القصر البللورى" Crystal Palace لعرض الأحياء المائية(٤).

لابد لى من الإدلاء بشىء عن أسلوبه فى العمل: حيث كانت إحدى الصفات المميزة لذلك، هى الاحترام للوقت، فإنه لم يكن يتغاضى على الإطلاق، عن قيمته النفيسة. وكان يتم إظهار ذلك على سبيل المثال، فى الطريقة التى كان يحاول بها، الاختصار(٥) فى رحلاته، وبشكل أوضح أيضا، بالنسبة للاختزال من مددها. وكان من شأنه أن يقول فى كثير من الأحيان، إن الاقتصاد فى الدقائق، هو الطريقة لإنجاز العمل، وقد قام بإظهار ولعه بالاقتصاد فى الدقائق، فى الاختلاف الذى كان يشعر به، بين الربع من الساعة والدقائق العشرة من العمل، ولم يكن يقوم بإهدار أى دقائق زائدة، نتيجة للتفكير فى أنها لا تستحق استغلالها فى العمل. وكنت كثيرا

---

(١) تصفيق — Applause
(٢) ضيق الصدر — Oppressed
(٣) أمسيات — 'Soirces'
(٤) صالة عرض الأحياء المائية — Aquarium
(٥) اختصار = بتر — Curtail

ما أصطدم بطريقته فى العمل، إلى أقصى حد تسمح به قوته، إلى درجة أنه كان يقوم بالتوقف فجأة عن الإملاء قائلا: "أعتقد أننى يجب ألا أقوم بأكثر من ذلك". وكانت تتم رؤية نفس الرغبة المتلهفة لتجنب فقدان الوقت، فى حركاته السريعة، عندما يكون منغمسا فى العمل. وأتذكر بشكل خاص ملاحظة ذلك، عندما كان يقوم بإجراء تجربة، على جذور الفول، التى كانت محتاجة إلى بعض العناية فى معالجتها، حيث كان التثبيت لأجزاء صغيرة من البطاقات على الجذور، بعناية وببطء بشكل ضرورى، ولكن الحركات الوسيطة كانت كلها سريعة، مثل تناول حبة جديدة، ورؤية أن الجذر كان سليما، واختراقها[1] بدبوس، وتثبيتها على فلينة[2]، والتأكد من أنها فى وضع عمودى، الخ، وجميع تلك العمليات كان يتم أداؤها، بنوع من التلهف المكبوح. وكان يقوم دائما بإعطاء أى شخص، الانطباع بأنه يقوم بالعمل بسرور، وليس بأى شىء من الضجر[3]. ولدى أيضا تصورّ له، وهو يقوم بتسجيل نتيجة بعض التجارب، من قيامه بالتطلع بلهفة إلى كل جذر، أو أى شىء آخر، ثم قيامه بالكتابة بنفس الدرجة من اللهفة. وأتذكر التحركات السريعة لرأسه، إلى أعلى وإلى أسفل، أثناء قيامه بنقل نظره، من الشىء إلى دفتر المذكرات.

كان يقوم بتوفير القدر الكبير من الوقت، من خلال عدم الحاجة إلى القيام بالأشياء مرتين. رغم أنه كان من شأنه، أن يقوم بإعادة التجارب بصبر، إذا كانت هناك فائدة تجنى من ذلك، إلا أنه لم يكن يستطيع احتمال إعادة أى تجربة، كان يجب أن تنجح من أول مرة، إذا ما تم اتخاذ الحيطة الكاملة - وكان ذلك يقوم بإعطائه قلقًا مستمرا، من أن يتم إهدار أى تجربة، وكان يشعر بأن التجربة هى شىء مقدس، مهما كانت تجربة بسيطة. وكان تواقا لأن يتعلم أكبر قدر ممكن من

(١) يخترق = يخوزق Impaling
(٢) فلينة Cork
(٣) ضجر Drag

أى تجربة تجرى، ولهذا فإنه لم يكن يقوم بتحديد نفسه، على مراقبة نقطة واحدة، تكون التجربة موجهة إليها، وكانت قدرته على الرؤية لعدد من الأشياء الأخرى مدهشة. ولا أعتقد أنه كان يهتم بالملاحظات الابتدائية أو التحضيرية، التى كان المقصود منها أن يتم استخدامها كدلائل، وعليها أن تعاد. وكل تجربة يتم القيام بها، كان لابد أن يكون لها بعضٌ من النفع، وأتذكر فى هذا السياق، كيف كان يقوم بالمطالبة بقوة، بضرورة الاحتفاظ بمذكرات خاصة بالتجارب التى فشلت، وكان يلتصق دائما بهذه القاعدة.

كان لديه على الجانب الأدبى من عمله، نفس الذعر من إضاعة الوقت، ونفس الحماس فيما يكون قائما بعمله فى تلك اللحظة، وقد جعله ذلك حريصا على ألا يضطر إلى القراءة بدون ضرورة، لأى شىء للمرة الثانية.

كانت نزعته الطبيعية، تجاه الاستخدام للوسائل الطبيعية، والقليل من الآلات. وكان الاستخدام للمجهر المركب(١) قد زاد منذ أن كان يافعا، وكان ذلك على حساب المجهر البسيط. ومن الأشياء التى تستوقف انتباهنا فى الوقت الحالى، كشىء خارج عن المألوف، ألا يكون لديه مجهر مركب، عندما ذهب فى رحلته البحرية، على متن السفينة البيجل، لكنه قام فى هذا الأمر، باتباع نصيحة "روبرت براون" Robt. Brown، الذى كان من الثقات فى مثل تلك الأمور. وكان لديه دائما ميلٌ شديدٌ للمجهر البسيط، وكان يصر على أن يتم إهماله بشكل أكثر من اللازم فى الوقت الحالى، وأن الإنسان عليه أن يشاهد أكبر قدر ممكن، بواسطة المجهر البسيط، قبل أن ينتقل إلى المجهر المركب. ويتحدث فى واحد من خطاباته حول هذه النقطة، ويعلق بأنه يشك دائما فى عمل أى إنسان، لم يقم على الإطلاق، باستخدام المجهر البسيط.

---

(١) المجهر المركب * microscope Compound

كانت منضدة التشريح[١] الخاصة به عبارة عن لوح سميك من الخشب، مثبت إلى إحدى النوافذ الموجودة بغرفة المكتب، وكانت أكثر انخفاضا عن أى منضدة عادية، بحيث كان لا يستطيع العمل عليها وهو منتصب الذى لم يكن يستطيع القيام به بأى حال، وقد كان ذلك، نتيجة للرغبة فى الاقتصاد فى قواه. وكان يجلس إلى منضدة التشريح، على مقعد غريب منخفض بلا أذرع ، كان تابعا لوالده، وله مقعدة تدور حول محور رأسى، وموضوع على عجلات[٢] كبيرة، لكى يكون فى استطاعته الدوران بسهولة من جانب إلى جانب. وكانت أدواته المعتادة وما إلى ذلك، تتناثر على المنضدة، ولكن بجانبها، كان هناك عدد من النثريات[٣]، التى كان يتم الاحتفاظ بها فى منضدة مستديرة، مليئة بالأدراج المتشعبة، والتى كانت تستدير على محور رأسى، وكانت تقف فى مكان قريب من جانبه الأيسر، عندما كان يجلس إلى منضدة مجهزة. وكانت الأدراج معنونة، "أفضل الآلات" "الآلات الفجة"، "العينات"، "تحضيرات العينات"، وخلافها. وأكثر شىء غريب من بين محتويات تلك الأدراج، كانت العناية التى يتم بها الاحتفاظ بالبقايا الضئيلة والأشياء غير المفيدة تقريبا، فقد كان يحتفظ بالإيمان المعروف، بأنك إذا قمت بالتخلص من شىء، فلك أن تتأكد من أنك سوف تحتاج إليه على الفور - وهكذا كانت الأشياء تتراكم.

إذا قام أى شخص بالتطلع إلى أدواته وخلافها، وهى مستلقية على المنضدة، فمن شأنه أن يصطدم بمسحة من البساطة، والاستخدام[٤]، والغرابة.

كان يوجد على جانبه الأيمن رفوف، عليها عددٌ من الأشياء المتنوعة، والزجاجات، والصحاف[١]، وعلب الكعك الجاف الصفيح من أجل الإنبات للبذور،

---

(١) يشرح — Dissect

(٢) عجلة — Castor

(٣) نثريات = أشياء متنوعة — Odds and ends

(٤) الاستخدام — Make-shift

وبطاقات من الزنك، وصحاف[1] مليئة بالرمل، وغيرها. وعند الوضع فى الاعتبار، كيف كان والدى مرتبا ومنهاجيا فى الأشياء الجوهرية، فإنه كان من الغريب أنه كان يستطيع التعايش، مع مثل هذا العدد الكبير من الأشياء المستعملة: وعلى سبيل المثال، فبدلا من طلب صنع صندوق بأى شكل مطلوب، ومصبوغ بالأسود من الداخل، كان من شأنه أن يقوم باصطياد شيء مشابه لما يريده، ويقوم بتسويد داخله بمادة تسويد الأحذية، ولم يكن يعنى بالحصول على أغطية زجاجية مصنوعة بشكل خاص، للأوعية التى يقوم فيها بإنبات البذور، ولكنه كان يستخدم قطعا زجاجية مكسورة ذات أشكال مختلفة، ومن المحتمل أن يكون لها زاوية ضيقة بدون نفع، بارزة من أحد الجوانب. ولكن العدد الكبير جدا من التجارب التى كان يجريها كان من النوعية البسيطة، وبذلك فإنه لم يكن محتاجا إلى أى أشياء متقنة، وأعتقد أن سلوكه فى هذا الأمر كان بقدر كبير، نتيجة لرغبته فى الاقتصاد[2] فى قوته، وألا يقوم بتبديدها على الأشياء غير الضرورية.

من الممكن القيام فى هذا المجال، بذكر طريقته فى وضع علامات على الأغراض. فعندما يكون لديه عدد من الأشياء التى يريد تمييزها عن بعضها، مثل الأوراق الشجرية، أو الزهور أو خلافهما، فإنه كان يقوم بربط خيوط ذات ألوان مختلفة حولها. وكان يقوم بالذات باستخدام هذه الطريقة، عندما يكون لديه طائفتان فقط من الأغراض للتمييز بينهما، وبهذا الشكل، ففى حالة الزهور المهجنة والملقمة ذاتيا[3]، كان يقوم بربط ساق الزهرة فى مجموعة بخيط أسود والأخرى بخيط أبيض وأتذكر جيدا، منظر مجموعتين من محافظ البذور[4]، التى كانت قد جمعت، وكانت تنتظر أن يتم وزنها، وإحصاؤها، وما إلى ذلك، مع قطع من الخيط الأسود

---

(١) الصحاف Saucers

(٢) اقتصاد Husband

(٣) ملقح ذاتيا Self-fertilised

(٤) محفظة (بذور) Capsule

والأبيض. للتمييز بين الصوانى[١] التى تستلقى فيها. وعندما كان عليه أن يقوم بالمقارنة، بين مجموعتين من النبتات، التى تم زرعها[٢] فى نفس الإناء، كان يقوم بالفصل بينهما، بواسطة حاجز مكون من صفيحة من الزنك، وكان يتم دائما، وضع البطاقة الزنكية، التى تقوم بإعطاء التفاصيل اللازمة حول التجربة، على جانب معين، و أصبح من الغريزى له بهذا الشكل، أن يعرف بدون قراءة البطاقة، أى منها كانت المهجنة وأيها كانت ذاتية التلقيح.

لقد تم الظهور بشكل ملحوظ لولعه بكل تجربة محددة، وحماسه المتلهف على عدم الفقدان لثمرتها، أثناء تلك التجارب التهجينية - فى صورة العناية الدقيقة التى كان يتخذها لعدم القيام بأى ارتباك، فى وضع المحافظ البذرية داخل الصوانى الخاطئة، وما إلى ذلك. وأستطيع استرجاع منظره، وهو يقوم بإحصاء البذور تحت المجهر البسيط، بانتباه لا تتميز به فى العادة، مثل تلك الأعمال الآلية كالإحصاء. وأعتقد أنه كان يقوم بتصور كل بذرة، على أساس أنها عفريت[٣] صغير، يحاول أن يراوغه[٤]، بالانضمام إلى الكومة الخاطئة، أو القفز بعيدًا من أساسه، وكان ذلك يقوم بإعطاء العمل، الإثارة الخاصة بأى لعبة من الألعاب. وقد كان لديه إيمان شديد بالآلات، ولا أعتقد أنه طرأ له بشكل طبيعى، أن يشك فى دقة مقياس مدرج[٥] أو معيار زجاجى[٦]، أو ما شابه ذلك. وقد بوغت عندما وجد، أن واحدا من أدوات القياس الدقيق جدًا[٧]، كان يختلف عن الآخر. إلا أنه لم يكن محتاجا إلى الدقة الشديدة فى معظم معايراته، ولم يكن لديه موازين جيدة، وكانت لديه مسطرة

---

(١) صينية (جمعها صوانى) = طبق تقديم — Tray

(٢) يزرع (البذور) — Sow

(٣) عفريت — Demon

(٤) يراوغ — Elude

(٥) مقياس مدرج = ميزان — Scale

(٦) معيار زجاجى = قنينة معايرة — Measuring glass

(٧) أداة قياس دقيق جدًا = ميكرومتر — Micrometer

قديمة طولها ثلاثة أقدام، وكانت من الممتلكات الشائعة فى المنازل، والتى تتم استعارتها بشكل مستمر، لأنها كانت الوحيدة، التى من المؤكد أن تكون موجودة فى موضعها - إلا إذا لم يتذكر الشخص الأخير الذى قام باستعارتها، أن يقوم بإعادتها إلى موضعها. وكان لديه لقياس ارتفاع النباتات قضيب توزيع[١]، طوله سبعة أقدام، تم تدريجه بواسطة نجار[٢] القرية. وقد قام مؤخرا، باستخدام مقاييس ورقية مدرجة بالمليمترات. وكان يقوم من أجل الأغراض الصغيرة، باستخدام فرجار[٣] ومنقلة[٤] عاجية[٥]. وكانت من الأشياء المميزة له، أنه كان يقوم بتحمل عناء شديد، عن طريق القيام بالقياسات، باستخدام أدوات قياسه الفجة بعض الشيء. وأحد الأمثلة التافهة على إيمانه بالمصداقية، هى قيامه بحساب البوصة على أساس المليمترات، باستخدام كتاب قديم، الذى تبين فيما بعد، أنها موجودة فيه بشكل غير دقيق. وكان لديه معيار كيميائيٌّ، يرجع تاريخه إلى الأيام التى قام فيها بالعمل فى الكيمياء، مع أخيه "إراسموس". وكانت قياسات السعة[٦] تتم، باستخدام وعاء زجاجى "أبو قراطى" Apothecary للقياس: وأتذكر جيدا منظره الخشن وتدريجه السيئ. وأتذكر علاوة على ذلك أيضا، العناية الشديدة التى كان يتخذها، للحصول على خط السائل الموجود على التدريج. ولا أقصد بهذا التقرير عن أدواته، أن أيا من تجاربه قد عانت، من النقصان فى دقة المعيارات، ولكننى أقوم بتقديمها على أساس أنها أمثلة، على بساطة وسائله، وإيمانه بالآخرين - وهذا يعنى إيمانه على الأقل، فى صناع الأدوات، الذين كانت صناعتهم بأكملها لغزا بالنسبة له.

---

(١) قضيب توزيع * Deal rod
(٢) نجار Carpenter
(٣) فرجار = برجل Pair of compasses
(٤) منقلة: أداة لقياس الزوايا Protractor
(٥) عاج Ivory
(٦) السعة Capacity



غرفة المكتب فى منزل "داروين"

(من مجلة Century Magazine ، يناير ١٨٨٣)

يخطر على بالى القليل من مميزاته الذهنية، التى لها علاقة بشكل خاص، بطريقته فى العمل. وهناك واحدة من الخواص الذهنية، التى يبدو أنها كانت ذات ميزة خاصة وغاية فى الأهمية، فى قيادته للقيام بالاكتشافات. وقد كانت تتمثل فى القدرة على عدم السماح على الإطلاق، بالاستثناءات بأن تمر دون أن يتم الانتباه إليها. فكل شخص ينتبه إلى أى حقيقة على أساس أنها استثناء، عندما تكون ملحوظة بشدة أو متكررة، لكنه كان حائزا على غريزة تجاه القبض على أى استثناء. وقد كانت أى نقطة يبدو أنها بسيطة، وغير مرتبطة مع العمل الجارى، التى يتم المرور عليها عن طريق الكثير من الأناس، بشكل لا واع تقريبا، مع بعض التفسير نصف المتروى، والذى هو فى الحقيقة ليس تفسيرا على الإطلاق، هى الأشياء بالضبط، التى كان يقبض عليها، لكى يقوم باستخدامها كنقطة بداية. وليس هناك شىء خصوصيٌّ فى هذا الإجراء إلى حد ما، حيث تم القيام بالكثير من الاكتشافات، بهذه الوسيلة. وأقوم بذكر ذلك، لأننى عندما كنت أقوم بمراقبته أثناء عمله، انطبعت علىَّ بقوة قيمة الوجود لهذه القدرة لدى العالم التجريبى.

كانت الخاصية الأخرى التى كانت واضحة فى عمله التجريبى،تتمثل فى قدرته على الالتصاق بأى موضوع، وكان يقوم بتقديم الاعتذار تقريبا على صبره، قائلا إنه لا يستطيع احتمال الهزيمة، كما لو كان ذلك يمثل علامة على الضعف من جانبه. وكان يقوم فى كثير من الأحيان، بالاستشهاد بالقول : "إنه العناد وما يفعله"، وأعتقد أن مصطلح العناد[١] يقوم بالتعبير عن إطاره الذهنى، بشكل أفضل تقريبا عن المثابرة[٢].حيث يبدو أن المثابرة من الصعب أن تقوم بالتعبير عن رغبته العنادية تقريبا، لإجبار الحقيقة على الكشف عن نفسها. وكان يقول فى كثير من الأحيان، أنه من المهم أن يكون من شأن الإنسان، أن يعلم النقطة الصحيحة التى يجب عندها التخلى عن أى بحث. وأعتقد أنه كان يميل إلى تعدى هذه النقطة، مما يدفعه إلى الاعتذار عن مثابرته، وإعطاء سمة المعاندة لعمله.

---

(١) العناد = العند — Dogged

(٢) المثابرة = الدأب — Perseverance

كان كثيرا ما يقول إنه لا يمكن لأحد أن يكون مراقبا جيدا، إلا إذا كان باحثا نشيطا فى الجانب النظرى[(١)]. وهذا ما يعيدنى إلى ما سبق لى الإدلاء به، عن غريزته للقبض على الاستثناءات: فقد كان الأمر، كما لو أنه كان مشحونا[(٢)] بقدرة على وضع النظريات، على استعداد للانسياب إلى أى اتجاه، عند حدوث أى اضطراب بسيط، بحيث لا توجد حقيقة، مهما كانت صغيرة، تستطيع تجنب القيام بإطلاق فيض من التفكير النظرى، ويتم بهذا الشكل تضخيم الحقيقة إلى شأن مهم. وكان من الطبيعى بهذه الطريقة أن تكون الكثير من النظريات التى من المتعذر الدفاع عنها[(٣)]، قد وردت على باله، ولكن كان يتم لحسن الحظ معادلة خياله الخصب، بقدرته على الحكم والشجب[(٤)] للأفكار التى تتوارد على ذهنه. وقد كان عادلا فى الحكم على نظرياته، ولم يكن يقوم بشجبها دون القيام بالتحقق، وهكذا فإنه كان مستعدا لاختبار ما من شأنه أن يبدو لمعظم الناس، على أساس لا يستحق على الإطلاق القيام باختباره. وكان يقوم بالإطلاق على تلك المحاولات الجامحة إلى حد ما، "التجارب الحمقاء"، وكان يستمتع بها إلى أقصى حد.ويعن لى أن أذكر كمثال على ذلك، أن اكتشاف أن الورقات الجنينية[(٥)] الخاصة بنبات البيوفايتام[(٦)]، تكون حساسة جدا لتغايرات الأحوال، جعله يتخيل أنه من الممكن لها، أن تقوم باستيعاب الذبذبات[(٧)] الصوتية، وبناء على ذلك، كان يجعلنى أقوم بالعزف على زمخرى[(٨)]، بالقرب من أحد النباتات [7].

---

(١) باحث فى الجانب النظرى — Theoriser

(٢) مشحون — Charged

(٣) متعذر الدفاع عنه — Untenable

(٤) يشجب — Condemn

(٥) الورقة الجنينية (التى ترافق بذور الزهريات) — Cotyledon

(٦) نبات البيوفايتام # — Biophytum

(٧) الذبذبات — Vibrations

(٨) الزمخر: مزمار ذو أنبوبة خشبية مزدوجة وفم معدنى ملتو — Bassoon

كان الولع بالتجربة قويا جدا لديه، وأستطيع أن أتذكر الطريقة التى كان يقول بها: " لن أستريح إلى أن أقوم بتجربته"، كما لو كانت هناك قوة خارجية تقوم بدفعه. وكان يستمتع بإجراء التجارب، بشكل أكبر من العمل الذى لا يستلزم سوى التزرين، وعندما يكون مشغولا بكتابة واحد من كتبه، التى يلزمها البرهان(١) والانتظام(٢) للحقائق، كان يشعر بأن العمل التجريبى، يمثل فترة استراحة أو عطلة. وهكذا، فإنه قام أثناء عمله على كتاب "تمايزات الحيوانات والنباتات" Variations of Animals and Plants، فى عام ١٨٦٠ - ١٨٦١، باكتشاف تلقيح السحلبيات، وظن فى نفسه أنه كان كسولا، لإعطائه مثل هذا الوقت الكبير. ومن المشوق التفكير، أن يتم تولى قطعة مهمة بهذا الشكل من البحث، والعمل عليها بشكل ضخم، على أساس أنها تمضية للوقت، بدلا من اعتبارها عملا أكثر جدية. وتحتوى الخطابات الموجهة إلى "هوكر"، فى هذه الفترة، على تعبيرات مثل "فليسامحنى الله لكونى كسولا إلى هذه الدرجة، فإننى مهتم بالعمل بشكل أبله تماما". وكان السرور الشديد الذى يحصل عليه، نتيجة الاستيعاب للتكايفات(٣) التى تحدث من أجل التلقيح، يظهر بشكل قوى فى تلك الخطابات. وهو يتحدث فى واحد من تلك الخطابات، عن عزمه على العمل على نبات ورد الشمس (الدروسيرة)، كوسيلة للاستراحة من كتابته لـــ"نشأة الإنسان" Descent of Man. وقد قام فى "استرجاعاته" بوصف الإشباع القوى الذى يشعر به، فى إيجاد حل لمعضلة تغاير قلم السمة(٤). ولقد سمعته يذكر أن دراسة طبقات أمريكا الجنوبية الأرضية، منحته متعة أكبر من أى شيء آخر. ومن المحتمل أن هذا الاستمتاع بالعمل المحتاج إلى الملاحظة الدقيقة، هو الذى جعله يشعر بالتقدير للمديح، الذى تم تقديمه إلى قدراته على الملاحظة، بشكل أكثر عن الإعجاب بخواصه الأخرى.

---

(١) برهان Argument

(٢) الانتظام = الترتيب Marshalling

(٣) التكايفات Adaptations

(٤) تغاير قلم السمة * Heterostylism

لم يكن لديه أى أحترام للكتب، لكنه كان يعتبرها مجرد أدوات لاستخدامها فى العمل. ولهذا لم يكن يقوم بتجليدها، وحتى عندما تهرأ أحد الكتب الورقية إلى قطع صغيرة نتيجة للاستخدام، كما حدث فى كتاب Befruchtung لـــ "موللر"، فإنه قام بالحفاظ عليه من الانحلال التام، عن طريق وضع مشبك معدنى على ظهره. وقد كان من شأنه بنفس الطريقة أن يقوم بقطع الكتاب إلى نصفين، لكى يجعل إمساكه أكثر راحة. وكان دائم التفاخر بأنه جعل "لايل" يقوم بنشر الإصدار الثانى لواحد من كتبه فى جزأين، بدلا من جزء واحد، عن طريق الإدلاء إليه بأنه كان مضطرا إلى تقسيمه لنصفين. وكان يتم فى كثير من الأحيان معاملة الكتيبات بشكل أكثر قسوة عن الكتب، لأنه كان يقوم بتمزيق جميع الصفحات باستثناء تلك التى تجذب انتباهه، وذلك للتوفير فى مكان الحفظ. وكانت النتيجة لجميع تلك الممارسات، أن مكتبته كانت غير مزينة، لكنها كانت لافتة للنظر نتيجة لأنه من الواضح أنها مجموعة من الكتب المخصصة للعمل.

لقد كان منهاجيا[١] فى الطريقة التى يقوم بقراءة الكتب والكتيبات بها ، والتى لها علاقة بعمله. وكان لديه واحد من رفوف، الذى كان يكدس الكتب التى لم يقرأها بعد، ورف آخر يتم نقلها إليه، بعد أن تتم قراءتها، وقبل أن يتم جدولتها. وكان من شأنه فى كثير من الأحيان، التأوه على كتبه التى لم يقرأها، وذلك لأنه كان هناك الكثير منها، التى يعلم أنه لن يقوم على الإطلاق بقراءتها. والكثير من الكتب كان يتم على الفور نقلها إلى الكومة الأخرى، إما موسومة بشفرة عند نهايتها، لتوضيح أنها لا تحتوى على عبارات عليها ملاحظات، وإما يكتب[٢] عليها ربما "لم تقرأ" وإما "تم تصفحها[٣] فقط". وكانت الكتب تتراكم على الكومة "قرأت"

---

(١) منهاجى Methodical

(٢) يكتب = ينقش Inscribe

(٣) يتصفح Skim

إلى أن تفيض الرفوف، وبعد ذلك، ومع الكثير من التفجع(١)، يتم التضحية بأحد الأيام، للقيام بالجدولة. ولم يكن يحب القيام بهذا العمل، وعندما تصبح ضرورة القيام بهذا العمل ملحة(٢)، كان من شأنه فى كثير من الأحيان، أن يقول بصوت يائس: "لابد لنا فى الحقيقة، أن نقوم بشيء تجاه هذه الكتب، فى وقت عاجل".

كان يقوم أثناء قراءته لكل كتاب، بوضع علامات على العبارات المتعلقة بعمله. ويقوم أثناء قراءة أحد الكتب أو الكتيبات، وما شابه، بوضع خطوط بالقلم الرصاص على جانب الصفحة، وكثيرا ما يقوم بإضافة ملاحظات قصيرة، ثم يقوم فى نهايته بعمل قائمة بالصفحات الموسومة(٣). وعندما كان يحين وقت جدولتها، ووضعها فى المكان المخصص لها، كان يتم التطلع إلى الصفحات الموسومة، وكان يتم كذلك كتابة ملخص استقرابى عن الكتاب. ومن المحتمل أن تتم الكتابة لهذا الملخص، تحت ثلاثة أو أربعة عناوين، على صفحات مختلفة، ويتم تخزين الحقائق، وإضافتها إلى الحقائق التى سبق تجميعها فى المواضيع المختلفة. وكانت لديه مجموعات أخرى من الملخصات التى تم ترتيبها، ليس بناء على الموضوع، لكن بناء على دورية نشرها. وكان معتادا عند القيام بجمع الحقائق على نطاق واسع، فى السنوات المبكرة، على القراءة وعمل الملخصات بهذه الطريقة، لمجموعات كاملة من النشرات الدورية(٤).

قام بالحديث فى البعض من خطاباته المبكرة، عن قيامه بملء العديد من دفاتر المذكرات بالحقائق المتعلقة بكتابه عن "الأنواع الحية"، ولكن من المؤكد أنه بدأ فى وقت مبكر، فى تبنى خطته باستخدام محافظ الأوراق، كما تم وصفها فى استرجاعاته [8]. وقد شعر كل من والدى و"م. دى كاندول M. de Candolle"

---

(١) التفجع Lamenting

(٢) ملح = ضرورى = أساسى Imperative

(٣) موسومة = عليه علامة Marked

(٤) النشرات الدورية Periodicals

بسرور متبادل، لاكتشاف أنهما يقومان باتباع نفس الخطة فى التصنيف للحقائق. وقد قام "دى كاندول" بوصف الطريقة فى كتابه Phytologie، والذكر فى تصوير سريع لوالدى، للارتياح الذى شعر به، لرؤية العمل بهذه الخطة فى "داون".

كان يوجد بجانب تلك المحافظ للأوراق، التى كان هناك منها بعض الدزينات المملوءة بالمذكرات، لفافات ضخمة من المخطوطات اليدوية، الموسوم عليها "تم استخدامها"، وكانت توضع جانبا. وكان يشعر بقيمة مذكراته، وكان لديه ذعر من أن يتم تدميرها عن طريق الحريق. وأتذكر - عندما حدث ذعر من حدوث حريق - توسله إلىّ بأن أكون حريصا بشكل خاص، ومضيفا بجدية شديدة، أن من شأن البقية الباقية من حياته أن تصبح تعيسة، إذا تم التدمير لمذكراته وكتبه.

قام بإبداء نفس الشعور، فى كتابته حول فقدان أحد المخطوطات اليدوية، وكانت فحوى[١] كلماته هى " لدى نسخة أو كان من شأن الفقدان أن يقتلنى". وكان من شأنه أثناء قيامه بتحرير أى كتاب، أن يقضى الكثير من الوقت والجهد، فى عمل هيكل أو خطة للأمر فى مجمله، وفى التكبير والتشعيب[٢] لكل عنوان، كالموصوف فى "استرجاعاته". وأعتقد أن هذا الترتيب الدقيق للخطة، لم يكن على الإطلاق شيئا جوهريا فى الإقامة لبراهينه، ولكن من أجل العرض[٣] للموضوع، والترتيب للحقائق. وحيث إن كتابه "حياة اراسموس داروين" Life of Erasmus Darwin، طبع لأول مرة فى قصاصات[٤]، كان التضخم للكتاب من الهيكل، مرئيا بشكل واضح. وقد تم تغيير الترتيب فيما بعد، لأنه كان رسميا[٥] وباتا[٦]، بشكل أكثر من اللازم، وبدا أنه يقوم بتقديم طابع جده، عن طريق قائمة من الخواص، بشكل أكثر من تقديمه لصورة كاملة عنه.

---

(١) الفحوى = المعنى = المفاد = المضمون — Purport

(٢) التشعيب = التقسيم إلى طوائف — Sub-classing

(٣) العرض — Presentment

(٤) قصاصات — Slips

(٥) بشكل رسمى — Formal

(٦) بشكل بات = قاطع — Categorical

قام فى غضون السنوات الأخيرة فقط، باتباع خطة للكتابة، كان مقتنعا بأنها تناسبه على أفضل وجه، وهى التى تم وصفها فى "استرجاعاته"، وهى بالتحديد، كتابة نسخة مبدئية على الفور، بدون إلقاء أقل اهتمام بالأسلوب. وقد كانت من الأشياء المميزة له، أنه كان يشعر أنه غير قادر على الكتابة بقدر كاف من عدم الاعتناء، إذا قام باستخدام أفضل الأوراق التى فى حوزته، وهكذا فإنه كان يكتب على ظهور أوراق المراجعات، أو المخطوطات اليدوية القديمة. وكان يتم بعد ذلك إعادة النظر فى النسخة المبدئية، وتتم كتابة نسخة واضحة. وكانت لديه لهذا الغرض أوراق كبيرة القطع(١)، مخططة على مسافات واسعة، وكانت هناك حاجة للخطوط، لمنعه من تحرير الكتابة بشكل متقارب مع بعضها، لكى لا يصبح التصويب صعبا. وكان يتم بعد ذلك، تصويب النسخة الواضحة، ثم إعادة نسخها، قبل إرسالها إلى القائمين بالطباعة. وكان النسخ يتم بواسطة "السيد إ. نورمان" Mr. E. Norman، الذى بدأ فى هذا العمل، منذ سنوات طويلة، عندما كان ناظر مدرسة فى "داون". وقد أصبح والدى معتادا بشدة الكتابة اليدوية لـــ "السيد نورمان"، إلى درجة أنه كان لا يستطيع القيام بتصويب أى مخطوط يدوى، حتى لو كان محررا بشكل واضح، بواسطة واحد من أطفاله، إلى أن يتم إعادة نسخه، بواسطة "السيد نورمان". وعند عودة المخطوطات اليدوية من "السيد نورمان"، كان يتم تصويبها مرة أخرى، ثم يتم إرسالها بعد ذلك للقائمين بالطباعة. ثم يأتى بعد ذلك دور التنقيح(٢) والتصويب للتجارب الطباعية(٣)، والتى كان والدى يجدها عملية مرهقة(٤) بشكل خاص.

---

(١) ورق كبير القطع (مقاس ١٦×١٣ بوصة) Foolscap

(٢) ينقح = يعدل Revise

(٣) التجارب الطباعية Proofs

(٤) مرهق Wearisome

كان يقوم عند هذه المرحلة بالنظر بشكل جاد لأول مرة، إلى الأسلوب الذى قلم باستخدامه للكتابة. وعندما يكون ذلك جاريا، فإنه عادة ما يكون قد بدأ فى الكتابة لعمل آخر، كوسيلة للتفريج عن نفسه. وكان تصويب القصاصات يعتبر فى الحقيقة عبارة عن عمليتين، وذلك حيث كان يتم التصويب فى أول الأمر، باستخدام قلم الرصاص، ثم تتم إعادة النظر إليه، ويكتب بالمداد(١).

كان يشعر بالسرور أثناء مرور الكتاب خلال مرحلة "القصاصات"، لتلقى تصويبات واقتراحات من الآخرين. وبناء على ذلك، قامت والدتى بمراجعة التجارب الطباعية، لكتاب "النشأة". وقامت شقيقتى، "السيدة ليتشفيلد" Mrs. Lich Field، فى بعض كتبه الأخيرة بالكثير من التصويبات. ومن المرجح أن هذا العمل بعد زواج شقيقتى، أصبح من نصيبى.

قامت شقيقتى، "السيدة ليتشفيلد" بكتابة التالى:-

"كان هذا العمل مشوقا فى حد ذاته، وكان من المبهج بشكل لايمكن التعبير عنه، القيام بالعمل من أجله. فقد كان مستعدا بشكل دائم للاقتناع، بأن تعديلاتى المقترحة كانت تحسينا، وكان مليئا بالامتنان للجهد المبذول. ولا أعتقد أنه كان يتغاضى على الإطلاق، عن إخبارى بمدى التحسين، الذى يظن أننى قد قمت به، وكان يقوم بالاعتذار تقريبا، إذا لم يتفق معى على أى تصويب. ولقد شعرت بالتواضع والكياسة الموجودين بشكل فريد فى طبيعته، من خلال العمل معه بهذا الشكل، بطريقة كان لا يمكن أن تتم بأى وسيلة أخرى".

---

(١) مداد = حبر Ink

"كان يكتب بسهولة، وكان يميل إلى عكس جمله، سواء فى الكتابة أو فى الحديث، واضعا الفقرة الوصفية[١] قبل أن يكون من الواضح أنها للوصف. وكان يقوم بالتصويب بقدر كبير، وكان متلهفا على التعبير عن نفسه، على أفضل وجه ممكن له".

من المحتمل أن أكثر التصويبات، التى كان هناك احتياج لها، قد كانت الفقرات المبهمة، الناتجة عن التغاضى عن الربط الضرورى، فى التزرين لشىء ما، والذى كان من الواضح أنه تغاضى عنه، من خلال معرفته الحميمة بالموضوع. ولم يكن ذلك نتيجة لأى خطأ فى تسلسل الأفكار، ولكنه كان نتيجة لحميميته مع براهينه، فإنه لم يكن يلاحظ، متى تفشل الكلمات فى توضيح فكره. وكان يقوم أيضا، بوضع الكثير من المادة فى جملة واحدة، إلى درجة أنه كان يتحتم القيام بتقسيمها إلى جملتين.

أعتقد فى مجمل الأمر، أن الجهد الذى كان والدى يقوم بتحمله، تجاه الجزء الأدبى من العمل، كان ملحوظا بشدة. وكان يقوم فى كثير من الأحيان، بالسخرية أو التذمر[٢] من نفسه، للصعوبة التى كان يجدها، فى كتابة اللغة الإنجليزية، قائلا على سبيل المثال، إذا كان من الممكن القيام بترتيب سيئ لأى جملة، فإنه متأكد من أنه سوف يقوم باتباعه. وقد حصل فى إحدى المرات، على القدر الكبير من التسلية والإشباع، من الصعوبة التى وجدها أحد أفراد العائلة، أثناء القيام بكتابة أحد المنشورات الدورية القصيرة. وحصل على الاستمتاع من القيام بالتصويب، والسخرية من الفقرات المبهمة، والجمل الملتوية[٣]، والعيوب الأخرى، وحصل بهذا الشكل على انتقامه، عن جميع الانتقادات التى كان عليه أن يتحملها. وكان معتادا الاستشهاد بدهشة، بنصيحة "الآنسة مارتينيو Miss Martineau"، الموجهة

---

(١) الفقرة الوصفية * Qualifying Clause

(٢) يتذمر Grumble

(٣) ملتوى = معقد Involved

إلى المؤلفين اليافعين، بالكتابة بانطلاق، وإرسال المخطوطات اليدوية إلى الطابع، بدون أى تصويب. ولكنه قام فى بعض الحالات، بالتصرف بطريقة مماثلة بعض الشيىء. وعندما كانت إحدى الجمل تتعقد، بشكل لا أمل فى إصلاحه، كان من شأنه أن يقوم بسؤال نفسه: "ما الذى تريد أن تقوله الآن؟"، وكانت الإجابة التى يتم تحريرها، من شأنها فى كثير من الأحيان، أن تكون كفيلة بإيجاد حل للارتباك.

كان يتم الإطراء على أسلوبه، ولكن على الجانب الآخر، قام واحد على الأقل من الخبراء الجيدين، بالتعليق لى، بأنه ليس أسلوبا جيدا. ولكنه كان فوق كل شيء، مباشرا وواضحا، وكان من الأشياء المميزة له، فى بساطته المقاربة للسذاجة[1]، وفى الانعدام للمزاعم. وكان لا يؤمن إلى أقصى حد بالفكرة الشائعة، بأن العالم التقليدى لابد أن يقوم بالكتابة، بلغة إنجليزية جيدة، وكان يعتقد بالفعل، أن العكس هو الصحيح. وكان يقوم فى بعض الأحيان، أثناء كتابته، بإظهار نفس النزعة، إلى استخدام التعبيرات القوية، كما كان يفعل فى محادثاته. وبهذا الشكل فإن هناك فى كتاب "النشأة" صفحة ٤٤٠، وصفا خاصا بإجدى هدابيات الأقدام[2] اليرقانية[3]: "لها ستة أزواج من الأرجل السباحية[4] المشيدة بشكل جميل، وزوج من العيون المركبة[5] الرائعة، وزبانيات معقدة إلى أقصى حد". وكنا معتادين السخرية منه لهذه الجملة، التى كنا نقوم بمقارنتها بأحد الإعلانات. وتتضح هذه النزعة للاستسلام للتحول الحماسى[6] فى أفكاره، دون التهيب من أن يصبح مثيرا للسخرية، فى مواضع أخرى من كتاباته.

---

(١) السذاجة — Naivete
(٢) هدابى الأقدام (حيوان) — Cirrepede
(٣) يرقانى — Larval
(٤) سباحى — Natatory
(٥) عين مركبة — Compound eye
(٦) حماسى — Enthusiastic

كانت نبرته[1] الدمثة[2] والمستميلة[3] للقارئ ملحوظة، ولابد أن هذه الخاصية كانت بشكل جزئى، هى التى قامت بالكشف عن العذوبة الشخصية الموجودة فى طابعه، للكثيرين الذين لم يروه على الإطلاق. وكنت أشعر دائما بأنها حقيقية غريبة، أن الذى قام بتغيير وجه علم الأحيائيات، والذى يمثل من هذه الجهة رئيس العصريين، قد كان من شأنه الكتابة والعمل بهذه الروح والطريقة غير العصرية، بشكل جوهرى للغاية. حيث كان يتم أثناء القيام بقراءة كتبه، تذكير المرء بالعلماء القدامى فى التاريخ الطبيعى، بدلا من الكتاب التابعين للمدرسة الحديثة. فلقد كان عالما فى التاريخ الطبيعى، بالمعنى القديم من الكلمة، وهذا يعنى الإنسان الذى يعمل على الكثير من الفروع من العلم، وليس مجرد المتخصص فى واحد منها. وهكذا فبالرغم من أنه قام بتأسيس أقسام كاملة جديدة من المواضيع الخاصة - مثل تلقيح الزهور، والنباتات الملتهمة للحشرات، وازدواج الهيئة[4]، وخلافها - فإنه كان حتى فى معالجته لتلك المواضيع بالذات، لا يستوقف القارئ على أساس أنه متخصص. وكان القارئ يشعر وكأنه صديق يتم التحدث إليه، عن طريق رجل محترم ذى كياسة، وليس وكأنه تلميذ تتم محاضرته، عن طريق أحد الأساتذة. وكانت النبرة الخاصة بكتاب مثل "النشأة" ساحرة، وكانت نبرة رجل مقتنع بصدق وجهات نظره، ويتوقع بالكاد أن ينجح فى إقناع الآخرين، وهو العكس تماما لأسلوب أى من المتعصبين[5]، الذى يريد إجبار الناس على الإيمان. ولا يشعر القارئ بالاشمئزاز على الإطلاق، لأى كمية من الشك التى من الممكن تخيل شعوره بها، بل تتم معالجة نزعته إلى الشك باحترام صبور. ويبدو أن أى قارئ يميل إلى الشك، أو ربما حتى أى قارئ غير قابل للتفكير، قد قام بشكل عام

---

(١) نبرة Tone
(٢) دمث = لطيف Courteous
(٣) مستميل Conciliatory
(٤) ازدواج الهيئة Dimorphism
(٥) متعصب Fanatic

بالتجاوب مع أفكاره. ومن المحتمل أنه قام نتيجة لهذا الشعور، بتحمل الكثير من المشقة تجاه بعض النقاط، التى تخيل أن من شأنها أن تقوم بلفت أنظار القارئ، أو توفر عليه المشقة، وبذلك تغريه على متابعة القراءة.

قام لنفس هذا السبب بالاهتمام بشكل كبير، بالرسومات التوضيحية(١) فى كتبه، وأعتقد أنه وضع قيمة مرتفعة جدا لها. وكانت رسومات كتبه التوضيحية المبكرة، يتم رسمها بواسطة فنانين محترفين. وكان ذلك هو الحال فى كتاب "تمايزات الحيوانات والنباتات"، و"نشأة الإنسان"، "والتعبير عن الانفعالات". وعلى الجانب الأخر، كانت كتب "النباتات المتسلقة" Climbing Plants، والنباتات الملتهمة للحشرات" Insectivorous Plants، و"تحركات النباتات" Movements of Plants، و"أشكال الزهور" Forms of Flowers، موضحة إلى درجة كبيرة، عن طريق البعض من أطفاله – فقد قام أخى "جورج" برسم معظمها تقريبا. وكنت سعيدا بقيامى بالرسم له، وذلك لأنه كان مفعما بالحماس، عند إطرائه للإنجازات المتواضعة جدا. وأتذكر بشكل جيد، طريقته الساحرة عند تلقيه رسومات زوجة أحد أبنائه، وكيف كان يقوم بإنهاء كلماته الإطرائية بقوله: "أخبرى" أ. –،" أن "مايكل أنـــجلو"Micheal Angelo، لا يساوى شيئا بالنسبة لذلك". ورغم أنه كان يقوم بالإطراء بهذا الشكل السخى، فإنه كان يقوم بالتطلع بشكل مدقق إلى الرسم، وكان يكتشف بسهولة أى خطأ أو أى إهمال فيه.

كان لديه ذعر من أن يكون شديد التطويل(٢)، ويبدو أنه كان مستاءً ومغموما بشكل كبير، عندما وجد كيف أن كتاب " تمايزات الحيوانات والنباتات"، كان يقوم بالتضخم تحت يده. وأتذكر اتفاقه بشكل عميق(٣) مع كلمات "تريسترام شاندى"

---

(١) الرسومات التوضيحية Illustrations

(٢) شديد التطويل = مطول Lengthy

(٣) بشكل عميق Cordially

"لا تدع أى رجل يقول، هيا، سوف أقوم بكتابة أحد الكتب، من Tristram Shandy القطع الاثنى عشرى[١].

كان اعتباره للمؤلفين الآخرين شيئا من مميزاته، بنفس الشكل الذى كانت عليه نبرته الموجهة إلى قرائه، وكان يتحدث عن جميع الثقات الآخرين، على أساس أنهم أشخاص يستحقون الاحترام. وفى الحالات التى كان يشعر فيها بالاستخفاف بالمؤلف، مثل حالة تجارب "-" على نبات ورد الشمس، فإنه كان يتحدث عنه، بطريقة لا تجعل أى شخص يشك فى ذلك. وكان يقوم فى حالات أخرى، بالتعامل مع الكتابات المرتبكة الخاصة بالجهلاء من الأشخاص، كما لو كان الخطأ يقع عليه وحده، لعدم شعوره بالتقدير أو الاستيعاب لهم. وكانت له بجانب هذه النبرة العامة من الاحترام، طريقة لطيفة فى التعبير عن رأيه، حول قيمة العمل المستشهد به، أو امتنانه، من أجل معلومة ذات خصوصية قدمت إليه.

لم يكن شعوره المحترم شيئا جميلا من الناحية الأخلاقية فقط، لكننى أعتقد أنه كان ذا فائدة عملية، فى جعله مستعدا للتفكير، فى الآراء والملاحظات الخاصة بكل ضرب من الناس. وكان يقوم تقريبا بالاعتذار عن ذلك، وكان من شأنه أن يقول، إنه كان يميل فى أول الأمر، إلى تقدير كل شىء بشكل مرتفع جدا.

كانت من الفضائل[٢] العظيمة لذهنه، أنه رغم احتفاظه بشعور محترم غاية فى القوة تجاه ما يقوم بقراءته، فقد كانت لديه أقوى الغرائز، بالنسبة لما إذا كان أحد الرجال جديرا بالثقة أم لا. ويبدو أنه كان يقوم بتكوين رأى محدد، بالنسبة لدقة الرجال، الذين يقوم بقراءة كتبهم، وكان يقوم باستخدام هذا الحكم، فى اختيار الحقائق المستخدمة فى تقديم البرهان أو كأمثلة موضحة. ولقد اكتسبت الانطباع بأنه كان يشعر، بالقيمة الكبيرة لهذه القدرة على القيام بتقدير جدارة الإنسان بالثقة.

---

(١) كتاب من القطع الاثنا عشرى — Duodecimo

(٢) فضيلة — Merit

كان لديه شعور عارم بالحس الشرفى[١]، الذى يتحتم أن يسود بين المؤلفين، وكان لديه ذعر من أى نوعية من التراخى فى الاستشهاد. وكان لديه ازدراء للولع بالتشريف والتمجيد، وكان كثيرا ما يقوم فى خطاباته بلوم نفسه، على الشعور بالسعادة الذى كان يحصل عليه، من نجاح كتبه، كما لو كان ذلك تخليا منه عن مثله العليا - وهى الحب للصدق، وعدم الاهتمام بالشهرة. وكثيرا ما كان يقوم، عند كتابته لـ "السير ج. هوكر" ما يطلق عليه خطاب متباه[٢]، بالسخرية من نفسه لغروره وافتقاده للتواضع. وهناك خطاب مشوق بشكل مدهش قام بكتابته إلى والدتى، يوصيها فيه فى حالة وفاته، أن تهتم بنشر المخطوط اليدوى، الخاص بأول مقالة علمية له عن التطور. ويبدو لى هذا الخطاب مليئا بالرغبة العارمة، فى أن يكون من شأن نظريته أن تنجح فى اعتبارها كمساهمة منه فى المعرفة، وبعيدا عن أى رغبة فى الشهرة الشخصية. وقد كانت لديه بالتأكيد الرغبة الصحيحة للنجاح، التى يتحتم أن تكون لدى أى إنسان ذى مشاعر قوية. ولكن عندما حان وقت النشر لكتابه "النشأة"، كان من الواضح أنه يشعر بالارتياح الغامر، بالالتصاق برجال على شاكلة "لايل"، و"هوكر"، و"هوكسلى"، و"آساجراى"، ولم يكن يحلم على الإطلاق، أو يرغب فى أى شهرة على هذا القدر من الاتساع والعمومية التى وصل إليها.

كان الشىء المرتبط باشمئزازه من الولع الذى لا داعى له بالشهرة، يتمثل فى الكراهية القوية لجميع الأمور المتعلقة بالأسبقية[٣]. وتقوم الخطابات الموجهة إلى "لايل"، فى توقيت ظهور كتاب "النشأة"، بتوضيح الغضب الذى شعر به من نفسه، لعدم قدرته على كبت الشعور بخيبة الأمل، لما ظنه من قيام "السيد والاس"، بقطع الطريق أمام كل الأعوام التى قضاها فى العمل، وقد كان إحساسه بالشرف

---

(١) الحس الشرفى * Sense of honour

(٢) يتباهى Boast

(٣) الأسبقية = الأولوية Priority

الأدبى(١)، يظهر بشكل قوى فى تلك الخطابات، وقام شعوره بالأسبقية بالظهور مرة أخرى، فى الإعجاب الذى قام بالتعبير عنه فى "استرجاعاته"، عن الإنكار الذاتى(٢) الذى أبداه "السيد والاس".

كان شعوره قويا تجاه التصويبات(٣)، بما فى ذلك الإجابات على المهاجمات وجميع الأصناف من المناقشات. وقد تم التعبير عنه ببساطة، فى خطاب موجه إلى "فالكونر Falconer (عام ١٨٦٣)، بقوله: "إذا شعرت على الإطلاق بالغضب تجاهك، وأنا الذى لدىَّ صداقة مخلصة لك، فيجب على أن أبدأ فى الشك، فى أننى قد أصبت بالقليل من الجنون. لقد شعرت بالأسف الشديد حول تصويبك، وأعتقد أنها غلطة كان يجب أن يتم تركها فى جميع الأحوال لآخرين. واذا حدث وكان لى أن أقوم بالتصرف شخصيا، تحت تأثير الاستفزاز(٤)، فإن ذلك موضوع مختلف". وقد كان ذلك شعورا تم إملاؤه جزئيا، عن طريق الكياسة الغريزية، وبشكل جزئي عن طريق الإحساس القوى بإهدار الوقت، والطاقة، والمزاج، الذى يتسبب بهذا الشكل. وقد قال إنه مدين بتصميمه على عدم الدخول فى مناقشات [9]، إلى نصيحة "لايل"، - وهى نصيحة قام بنقلها إلى هؤلاء الأشخاص من أصدقائه، الذين كانوا منصرفين إلى الأعمال الكتابية.

إذا كان لطابع حياة والدى العملية أن يتم استيعابه، فلابد من وضع حالات اعتلال الصحة، التى كان يعمل تحت تأثيرها، بشكل دائم أمام أعيننا. لقد قام بتحمل مرضه بقدر كبير من الصبر غير المتذمر، إلى حد أننى أعتقد أن من الصعب حتى على أطفاله إدراك مدى معاناته المعتادة. وتتضاعف الصعوبة فى حالاتهم عن طريق الحقيقة، بأنهم منذ أكثر أيام استرجاعاتهم تبكيرا، كانوا يرونه فى حالة دائمة

---

(١) الشرف الأدبى Literary honour

(٢) الانكار الذاتى Self - annihilation

(٣) التصويبات Reclamations

(٤) الاستفزاز Provocation

من اعتلال الصحة، - ولكنهم شاهدوه رغم ذلك، ممتلئا بالسعادة بما فيه سعادة لهم. وهكذا كان لابد أن يتم فى وقت متأخر من الحياة، فصل استيعابهم لما كان يقوم باحتماله، عن الانطباع الذى حدث فى سن الطفولة، عن طريق العطف الفطرى المستمر، الموجود تحت تأثير ظروف الصعوبة غير المعلومة لهم. ولا يوجد أحد بالفعل- باستثناء والدتى- على علم بالكمية الكاملة من المعاناة التى كان يتحملها، أو الكمية الكاملة لصبره المدهش. لأنها لم تقم على الإطلاق طوال جميع الأعوام الأخيرة من عمره، بتركه وحيدا لليلة واحدة، وكانت أيامها مخططة بحيث تقوم بمشاركته، فى جميع ساعات راحته. وكانت تقوم بدرء كل مضايقة من الممكن تلافيها، ولم تغفل أى شيء، قد يجنبه أى متاعب، أو يمنعه من أن يصبح مجهدا بشكل زائد عن الحد، أو من الممكن أن يقوم بالتخفيف[١] من مضايقات اعتلال صحته. وأشعر بالتردد من الحديث بحرية بهذا الشكل، عن شيء على هذه الدرجة من القداسة، مثل الإخلاص مدى الحياة، الذى قام بحث كل هذا الاعتناء المستمر والرقيق. ولكننى أكرر مرة أخرى، أنه كان من الملامح الجوهرية فى حياته على مدى ما يقرب من الأربعين عاما، أنه لم يعرف على الإطلاق يوما واحدا من صحة الأناس العاديين، وأن حياته كانت بهذا الشكل، واحدة من الكفاح الطويل ضد الإرهاق والإجهاد الناتجين عن المرض. ولا يمكن القيام بقول هذا، دون الحديث عن الظرف الوحيد الذى مكنه من تحمل هذا الجهد، ومن القيام بالكفاح إلى النهاية.

(١) يخفف - يهون Alleviate

الهوامش

١- الرسم الممثل لمحتويات الخلية الإجمالية = Aggregated الموجود فى كتاب "النباتات الآكلة للحشرات" Insectivorous Plants، تم رسمه بواسطته.

٢- تم تصوير السلة التى كانت الكلبة تقوم فى العادة بالتفاف داخلها، بالقرب من المدفأة الموجودة فى غرفة مكتبه، بإخلاص فى رسم "السيد بارسون" عن غرفة المكتب الموجود فى بداية هذا الجزء.

٣- قارن ذلك مع قصة "ليلى ستيفين" Leslie Stephen بعنوان "سويفت" Swift، عام ١٨٨٢، صفحة ٢٠٠، عنما تقوم "سويفت" بتفقد الأخلاق والعادات الخاصة بالخدم عند مقارنتها بملاحظات والدى عن الديدان، حيث يقول "السيد ستيفن" إن الاختلاف كان فى أن "داروين" لم يكن لديه سوى مشاعر رقيقة تجاه الديدان".

٤- انظر "Darwin considere au point de vue des causes de son succes" جنيف، عام ١٨٨٢.

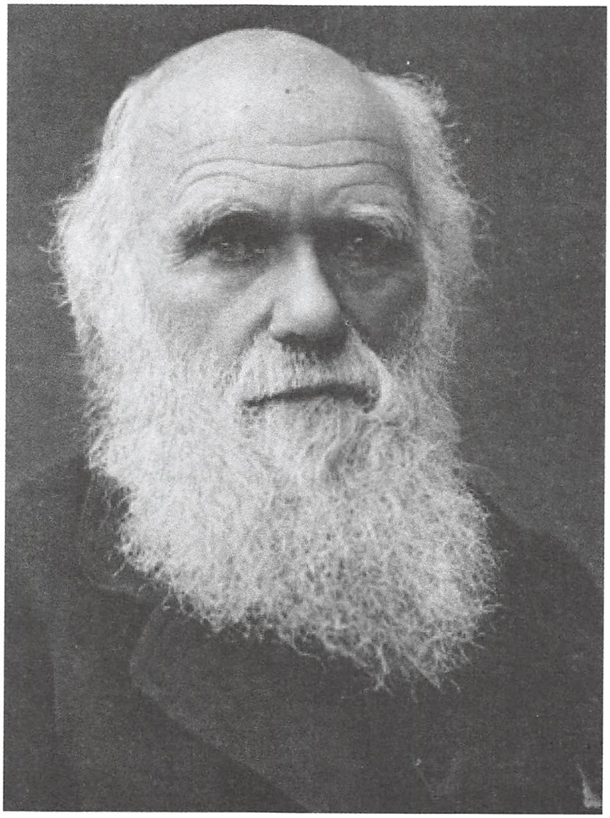
٥- قام والدى بسرد إجابة "جونسونية" Johnsonian (صياغة أدبية نسبة إلى صموئيل جونسون تتميز بأناقة الصياغة اللفظية) خاصة بـ"إراسموس داروين" عند سؤاله: "ألا تجد أنه من المزعج لك أن تقوم بالتهتهة، يا دكتور داروين؟ " أجاب: "لا يا سيدى، لأن ذلك يوفر لى الوقت لكى أفكر قبل أن أتكلم، ولا أتقدم بأسئلة وقحة = Impertinent".

٦- محاضرة بواسطة "الدكتور ب. و. ريتشاردسون" Dr. B. W. Richardson، في "قاعة سانت جورج" St. George's، في ٢٢ أكتوبر ١٨٨٢.

٧- هذا ليس مثالا للإفراط في وضع النظريات نتيجة لأي سبب صغير، بقدر رغبته في الاختبار للأفكار غير المحتملة إلى أقصى حد.

٨- الرفوف التي كان يتم وضع حوافظ الأوراق عليها موضحة في الرسم التوضيحي الموجود في أول هذا الجزء، في الفجوة الموجودة على الجانب الأيمن من المدفأة.

٩- قام بالتخلي عن هذه القاعدة في كتاباته عن Note on the Habits of the Pampas Wood Pecker, Colaptes, Campestris، المنشورة في Proc. Zool. Soc.، عام ١٨٧٠، صفحة ٧٠٥، وأيضا في خطاب تم نشره في "Athenaeum" عام ١٨٦٣، صفحة ٥٥٤، وقد شعر بالندم في تلك الحالة بعد ذلك لأنه لم يظل صامتا. أما ردوده على الانتقادات، الموجودة في الإصدارات المتأخرة من كتاب " أصل الأنواع " (نشأة الأنواع الحية)، فمن الصعب توصيفها على أساس أنها خرق = Infraction لهذه القاعدة.



لوحة (٥٦)

داروين فى العام السابق لوفاته

حــواشی

حاشيـة
بالمقاطع التى تم حذفها من الإصدار الأول

فيما يلى المقاطع التى اعتبرتها عائلة "تشارلس داروين"، شخصية جدا، أو مثيرة للجدال، الذى قد يؤدى إلى تشويه صورته بعد مماته، ومن الممكن أن تؤدى إلى إيذاء مشاعر العائلة، والتى نوه إليها ابنه "فرانسيس داروين"، فى مقدمة إصداره للسرد الذاتى لحياة والده، فى عام ١٨٨٧. وقد قامت حفيدة "تشارلس داروين" بنشر تلك المقاطع، فى عام ١٩٥٩، ابتغاء عدم التدخل فى المذكرات التى تركها جدها، وعرضها أمام كل الناس بأمانة تامة .. وقد تم ترقيم الهوامش المتعلقة بتلك المقاطع، بنفس الطريقة التى قام أفراد العائلة باتباعها، وما يقابلها من أسماء الذين أضافوا إلى الحواشى بالمذكرات الأصلية لصاحب السيرة.

انقدت فى غضون هذين العامين [1]، للتفكير الكثير، حول المعتقدات الدينية(١).فقد كنت أثناء وجودى على متن السفينة "البيجل"، مستقيم التدين(٢) تماما، وأتذكر أنه كثيرا ما كان يتم الضحك من القلب على تصرفاتى، عن طريق العديد من الضباط (رغم أنهم كانوا مستقيمى التدين)، لاستناد(٣) إلى الكتاب المقدس(٤)، على أساس أنه مرجع قاطع(٥)، حول أى نقطة تخص المبادئ الأخلاقية(٦). وأعتقد

(١) المعتقدات الدينية = الديانة — Religion
(٢) مستقيم التدين — Orthodox
(٣) يستند = يقتبس — Quote
(٤) الكتاب المقدس — Bible
(٥) قاطع = لا راد له — Unanswerable
(٦) المبادئ الأخلاقية — Morabity

أن سذاجة الجدل كانت، هى التى قامت بإضحاكهم. ولكننى وصلت بالتدريج فى ذلك الوقت، إلى النظر للعهد القديم، نتيجة للتاريخ الزائف الذى يحتويه عن العالم، بما فى ذلك "برج بابل" Tower of Babel، وعلاقات قوس قزح[١]، الخ ٠٠الخ ونتيجة للإسناد إلى الله، مشاعر الطاغية[٢] المنتقم[٣]، على أساس أنه لا يمكن الوثوق به بشكل أكثر، من الكتب المقدسة[٤] للهندوسيين Hindoos، أو معتقدات الهمجيين[٥]. و ظل التساؤل منذ ذلك الحين يتزايد بشكل مستمر فى ذهنى، ولم يكن من الممكن إبعاده[٦]،-هل من القابل للتصديق أن يقوم الإله بالإيحاء[٧] إلى الهندوسيين الآن، وهل من شأنه أن يسمح بأن يكون ذلك مرتبطا بالإيمان بـــ"ڤيشنو" Vishnu، و"سيـــڤا" Siva، وما إلى ذلك، بنفس الشكل الذى ترتبط به الديانة المسيحية بالعهد القديم Old Testament. وقد بدا لى ذلك، غير قابل للتصديق على الإطلاق.

وصلت بالتدريج عن طريق الاستطراد فى تقليب الفكر، فى الدلائل الواضحة إلى أقصى حد التى من المحتم توافرها لأى إنسان عاقل، لكى تجعله يؤمن بالمعجزات[٨] التى تستند إليها المسيحية، - وأنه كلما زاد ما نعرفه عن قوانين الطبيعة الثابتة، أصبحت المعجزات غير قابلة للتصديق بشكل أكبر، - وأن الأناس فى ذلك الوقت، كانوا على درجة من الجهل والسذاجة[٩] التى لا يمكن أن

---

(١) قوس قزح — Rainbow
(٢) طاغية — Tyrant
(٣) منتقم — Revengeful
(٤) مقدس — Sacred
(٥) همجى = غير متمدين — Barbarian
(٦) إبعاد = طرد — Banish
(٧) إيحاء — Revelation
(٨) معجزة — Miracle
(٩) السذاجة — Credulous

نتخيلها، - وأنه لا يمكن إثبات أن رسائل الإنجيل[١] قد تمت كتابتها متزامنة مع الأحداث - وأنها تختلف فى الكثير من التفاصيل المهمة، التى تزيد فى أهميتها، كما يبدو لى، عن أن يتم الاعتراف بها، على أساس أنها ناتجة عن عدم الدقة المعتادة لشهود العيان[٢]، - وعن طريق التأملات التى على هذه الشاكلة، التى قمت بها ليس على أساس أن لها أقل قيمة أو حداثة، ولكن لأنها قامت بالتأثير علىَّ، إلى الجحود[٣] بالمسيحية، على أساس أنها إيحاء سماوى. وكان من شأن الحقيقة أن الكثير من الاعتقادات الدينية الزائفة، قد قامت بالانتشار فوق أجزاء ضخمة من العالم، مثل النيران الجامحة، أن يكون لها بعض الوقع على نفسى. ورغم الجمال الذى تتصف به المبادئ الأخلاقية الموجودة بالعهد الجديد New Testament، فإنه من الصعب إنكار أن كمالها يعتمد فى جزء منه على التأويل، الذى نقوم بوضعه فى الوقت الحالى، على سبيل المجازات [٤] والمزاعم[٥].

لكننى كنت غير مستعد للتخلى عن إيمانى، - وأنا متأكد من ذلك، لأننى أستطيع تذكر قيامى مرات ومرات، بابتكار أحلام يقظة[٦]، عن مراسلات بين مواطنين رومان متميزين، ومخطوطات يدوية، يتم اكتشافها فى "بومـبـاى" Pompey أو أى مكان آخر، التى تؤكد بطريقة أخاذة إلى أقصى حد، جميع ما تمت كتابته فى رسائل الإنجيل. لكننى وجدت أن الأمر يزداد صعوبة، مع إعطاء المجال الحر لخيالى، لكى يقوم بابتكار الأدلة، التى قد تكون كافية لإقناعى. وبهذا الشكل، بدأ انعدام التصديق فى الزحف على ذهنى، بمعدل غاية فى البطء، لكنه أصبح فى آخر الأمر كاملا. وقد كان المعدل بطيئا جدا، بحيث أننى لم أشعر بأى ضيق، ولم

---

(١) رسائل الإنجيل (العهد الجديد) Gospels
(٢) شاهد عيان Eyewitness
(٣) الجحود = الإنكار Disbelieve
(٤) مجاز = استعارة Metaphors
(٥) المزاعم * Allegories
(٦) حلم يقظة Day - dream

أشك على الإطلاق منذ ذلك الحين، حتى ولو لثانية واحدة، فى أن استنتاجى كان صحيحا. ومن الصعب علىَّ بالفعل، أن أرى كيف يتعين على أى شخص، أن يتمنى أن يكون الاعتقاد المسيحى صادقا، لأنه يبدو إذا كان الأمر كذلك، أن الكلام الواضح الموجود بالنص، يشير إلى أن الأناس الذين لا يؤمنون، وهذا من شأنه أن يشمل أبى، وأخى، وجميع أصدقائى تقريبا، سوف يتم عقابهم بشكل أبدى. وهذا مذهب لعين(١) [2].

رغم أننى لم أفكر كثيرا حول وجود إله شخصى، إلى أن وصلت إلى مرحلة متأخرة بشكل له اعتباره من حياتى، فإننى سوف أقوم هنا بتقديم الاستنتاجات المبهمة التى تم دفعى إليها حيث تسقط الآن البراهين القديمة الخاصة بوجود تخطيط(٢) فى الطبيعة، كما تم تقديمها بواسطة "بالى" Paley، التى بدت لى فى الماضى على أساس أنها جازمة إلى أقصى حد، بعد أن تم اكتشاف قانون الانتقاء الطبيعى(٣). ولا نستطيع الاستمرار فى المجادلة حول، على سبيل المثال، أنه لا بد أن تكون المفصلة(٤) الجميلة الخاصة بأى قوقعة ثنائية المصراع(٥)، قد تم صنعها بواسطة أحد الكائنات الذكية، مثلما تم صنع مفصلة الباب بواسطة الإنسان. ويبدو أنه ليس هناك أى تخطيط موجود فى القابلية للتغاير(٦) الخاصة بالكائنات المتعضية والموجودة فى الانتقاء الطبيعى، أكثر من الموجود فى هبوب الريح. فكل شىء موجود فى الطبيعة، ناتج عن قوانين ثابتة. ولكننى قمت بتناول هذا الموضوع، فى نهاية كتابى عن " تمايز الحيوانات والنباتات الداجنة" Variation of Domestic Animals and Plants[3]، والبراهين التى تم تقديمها هناك، طبقا لما رأيته، لم يتم الرد عليها على الإطلاق.

---

(١) لعين = يستحق اللعنة Damnable

(٢) تخطيط = يرسم خطة = تصميم Design

(٣) الانتقاء الطبيعى * Natural selection

(٤) المفصلة Hinge

(٥) ثنائى المصراع = ذو مصرعين Bivalve

(٦) القابلية للتغاير أو التمايز * Variability

ولكن بالتغاضى عن التكيفات الجميلة التى لا نهاية لها، التى نتقابل معها فى كل مكان، فمن الممكن أن يثور التساؤل، حول كيف يمكن تفسير الترتيب العالمى المفيد بشكل عام ؟ وهناك بالفعل بعض الكتاب الذين تأثروا من كمية المعاناة الموجودة فى العالم، إلى درجة أنهم يشكون فى ما هو المنتظر بالنسبة إلى جميع الكائنات الواعية(١)، سواء كان هناك المزيد من التعاسة أو السعادة، – وسواء كان العالم بكل ما فيه، عالمًا جيدًا أم سيئًا. وبناء على تقديرى، فإن السعادة تسود بشكل مؤكد، رغم أن ذلك من شأنه أن يكون صعب الإثبات. وإذا تم التسليم بصحة هذا الاستنتاج، فإن ذلك يتوافق(٢) جيدا مع التأثيرات التى من الممكن لنا أن نتوقعها من الانتقاء الطبيعى. فإذا كان من شأن جميع الأفراد التابعين لأى من الأنواع، أن تعانى بشكل مألوف إلى درجة متناهية، فسوف يكون من شأنهم، الانصراف عن الإكثار(٣) من صنفهم، ولكن ليس لدينا أى سبب يجعلنا نؤمن، أن هذا يحدث دائمًا أو على الأقل، أنه كثيرا ما يحدث. والأكثر من ذلك، فإن هناك اعتبارات أخرى، تؤدى إلى الإيمان بأن جميع الكائنات الواعية قد تم تشكيلها، كقاعدة عامة، من أجل الاستمتاع بالسعادة.

سوف يقر كل شخص يؤمن، مثلما أفعل، بأن جميع الأعضاء الجسدية(٤) والذهنية(٥) (مع الاستثناء لتلك التى لا تكون مواتية أو غير مواتية، للحائز عليها) الخاصة بجميع الكائنات، قد تم تطويرها من خلال الانتقاء الطبيعى، أو البقاء على قيد الحياة للأصلح(٦)، بالإضافة إلى الاستخدام أو الاعتياد(٧) [4]، بأن تلك الأعضاء

---

(١) واعى Sentient

(٢) يتوافق Harmonise

(٣) يكثر = يتناسل Propagate

(٤) جسدى Corporal

(٥) ذهنى Mental

(٦) البقاء على قيد الحياة للاصلح * Survival of the Fittest

(٧) الاعتياد = العادة Habit

الجسدية، قد تشكلت لكى يكون من الممكن لحائزها، أن يتنافس بنجاح مع الكائنات الحية الآخرى، وبهذا الشكل يزداد فى العدد. وهكذا، فمن الممكن دفع أى حيوان إلى إتباع هذا المسار من التصرف، الأكثر فائدة للنوع الحى، عن طريق المعاناة من أشياء مثل، الألم، والجوع، والعطش، والخوف، - أو عن طريق المتع الحسية[١]، كما هو موجود فى الأكل والشرب، والإكثار من النوع وما يدور حوله، أو عن طريق كلٍّ من الوسيلتين مجتمعتين، كما هو موجود فى البحث عن الطعام. ولكن إذا استمر الألم أو المعاناة من أى نوعية لوقت طويل فإن ذلك يتسبب فى الانخفاض والإقلال من القدرة على التصرف، مهما كان الإعداد جيدا، لجعل الكائن قادرا على حماية نفسه، فى مواجهة أى شر كبير أو مفاجئ. ومن الممكن على الجانب الأخر، أن تستمر الأحاسيس الباعثة على السرور، لمدة طويلة، بدون أى تأثير إحباطى، بل تقوم على العكس من ذلك، باستثارة المنظومة الجسمانية[٢] بأكملها، إلى زيادة الأداء. وبناء على ذلك، تم التقبل لأن معظم أو جميع الكائنات الواعية، قد تم تطويرها بمثل هذه الطريقة، من خلال الانتقاء الطبيعى، وأن الأحاسيس الباعثة على السرور تفيد على أساس، أنها المرشد المعتاد لها. ونحن نرى هذا فى الشعور بالسرور، نتيجة القيام بمجهود، وحتى فى بعض الأحيان، نتيجة للإجهاد الكبير للجسم والذهن، وفى الشعور بالسرور من واجباتنا اليومية، وبشكل خاص فى الشعور بالسرور، المستمد من الاختلاط مع الآخرين[٣]، والناتج عن الشعور بالحب لعائلاتنا. ولا يساورنى الشك فى أن المجموع الخاص بمثل تلك الاستمتاعات، هى تلك التى تقوم، بشكل معتاد أو بشكل كثير التكرار، بمنح معظم الكائنات الواعية، أى زيادة فى الشعور بالسعادة عن الشعور بالتعاسة، رغم أن الكثير منها، يعانى أحيانا بشكل كبير. وتتوافق مثل تلك المعاناة تماما، مع الإيمان بالانتقاء الطبيعى، حيث إنه ليس مثاليا فى مفعوله، ولكنه يميل فقط، إلى جعل كل

---

(١) المتع الحسية — Pleasures

(٢) المنظومة (الجسمانية) — System

(٣) الاختلاط مع الآخرين — Sociability

نوع ناجح بقدر المستطاع، فى المعركة[1] من أجل الحياة مع الأنواع الأخرى، فى ظل ملابسات معقدة ومتغيرة بشكل مدهش.

لا ينكر أحد أن هناك الكثير من المعاناة فى العالم. وقد حاول البعض تفسير ذلك بالنسبة للإنسان، عن طريق التخيل بأنه مفيد لصلاحه الأخلاقى. إلا أن عدد الأناس لا يمثل شيئا، بالمقارنة مع ذلك الخاص بجميع الحيوانات الواعية، وتلك كثيرا ما تعانى، بدون أى تحسن أخلاقى. والكائن المتناهى فى القوة، والملىء بالمعرفة إلى أقصى حد، مثل الإله الذى يستطيع القيام بخلق الكون، يكون بالنسبة الى أذهاننا المحدودة، واسع القدرة[2] وعليمًا بكل شىء[3]، ومن الأشياء التى تتمرد على فهمنا، الافتراض بأن إحسانه[4] ليس مطلقا، حيث ما هى الميزة التى من الممكن أن تكون موجودة، فى معاناة الملايين من الحيوانات المتدنية فى المستوى، على مدى الزمن الذى لا نهاية له تقريبا؟. وتبدو هذه الحجة البالغة القدم، الناتجة عن وجود المعاناة، ضد الوجود لسبب أولى ذكى، بالنسبة لى حجة قوية، بينما، كما تم التعليق الآن، يتوافق الوجود للكثير من المعاناة، بشكل جيد، مع وجهة النظر الخاصة بأن جميع الكائنات المتعضية قد تم ظهورها، من خلال التمايز والانتقاء الطبيعى.

تستمد أكثر البراهين المعتادة، فى الوقت الحالى، على الوجود لإله ذكى، عن الاقتناع والمشاعر الداخلية العميقة، التى يشعر بها معظم الأشخاص. ولكن لا يمكن الشك فى أن الهندوسيين، والمسلمين وغيرهم، من الممكن أن يقوموا بالمجادلة بنفس الطريقة وبقوة مساوية، لصالح الوجود لإله واحد، أو للكثير من الآلهة، أو مثل ما هو عليه الحال مع "البوذيين" Buddists، بعدم الوجود لأى إله.

---

(١) المعركة Battle

(٢) واسع القدرة Omnipotent

(٣) عليم بكل شىء Ominscient

(٤) إحسان Benevolence

وهناك الكثير من القبائل الهمجية، التى لا يمكن أن يقال عنهم بأى صدق، أنهم يؤمنون بما نقوم نحن بتسميته إلها: فإنهم يؤمنون بالفعل بالأرواح(١) والأشباح(٢)، ومن الممكن كما وضحه "تايلر" Tyler و"هيربرت ســـبنسر" Herbert Spencer، تفسير كيف يكون من شأن مثل هذا الإيمان أن ينشأ.

كنت منقادا فى الماضى، عن طريق مشاعر مماثلة لما أشرت إليه الآن (رغم أننى لا أظن أن الميول الدينية الموجودة بداخلى، كانت قوية التكوين على الإطلاق)، إلى الاقتناع الثابت بوجود الله، وبخلود(٣) الروح(٤). وقد كتبت فى يومياتى، أننى أثناء وقوفى وسط العظمة الخاصة بغابة برازيلية، " كان من غير الممكن تقديم أى فكرة كافية، عن المشاعر العالية الخاصة بالتعجب(٥)، والإعجاب(٦)، والتفانى(٧) التى تملأ وترقى بالذهن". وأتذكر جيدًا اقتناعى، بأن هناك شيئا أكثر بداخل الإنسان، من مجرد التنفس الخاص بجسده. ولكن ليس من شأن أعظم المناظر أن يتسبب الآن، فى إثارة أى شىء مماثل لتلك القناعات والمشاعر، فى ذهنى. ومن الممكن أن يقال بشكل صادق، إننى مثل أى إنسان أصبح مصابا بعدم تمييز الألوان(٨)، وأن الإيمان العام للناس بوجود اللون الأحمر، يجعل فقدانى الحالى القدرة على التمييز، ليس له أى قيمة ولو ضئيلة عند تقديمه كدليل. ومن شأن هذا الدليل أن يكون له قيمة لو توافر لدى الناس التابعين لجميع الأعراق، اقتناع داخلى بوجود إله واحد، لكننا نعلم أن هذا بعيدٌ جدا عن أن يكون

---

(١) أرواح Spirits
(٢) أشباح Ghosts
(٣) خالد Immortal
(٤) روح Soul
(٥) تعجب Wonder
(٦) إعجاب Admiration
(٧) تفانى Devotion
(٨) عدم تمييز (عمى) ألوان Colour-blind

عليه الحال. وبناء على ذلك، فإننى لا أستطيع أن أرى، أن مثل تلك القناعات والمشاعر الداخلية، قد يكون لها أى وزن، كدليل على ما هو موجود فى واقع الأمر. والحالة الذهنية التى كانت المشاهد العظيمة تقوم فى الماضى بإثارتها بداخلى، والتى كانت مرتبطة بشكل حميم مع الإيمان بالله، لم تكن مختلفة بشكل جوهرى، عن تلك التى كثيرا ما يطلق عليها، الشعور بالتسامى، ومهما كان من الصعب شرح نشأة[1] هذا الشعور، فإنه يصعب تقديمه، على أساس أنه برهان على وجود الله، بأى شكل أكثر من تلك المشاعر القوية، مع أنها مبهمة ومماثلة، التى تثيرها الموسيقى.

أما بالنسبة للخلود[5]، فلا شىء يقوم بإظهار المدى الذى وصل إليه أى إيمان من القوة والغريزية، مثل الوضع فى الاعتبار لوجهة النظر، التى يقوم باعتناقها معظم الفيزيائيين[2]، وهى بالتحديد، أن الشمس وجميع الكواكب، سوف تصبح مع مرور الوقت غاية فى البرودة، لدرجة تمنع استمرار الحياة، إلا إذا قام بالفعل جسم ضخم بالاندفاع إلى داخل الشمس، ويقوم بذلك بمنحها حياة جديدة. وعند الاتفاق معى فى الإيمان، بأن الإنسان فى المستقبل البعيد، سوف يكون كائنا أكثر اكتمالا عما هو عليه الآن، فإنها تصبح فكرة لا يمكن احتمالها، أنه وجميع الكائنات الواعية الأخرى، محكوم عليهم[3] بالإبادة[4] الكاملة، بعد مثل تلك العملية البطيئة المستمرة لوقت طويل. ولن يبدو لهؤلاء الذين يعترفون بشكل كامل، بخلود الروح البشرية، أن تدمير عالمنا، مخيف إلى هذه الدرجة:

يروق لى المصدر الآخر للاقتناع بوجود الله، المرتبط مع التزن وليس المشاعر، على أساس أن له وزنا أكبر بكثير. وهو ينبع من الصعوبة المتناهية، أو بالأحرى استحالة الاستيعاب لهذا الكون الشاسع والمدهش، بما فى ذلك الإنسان

---

(١) النشوء = التكوين — Genesis

(٢) الفيزياء — Physics

(٣) محكوم عليه — Doomed

(٤) إبادة — Annihilation

وقدراته على النظر، بعيدا نحو الماضى، وبعيدا إلى المستقبل(١)، كنتيجة لصدفة عمياء أو ضرورة. وأشعر عندما أقوم بتقليب الفكر بهذا الشكل، باضطرارى للبحث عن "مسبب أول"، له ذهن ذكى مناظر بدرجة ما، لذلك الخاص بالإنسان، وأستحق أن يطلق على أننى مؤمن بوجود الله.

كان هذا الاقتناع [6] قويا فى ذهنى، بقدر استطاعتى أن أتذكر، فى الوقت الذى كنت أقوم فيه، بكتابة "نشأة الأنواع الحية" (أصل الأنواع) Origin of Species، لكنه أصبح منذ ذلك الوقت، يزيد ضعفا بشكل تدريجى جدا، مع الكثير من التقلبات. ولكن الشك انبثق بعد ذلك - هل من المستطاع الوثوق بالذهن الإنسانى، الذى تطور طبقا لإيماني الكامل، عن ذهن مثل ذلك الذى فى حيازة أكثر الحيوانات تدنيا، عندما يقوم باستخلاص مثل تلك الاستنتاجات الهائلة، وهل من الممكن ألا تكون تلك الاستنتاجات، نتيجة للرابطة الموجودة بين السبب والتأثير، التى نتوصل إليها على أساس أنها شيء ضرورى، ولكن من المحتمل أنها لا تعتمد إلا على مجرد الخبرة المتوارثة؟. ويجب علينا أيضا ألا نغفل عن الاحتمال، بأن من شأن الطبع(٢) الدائم للإيمان بالله، على أذهان الأطفال، الذى يقوم بإنتاج تأثير غاية فى القوة، ومن المحتمل أن يكون وراثيا، على الأدمغة التى لم تتكون بشكل كامل، أن يجعل من الصعب عليهم التخلص من إيمانهم بالله، بشكل مماثل لتخلص القرد، من خوفه وكراهيته الغريزيتين، من أى أفعى[7].

لا أستطيع الادعاء بأننى قمت بإلقاء أى قدر قليل من الضوء، على مثل تلك المعضلات العويصة(٣). ويمثل الغموض المتعلق ببداية جميع الأشياء، شيئا لا حل له بالنسبة لنا، ولا بد لى شخصيا أن أكون قانعا، بأن أظل مؤمنا بالمذهب اللادرائى(٤).

---

(١) المستقبل Futurity

(٢) طبع = غرس Inculcation

(٣) عويص = مبهم Abstruse

(٤) لادرائى = الاعتقاد بأن وجود الله وأصل الكون أمور لا سبيل إلى معرفتها Agnustic

من الممكن للإنسان الذى ليس لديه إيمان مؤكد، وموجود بشكل دائم، بالوجود لإله شخصى، أو فى التواجد المستقبلى مع العقاب[١] والثواب[٢]،أن يتخذ كقاعدة فى حياته، أن يقوم فقط، باتباع تلك الدوافع والغرائز، التى تكون هى الأقوى، أو التى تبدو له أنها الأفضل. فالكلب يتصرف بهذه الطريقة، ولكنه يفعل ذلك بشكل أعمى إلى أقصى حد. بينما يقوم الإنسان على الجانب الآخر، بالتطلع إلى الأمام وإلى الخلف، ويقوم بمقارنة مشاعره، ورغباته واسترجاعاته[٣] المتنوعة. ثم يجد بعد ذلك، بالتوافق مع قرار جميع الأناس الحكماء إلى أقصى حد، إن أعلى مستوى من الإشباع يتم استمداده، من اتباع دوافع معينة، وهى بالتحديد، الغرائز الاجتماعية. حيث لو قام بالتصرف لصالح الآخرين، فسوف يتلقى استحسان رفاقه من الأناس، ويكتسب حب هؤلاء الذين يعيشون معه، ويمثل هذا الكسب الأخير بلا شك، أرقى سعادة موجودة على سطح هذه الأرض. وسوف يصبح ما لا يستطيع تحمله، أن يستجيب لأهوائه[٤] الحسية[٥]، بدلا من دوافعه الأكثر سموا، التى عندما تصبح اعتيادية، من الممكن أن يطلق عليها تقريبا أنها غرائز. ومن المحتمل أن يقوم ترزنه بالتأثير عليه فى بعض الأحيان، لكى يقوم بالتصرف بشكل مضاد لرأى الآخرين، ولن يتم عندئذ تلقى استحسانهم، ولكن سوف يظل لديه الارتياح التام بمعرفة، أنه قد قام باتباع أعمق مرشد له أو ما يسمى ضميره[٦].- وأعتقد بالنسبة لى شخصيا، أننى قد تصرفت بشكل صائب، بقيامى بالاتباع بشكل مستمر، وتكريس حياتى للعلم. وليس لدى شعور بتأنيب

---

(١) عقاب Retribution
(٢) ثواب Reward
(٣) استرجاع Recollection
(٤) اهواء Passions
(٥) حسى Sencuous
(٦) الضمير Conscience

الضمير[١] نتيجة لارتكابى أى خطيئة كبيرة، ولكننى كثيرا ما أشعر بالأسف، على أننى لم أقم بفعل خير مباشر بشكل أكثر، تجاه رفاقى من الكائنات. وعذرى الوحيد والواهن، هو الاعتلال الكبير للصحة، وتركيبتى الذهنية، التى تجعل من العسير على بشكل كبير، التخلى عن أحد المواضيع أو المشغوليات، إلى أى شىء آخر. وأستطيع التخيل بارتياح شديد قيامى بالتخلى عن حياتى كلها فى سبيل الخير الإنسانى[٢]، ولكن ليس عن جزء منها، رغم أن ذلك كان من شأنه أن يكون تصرفا أفضل بكثير.

لا يوجد شىء جدير بالاعتبار [8] بشكل أكبر، من الانتشار للنزعة الشكوكية[٣] أو المذهب العقلانى، فى غضون النصف الأخير من حياتى. وقبل أن أقوم بالارتباط استعدادا للاقتران، نصحنى أبى بالحرص على إخفاء شكوكى، وقال إنه على علم بحالات من التعاسة المتناهية، تسببت عن ذلك، مع أشخاص مقترنين. حيث سارت الأمور بشكل حسن، إلى أن أصبحت الزوجة أو أصبح الزوج معتل الصحة، وعندها عانت بعض النساء بشكل تعس، عن طريق الشك الذى دار، حول الخلاص[٤] الروحى لأزواجهن، ودفعهم إلى المعاناة بنفس الشكل. وأضاف أبى، أنه تعرف فى غضون حياته الطويلة كلها، على ثلاث نساء متشككات فقط، وعلينا تذكر أنه قد تعرف بشكل جيد، على عدد كبير جدا من الأشخاص، وأنه كان حائزا على قدرة تفوق المعتاد، على اكتساب الثقة. وعندما سألته عن تلك النساء الثلاث، أشار باحترام إلى إحداهن، وكانت أخت زوجته، "كيتى ويدجوود" Kitty Wedgwood، وقال إنه لا يمتلك دليلا قويا على ذلك، ولكن ذلك كان فى صورة تلميح غامض فقط يعاونه الاقتناع، بأنه لا يمكن لامرأة ذات رؤية واضحة، أن

---

(١) تأنيب الضمير — Remorse
(٢) الخير الانسانى — Philanthropy
(٣) النزعة الشكوكية = التشكك — Scepticism = Skepticism
(٤) الخلاص =انقاذ(من الخطيئة) — Salvation

تكون من المؤمنات. وأنا أعرف فى الوقت الحالى - رغم دائرة معارفى الصغيرة- الكثير من السيدات المتزوجات، المؤمنات بشكل أكثر قليلا جدا من أزواجهن. وكان أبى معتادا الاستشهاد ببرهان لا رد له، كانت سيدة متقدمة فى العمر، هى "السيدة بارلو" Mrs. Barlow، التى خامرها الشك فى عدم استقامته الدينية، تأمل أن تستطيع بواسطته القيام بهدايته إلى التدين، حيث قالت: "أيها الطبيب، أنا أعلم أن السكر عذب المذاق فى فمى، وأعلم أن مخلصى[١] حى".

(١) المخلص = الفادى Redeemer

الهوامش

- الملاحظات المنتهية بحرفى [F.D.]، كتبت بواسطة "فرانسيس داروين" Francis Darwin.
- الملاحظات المنتهية بحرفى [N.B.]، تشير إلى إضافات تمت بواسطة "نورا بارلو" Nora Barlow، حفيدة "تشارلس داروين"، ولم تظهر قبل عام ١٩٥٩.
- الملاحظات المنتهية بحرفى [E.D.]، تابعة لـ "إيما داروين" Emma Darwin، زوجته.

١- أكتوبر ١٨٣٦ إلى يناير ١٨٣٩ [F.D.].

٢- قامت "السيدة داروين" بكتابة حاشية حول هذه الفقرة (ابتداء من "لم أشك على الإطلاق منذ ذلك الحين" إلى "هذا مذهب العين")، بخط يدها: لا أحب أن يتم نشر هذه الفقرة. لأنها تبدو لى فجة = Raw. فلا يمكن أن يقال شىء بهذه القسوة، عن عقيدة العقاب الأبدى لعدم الإيمان - ولكن يوجد الآن عدد قليل جدا، من شأنهم أن يطلقوا على ذلك، أنه "الديانة المسيحية" (بالرغم من أن الكلمات موجودة). وهنا يأتى أيضا السؤال الخاص بالإلهام الملفوظ. [E. D.، أكتوبر ١٨٨٢] - وقد تمت كتابة هذا بعد مرور ستة أشهر على وفاة زوجها، فى نسخة ثانية من "القصة الحياتية الذاتية" بخط يد "فرانسيس داروين". ولم يتم نشر الفقرة [N.B.].

٣- يتساءل أبى إذا كان لنا أن نؤمن، بأن الأشكال كانت من ضمن المقدرات Preordained الخاصة بشظايا Fragments الصخور، التى يتم مطابقتها مع

بعضها عن طريق الإنسان، لكى يقوم ببناء منازله. وإذا لم يكن الأمر كذلك، فلماذا يكون علينا أن نؤمن، بأن تمايزات الحيوانات والنباتات الداجنة، قد تكون من المقدرات، من أجل مصلحة المستولد؟. "ولكن إذا تخلينا عن المبدأ فى إحدى الحالتين، .. فلا يمكن أن يتم تحديد أى ظل من الترزن، للإيمان بان التغايرات المتشابهة الموجودة فى الطبيعة، والناتجة عن نفس القوانين العامة، التى كانت الأساس من خلال الانتقاء الطبيعى، لتشكيل معظم الحيوانات المتهايئة بشكل مثالى فى العالم، بما فى ذلك الإنسان، قد تم إرشادها بشكل مقصود وبشكل مخصوص". انظر تمايزات الحيوانات والنباتات، الإصدار الأول، الجزء الثانى، صفحة ٤٣١- [F.D.].

٤- "بالإضافة إلى الاستخدام أو الاعتياد"، تمت إضافتها فيما بعد. والتصويبات والتعديلات الكثيرة الموجودة فى هذه الجملة، توضح انشغال باله المتزايد، باحتمالية وجود قوى أخرى تقوم بالعمل، بجانب الانتقاء الطبيعى. [N.B.].

٥- لاحقة Addendum، تمت إضافتها فى وقت لاحق، لإنهاء الفقرة [N.B.].

٦- لاحقة من أربعة أسطر، تمت إضافتها فى وقت لاحق. وهى موجودة فى نسخة مخطوط "تشارلس"، المدون بخط يد ابنه الأكبر. وموجودة فى نسخة "فرانسيس"، بخط "تشارلس" نفسه. [N.B.].

٧- تمت إضافة تلك الجملة فى وقت لاحق. وقد قامت "إيما داروين" بتحرير خطاب، طلبت فيه من ابنها "فرانك" أن يسقط هذه الجملة، عندما كان يقوم بإعداد القصة الحياتية الذاتية فى عام ١٨٨٥. والخطاب كما يلى:- "من "إيما داروين" إلى ابنها "فرانسيس"، عام ١٨٨٥"

"عزيزى فرانك،

توجد هنا جملة واحدة فى القصة الحياتية الذاتية، التى أود بشكل كبير جدا أن يتم إسقاطها، ولا شك فى أن ذلك يرجع جزئيا، لأن رأى والدك بأن جميع

المبادئ الأخلاقية = Morality قد نمت عن طريق التطور، مؤلمة بالنسبة لى، ولكن أيضا، لأن الموضع الذى تقع فيه هذه الجملة، يعطى الشخص نوعا من الصدمة - ومن شأن ذلك أن يعطى ثغرة، مهما كانت بشكل غير عادل، إلى أنه اعتبر أن جميع المعتقدات الروحية، لا تعلو على الأشياء المقيتة أو المحبوبة بشكل وراثى، مثل خوف القرود من الأفاعى.

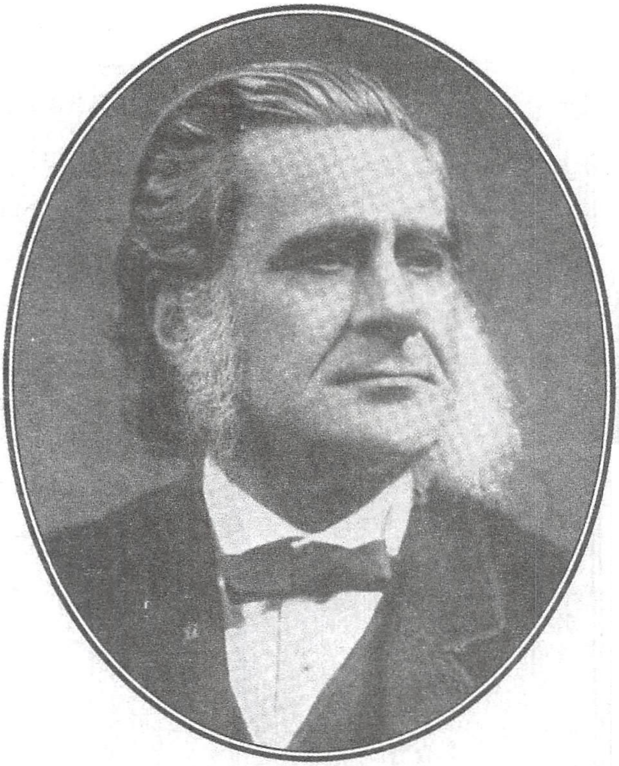
وأعتقد أن الجانب الازدرائى من شأنه أن يختفى، اذا تم ترك الجزء الأول من التخمين، بدون المثال الموضح الخاص بحالة القرود والأفاعى. ولا أعتقد أنك تحتاج إلى استشارة "وليام" William حول هذا الإسقاط، لأنه لن يقوم بتغيير الفحوى = Gist الكاملة للقصة الحياتية. وأرغب قدر المستطاع فى تجنب التسبب، فى أى معاناة لأصدقاء والدك المتدينين المرتبطين به بشكل عميق، وبإمكانى تصور الطريقة التى سوف تصدمهم بها هذه الجملة، وهذا ينطبق حتى على هؤلاء المتحررين = Liberal إلى أقصى حد، مثل "إلين توليت" Ellen Tollett و"لورا" Laura، والأكثر من ذلك بكثير "الأدميرال سوليــفان" Admiral Sullivan، و"العمة كارولين" Aunt Caroline، وغيرهم، وحتى الخدم القدامى.

تحياتى إليك يا عزيزى فرانك

أ. م.

وقد ظهر هذا الخطاب فى كتاب "إيما داروين" الصادر بواسطة "هنرييتا ليتشفيلد" Henrietta Litchfield فى الإصدار المطبوع بصورة شخصية، والصادر عن مطبعة جامعة كامبريدج" فى عام ١٩٠٤. وقد تم إسقاطه فى إصدار "چون موراى" John Murray الشعبى، فى عام ١٩١٥ - [N.B.].

تحمل هذه الفقرة ملحوظة مكتوبة بواسطة "تشارلس": "تحرر فى ١٨٧٩ - تم النسخ فى ٢٢ إبريل ١٨٨١". ومن المحتمل أن هذا يشير أيضا، إلى الفقرة السابقة. [N.B.].



لوحة (٥٧)

هوكسلى، المدافع عن "داروين"

والذى قام بتأبينه

تأبين[١] "تشارلس داروين"

بواسطة: ت.هـ. هوكسلى T.H.Huxley

كان العدد القليل جدا، حتى من بين الذين قاموا بأكبر قدر من الاهتمام، فى مسيرة الثورة فى المعرفة الطبيعية، التى تقدمت خطوة عن طريق نشر كتاب "أصل الأنواع" (نشأة الأنواع الحية)، والذين لم يراقبوا بدون الشعور بالدهشة، للتغيير السريع والكامل الذى تم إنجازه، سواء داخل أو خارج حدود العالم العلمى، فى موقف الأذهان الإنسانية، تجاه التعاليم[٢] التى تم سردها[٣] فى هذا العمل العظيم، يكون مستعدا للإبداء الخارج عن الطبيعى، عن الشعور بالتقدير العاطفى للرجل، وللتسجيل العميق للفيلسوف، الذى تلا الإعلان، يوم الخميس الماضى، عن وفاة "السيد داروين".

لا يقتصر الأمر على الموجودين فى هذه الجزر، الذين شعر الكثير منهم بسحر الاتصال الشخصى، مع إنسان ذكى لا يعلى عليه، ومع طابع كان أكثر نبلا عن الفكر، ولكن يبدو أن هؤلاء الموجودين فى جميع أجزاء العالم المتحضر، الذين يستدعى عملهم الإحساس بنبض الأمم، ومعرفة ما يهم جموع الصنف الإنسانى، قد أدركوا تماما بأن من شأن الآلاف من قرائهم، أن يفكروا فى العالم الذى أصبح أكثر فقرا، لوفاة "داروين"، ومن شأنهم أن يتمعنوا[٤] باهتمام متلهف، حول كل حدث فى تاريخ حياته. وقد قام الكتاب فى فرنسا، وفى ألمانيا، وفى إمبراطورية

---

(١) تأبين Obituary

(٢) تعاليم Doctrines

(٣) يسرد Expound

(٤) يتمعن Dwel

النمسا والمجر، وفى إيطاليا، وفى الولايات المتحدة، التابعين لجميع الظلال من الآراء، بالإجماع[١] لأول مرة، بتقديم الثناء التلقائى لكفاءة مواطننا، الذى تم تجاهله أثناء حياته من قبل الممثلين الرسميين للمملكة، لكنه المسجى فى مماته، بين أنداده[٢] الموجودين فى كنيسة وستمنستر، عن طريق الإرادة النابعة عن ذكاء الأمة.

وليس لنا أن نشير إلى الأحزان المقدسة، الخاصة بالمنزل المكلوم[٣] فى "داون" Down، ولكن ليس سرا، أن هناك خارج تلك المجموعة العائلية[٤]، الكثيرين الذين تمثل لهم وفاة "السيد داروين"، خسارة تامة لا يمكن تعويضها. وليس هذا لمجرد طبيعته اللطيفة[٥]، والبسيطة، والكريمة بشكل مدهش، وحديثه المبهج والمفعم بالحيوية[٦]،والتنوع والدقة المتناهية لمعلوماته، ولكن لأنه كلما أكثرنا من معرفتنا عنه، بدا لنا بشكل أكثر، أنه المثل الأعلى[٧] المجسد[٨] لرجل العلم. ومهما كانت قدراته الترزنية[٩]، واطلاعه الواسع، ومثابرته العنيدة[١٠] الرائعة، تحت تأثير الصعوبات المادية، التى كان من شأنها أن تحول تسعة رجال من كل عشرة إلى عجزة[١١] بدون هدف، فإنها لم تكن تلك الخواص، مهما كانت عظيمة، التى تركت

---

(١) إجماع	Unanimous
(٢) ند	Peer
(٣) مكلوم	Berreaved
(٤) عائلى = منزلى	Domestic
(٥) لطيف	Genial
(٦) مفعم بالحيوية	Animated
(٧) المثل الأعلى	Ideal
(٨) المجسد	Incorporated
(٩) قدراته ترزنية •	Reasoning powers
(١٠) مثابرة عنيدة	Tenacious industry
(١١) عاجز	Invalid

انطباعا عند هؤلاء الذين تم لهم السماح بالدخول فى معرفته الحميمة بتبجيل[١] لا إرادى، ولكنه القدر المعين من الأمانة الشديدة والمتقدة تقريبا، التى كانت تشع بها جميع أفكاره وأفعاله، كما لو كانت بفعل إتقاد داخلى.

كانت هذه المواهب[٢] النادرة والعظيمة إلى أقصى حد، هى التى حافظت على خياله المفعم بالحيوية، وقدراته التأملية[٣] العظيمة فى غضون الحدود الصحيحة، التى اضطرته إلى أن يأخذ على عاتقه، الجهود غير العادية للاستقصاء المبتكر والقراءة، التى تأسست عليها أعماله المنشورة، والتى جعلته يقبل الانتقادات والاقتراحات الصادرة عن أى شخص وكل شخص، ولم يكن ذلك بدون أى نفاذ للصبر، ولكن مع تعبيرات عن العرفان بالجميل، التى كانت فى بعض الأحيان زائدة عن قيمتها بشكل مضحك تقريبا، والتى قادته إلى عدم السماح لنفسه أو للآخرين، بأن يتم خداعهم عن طريق الشعارات[٤]،وألا يقوم بتوفير الوقت ولا المعاناة، من أجل الحصول على فكرة واضحة وغير مشكوك فيها، عن كل موضوع كان يشغل نفسه به.

لا يستطيع المرء التحدث مع "داروين" دون أن يتم تذكيره "بسقراط" Socrates. كانت هناك نفس الرغبة، فى العثور على شخص أكثر حكمة من نفسه، ونفس الإيمان بسيادة التزن، ونفس المزاج الذهنى المتأهب، ونفس الاهتمام المتعاطف، مع جميع طرق وأعمال البشر. ولكن بدلا من الابتعاد عن معضلات الطبيعة، على أساس أنها غير قابلة للحل بشكل ميئوس منه، قام فيلسوفنا العصرى بتكريس حياته كلها لمهاجمتها بروح "هيراكليتوس" Hiraclitus، و"ديموكريتوس" Democritus، بنتائج كانت تخميناتها مثل جوهرها مجرد خيالات متوقعة.

---

(١) تبجيل Veneration

(٢) موهبة Endowment

(٣) قدرات تأملية Speculative powers

(٤) شعارات Phrases

لا يمثل التقدير أو حتى السرد الحقيقى لتلك النتائج شيئا عمليا أو مطلوبا فى هذه اللحظة. فهناك وقت لكل شىء، وقت لتمجيد فتوحاتنا دائمة الاتساع على سلطان[١] الطبيعة، ووقت للحداد[٢] على أبطالنا الذين قاموا بقيادتنا إلى النصر.

لم يحارب أحد بشكل أفضل، ولم يكن أحد أكثر حظا من "تشارلس داروين". فإنه عثر على حقيقة عظيمة، موطوءة تحت الأقدام، وملعونة عن طريق المتعصبين الدينيين[٣]، وموضع سخرية من جميع العالم، وامتد به العمر لكى يراها، بشكل رئيسى عن طريق مجهوداته، وطيدة فى العلم بشكل لا يمكن دحضه[٤]، ومندمجة بشكل لا يمكن فصله عن الأفكار الشائعة للناس، ومكروهة ومهابة، من قبل هؤلاء الذين من شأنهم أن يلعنوا[٥]، لكنهم لا يجرءون. ما الذى يريده إنسان أكثر من ذلك؟ و ترتفع مرة أخرى صورة سقراط غير محجوبة، ويرن خطاب الاعتذار"[٦] الختامى[٧] النبيل فى آذاننا، كما لو كانت أجراس الوداع لـــ "تشارلس داروين".

حان وقت الرحيل، وكل منا يذهب فى سبيله ــ أنا لأموت. وأنت لتحيا.

– ما هو الأفضل، الله وحده يعلم.

ت. هـــ. هوكسلى

مجلة Nature

الخميس ٢٧ إبريل ١٨٨٢

---

(١) سلطان Realm

(٢) حداد Mourning

(٣) متعصب دينى Bigot

(٤) لا يمكن دحضه Irrefragable

(٥) يلعن Revile

(٦) الاعتذار Apology

(٧) الخطاب الختامى Peroration



لوحة (٥٨)

الإله الفرعونى "تحوتى" – المسجل (المخطاط)

مسرد بالمصطلحات والألفاظ الواردة بالكتاب

Abhorrence	اشمئزاز
Abortion	إجهاض
Abstruse	عويص = مبهم
Academic Studies	الدراسات الجامعية التقليدية
Acerbity	فظاظة
Acid	حامض
Acquiesce	يذعن
Acre	فدان: مقياس للأرض بمساحة ٤٨٤٠ ياردة (حوالى ٤٠٠٠ متر مربع)
Acrid	لاذع
Adam's apple	تفاحة آدم (فى العنق)
Adaptation	تكيف (بيئى)
Addendum	لاحقة = إضافة
Adept	خبير = ماهر
Admiration	إعجاب
Advocate	ينادى = يدافع

Aesthetic tastes	تذوقات جمالية
Affectionate	حنون = عطوف = ودود
Agnostic	لادرائى
	الاعتقاد بأن وجود الله وأصل الكون ، أمور لا سبيل إلى معرفتها
Agriculturist	خبير زراعى
Alas	للأسف
Alder tree	شجرة الحمراية = حورة رومية
	جار الماء: شجر حرجى يألف الماء
Algebra	علم الجبر
Allegories	مزاعم *
Alleviate	يخفف = يهون
Alpenstock	العصا الألـــبية : عصا بأسفلها حديدة مستدقة لتسلق الجبال
Amygdaloid	ملوز = لوزى صخر بركانى مشتمل على تجاويف صغيرة مملوءة بالرواسب المعدنية
Analogy	تناظر
Anatomy	علم التشريح
Ancestor	سلف = جد أعلى
Anecdote	رواية = قصة

Angelic	ملائكى
Angling	الصيد بالصنارة = التصنر
Animated	مفعم بالحيوية
Annihilation	إبادة
Antenna (Pl. Antennae)	زبانى = قرن استشعار
Anthem	ترنيمة = نشيد
Anticipation	التوقع
Antiquary	الجامع أو الدارس للأشياء العتيقة
Apology	اعتذار
Appaling	مروع = مرعب
Applause	تصفيق
Apprehenaion	فهم = استيعاب
Aquarium	صالة عرض الأحياء المائية
Archaeology	علم الآثار القديمة
Archive	سجل محفوظ = أرشيف
Arctic	قطبى
Ardent	غيور = متحمس = متوهج
Argument	برهان

Armadillo	الحيوان المدرع
	حيوان ثديى جنوب أمريكى من الدرداوات - مغطى بدروع عظمية
Armoury	دار السلاح *
Article	بند = فقرة
Attraction	جاذبية = جذب
Autobiography	قصة الحياة الذاتية = سرد الحياة الذاتى
Autopsy	تشريح الجثة
Avowal	إقرار
Awe	رعب
Azalea	زهر الغار الشيحى = بقيل = أزاليا
B.A. = Bachelor of Arts	الدرجة العلمية فى الفنون والآداب = (ليسانس)
Bake	يخبز = يحمص
Backgammon	لعبة الطاولة = النرد
Bald	أصلع
Banish	إبعاد = طرد = نفى
Bank	مصرف = بنك
Bankrupt	إفلاس
Bar	حاجز

Barbarian	همجى = غير متمدين
Barge	صندل = مركب نهرى مسطح ضخم
Barnacles	البرنقيلات: حيوانات بحرية قشرية من رتبة هدابيات الأقدام، تعلق بالصخور
Barometer	مقياس الضغط الجوى
Barrister	محام أمام المحكمة العليا
Bassoon	الزمجر: مزمار ذو أنبوبة خشبية مزدوجة وفم معدنى ملتو
Bat-fives	لعبة ضرب الكرة الخماسى *
Bathman	رجل الحمام
Battle	معركة
Beagle	اسم السفينة = نوع من كلاب الصيد ، قصير القوائم ناعم الوبر
Beast	بهيمة = حيوان
Bed	مسكبة = قاع
Beech	شجر الزان
Beetle	خنفسة
Begger	متسول = شحاذ

Behold	يتطلع = ينظر
Benevolence	النزعة الخيرية = الصالح العام = إحسان
Bequeath	يورث (يخصص) بوصية
Bereaved	مكلوم
Bible	الكتاب المقدس (بعهديه)
Bibliography	مسرد = بيان
Bigot	متعصب دينى
Biography	السيرة الحياتية
Biology	علم الأحياء = الأحيائيات *
Biophytum	نبات بيوفايتام #
Birch	شجر البتولا = التامول = شجر القضبان
Bivalve	ثنائى المصراع = ذو مصراعين
Black-game	الطيور المصيدة السوداء *
Blooming	ناضر
Blossom	زهرة متفتحة لنبات مثمر= إزهار
Blushing	تورد
Boast	يتباهى
Boiler	غلاية

Boisterousness	الصخب
Bolt	يغز = صاعقة
Boot	حذاء عالى الساق
Borrow	يقترض
Bos (Tribe)	القبيلة الثيرانية *
Botany	علم النبات = النباتيات *
Botanist	عالم فى النباتيات *
Bough	غصن أو فرع شجرة
Boulder	جلمود (صخر)
Bowdlerize	يهذب كتابا (حذف وتعديل لبعض المقاطع)
Boyish	صبيانى
Bravado	تبجح = تظاهر بالبطولة
Breeder	مستولد (للحيوانات)
Brother in law	نسيب = أخ فى ظل القانون
Brows	حيود (العين) *
Buddists	البوذيون
Bull-terrier	كلب أرضى ثورانى *
Buoyant	طافى

Burrowed	يتخذ وجارا
Butler	رئيس الخدم
Button	زرار = يتزرر
Cabin	قمرة = حجرة على ظهر السفينة
Caligraphy	الرسم بالطباشير *
Candour	صراحة
Canvassing	التدقيق
Cap	كبسولة: لفافة تحتوى على بعض المتفجرات
Capacity	السعة
Capsule	محفظة (بذور)
Captain – Lieutenant	قائد ملازم *
Carabidous beetles	الخنافس الأرضية (مفيلة)
Carbine	بندقية قصيرة = قربينة
Carpenter	نجار
Castor	عجلة
Cataclysm	التغيير العنيف = الجائحة
Catalogue = Catalog	بيان مصور
Categorical	بشكل بات = قاطع

Caution	احتراس = حذر
Cement glands	غدد المادة اللاصقة *
Cement	يلصق
Census	حصر السكان
Cephalanthera	شجر رأسيات المآبر *
Chaffing	يمازح
Chalk	طباشير = جير
Chambermaid	خادمة غرفة النوم
Chapel	مصلى = كنيسة صغيرة
Chaplet	إكليل
Character	طابع = شخصية
Charged	مشحون
Charts	الخرائط البحرية
Check	إيصال مصرفى = شيك
Chestnut	كستناء
Chilliness	برودة
Chimney-piece	رف المستوقد
Choir	جوقة المنشدين

Chorister boys	الصبية المنشدون
Christen	يعمد (فى الكنيسة عند الولادة)
Christian name	الاسم المعمدانى *
Cicidela	خنفسة ببرية
Cigarette	لفافة تبغ
Cilia	أهداب
Circumnution	الالتفاف الدائرى *
Cirripeda	الحيوانات هدابية الأقدام = هدابيات الأقدام
Civil war	الحرب الأهلية
Clamped	مقموط: ممسوك بقمطة
Class	طبقة (فى التصنيف الأحيائى)
Classical elegance	الروائع التقليدية *
Classics	الدراسات التقليدية = التقليديات *
Classification	التبويب *
	أما التصنيف Taxonomy
Clergyman	رجل دين
Click	صوت طقطقة = دقة
Cliff	جرف = منحدر صخرى

Climbing Plants	النباتات المتسلقة
Clinical wards	الأجنحة السريرية
Clink	صوت صلصلة
Cloak	عباءة = معطف فضفاض
Closely allied	متقارب بشكل حميم
Cob	جواد كبة *
	جواد قوى قصير القوائم
Coin	عملة (نقدية = معدنية)
Colour-blind	عدم تمييز (عمى) الألوان
Colourless	غير ممتع = عديم اللون
Commen	يمدح = يثنى على
Commission	مفوضية = لجنة
Commons (Land)	الأراضى المشاع
Commonwealth	الاشتراك فى اليسر (جمهورية كروموبل) *
Compass	بوصلة = بيت الإبرة = إبرة الملاحين
Compasses (pair of)	فرجار = برجل
Complemental	تكميلى = ملحق
Complexion	لون البشرة

Compound eye	عين مركبة
Compound microscope	المجهر المركب *
Concatenation	تسلسل
Concholepas	المحار الحرشفى *
Conciliatory	مستميل
Condemn	يشجب
Consanguineous	وثيق القربى: من أصل واحد
Conscience	الضمير
Conscientious	ضمير حى
Console	يواسى
Constitutional	تريض = نزهة رياضية
Contempt	احتقار= ازدراء
Contrast	يقابل = يغاير
Contrivance	وسيلة مستنبطة = اختراع
Controversial	مثير للجدل
Coordinate	ينسق
Coppice	أيكة
Coral Island	جزيرة مرجانية

Coral reef	حيد مرجانى
Corals	مرجانيات
Cordial	ودود
Cork	فلينة
Corporal	جسدى
Corpulent	بدين
Cottage	بيت ريفى
Cotyledon	الورقة الجنينية (التى ترافق بذور الزهريات)
Countenance	سيماء
County Magestrate	القاضى الإقليمى
Courteous	دمث = لطيف
Cowslip	زهر الربيع العطرى= شفة البقر*
Crack	صوت طقطقة = فرقعة = طرقعة
Craig	حرف صخرى
Crater	فوهة بركان
Crave	يرغب بشدة = يشتاق
Credulous	ساذج = سريع التصديق
Cribs	قصاصات الغش فى الامتحان

Crimson	لون قرمزى
	أما لون سكالاتينى = أحمر يميل إلى البرتقالى Scarlet
Cross-beak	الطائر متصالب المنقار *
Crossing	تهجين
Cruelty	القساوة = القسوة = الوحشية
Crustaceans	الحيوانات القشرية = القشريات
Cunning	ماكر
Curator	الأمين
Curiosity	فضول = حب استطلاع
Curtail	اختصار = بتر
Cypher = Cipher	شفرة = الصفر
Domnable	ملعون = يستحق اللعنة
Dawning	بزوغ الفجر
Day-dream	حلم يقظة
Deal rod	قضيب توزيع *
Debates	مجادلات
Deductive reasoning	الترزن الاستنتاجى *
Deference	المراعاة = الاحترام

Delicate	رقيق الصحة
Demon	عفريت
Density	كثافة
Denudation	التجريد: زوال سطح الأرض بفعل المياه *
Deposition	الترسيب = الإيداع
Deposits	رواسب
Depressed	مكتئب = مثبط
Descent	نشأة = تحدر
Descent theory	نظرية النشوء = التحدر عن
Design	تخطيط = رسم خطة = تصميم
Despair	قنوط
Despondent	قانط
Destroy	تدمير = إهلاك
Determined	عاقد العزم = مصمم
Detestation	المقت = البغض
Devoted	مخلص = متفانى
Devotion	تفانى = تكريس
Dialogue	محاورة = محادثة ثنائية

Diary	مفكرة = دفتر يوميات
Dictionary	قاموس = معجم
Diclytra	الزهور ثنائية الأغلفة أو الأغماد *
Digestive	هضمى
Diligence	اجتهاد
Dimorphic	ثنائى (مزدوج الشكل
Dimorphism	ازدواج الهيئة
Dioeceous	منفصل الجنس
Disbelieve	الجحود = الإنكار
Disciple	مريد
Discomfort	مشقة
Discompose	يخرج عن الصواب
Discord	نشاز = غير منسجم
Disgust	الاشمئزاز
Dispationate	مجرد من الأهواء *
Dispersal	انتثار
Dispersion	التسريح (من الجيش)
Displeasure	استياء

Disposition	نزعة
Dissect	يشرح
Distaff	فلكة المغزل
Diversified	متنوع
Divinity	الألوهية = اللاهوت
Doctrine	عقيدة = مذهب
Dogged	العناد = العند
Dogma	العقيدة
Dogwood	شجر القرنوس = القرانيا
Domestic	عائلى = داجن
Dominant	مهيمن = مسيطر
Don	أستاذ جامعى (كامبريدج واكسفورد)
Donor	مانح
Doomed	محكوم عليه = مقضى عليه
Douche-bath	حمام منضحة
Drab	قماش رمادى مسمر
Drag	ضجر
Dragon soldier	جندى فى سلاح الفرسان

Draughtsman = Draftsman	رسام
Drawing-room	غرفة الاستكانة * للانسحاب بعد العشاء
Drift	الركام المجروف
Drosera	نبات ورد الشمس = الدروسيرا(نبات يفرز عصارة تلتصق بها الحشرات
Duodecimo	كتاب من القطع الإثنى عشرى
Dwel	يتمعن
Earl	نبيل (لقب)
Earth-worms	الديدان الأرضية
Economy of nature	المنظومة الطبيعية *
Edition	إصدار
Egg-case	أغلفة البيض *
Elbow	مرفق = الكوع
Elect	ينتخب (أما ينتقى أو يصطفى = Select)
Elicit	يستثير = يحث
Elude	يراوغ
Embalm	يحنط
Emotion	انفعال

Endowed	موهوب
Engraving	نقش
Enthusiastic	متحمس
Entomology	علم الحشرات = الحشريات
Equality	مساواة
Erratic	مجروف
Esq. = Esquire	المحترم
Estate	عزبة
Euclid	الهندسة الإقليديسية
Evolution	التطور
Exclusion	الاستبعاد
Experimental	تجريبى
Expire	ينقضى الأجل *
Expound	يسرد
Expression	تعبير
Expurgate	يطهر = يهذب
Extinct	منقرض = مندثر
Extravagant	مسرف = مفرط

Eyebrows	حواجب العيون
Eyewitness	شاهد عيان
Fable	خرافة = بهتان
Fading	ذاوى
Falsehood	أكذوبة
Family	فصيلة = عائلة
Famishing	يموت (يتضور) جوعا
Fanatic	متعصب
Fashion	النمط السائد
Fatality	شيئا قدريا
Favourable = Favorable	مواتى
Feat	إنجاز
Fen	مستنقع
Ferment	مادة متخمرة
Fertilisation	تلقيح
Cross Fertilisation	التلقيح (التهجينى) المتبادل=
Fetid	نتن (الرائحة)
Fidgeting	متململ

Field-bean	فول الحقل * = الفول الحقلى *
Figure	القوام
Fine	غرامة
Fish-pond	بركة أسماك
Fissure	صدع = شق
Flag	فتور
Float	الفلينة الطافية (صيد السمك)
Fluent	فصيح
Flustra	المرتبكات * (حيوانات بحرية بدائية)
Flute	الناى = الفلوت
Fly-orchis	شجر ذباب السحلب *
Fly-wheel	العجلة الهوائية *
Foolscap	ورق كبير القطع (مقياس ١٦×١٣ بوصة)
Footstool	مستقر للقدم *
Foot-rule	مسطرة قدمية الطول *
Foreboding	هاجس
Forefather	الأب الأعلى = السلف
Form	صيغة

Formal	منهجى = رسمى = متكلف
Fossils	مستحاثات = أحافير
Fossil bones	العظام الأحفورية
Fox – terrier	كلب أرضى ثعلبى *
Fragment	شظية
Frank	صريح
Frank	دمغة = تمغة
Fraudulent	مخادع
Fretful	نكد الطباع
Frizzled	مجعد (الشعر)
Fucus loreus	طحلب الفقوس المضلع *
Full-bottomed	مكتمل التدلى *
Funeral	جنازة = مأتم
Futurity	المستقبل
Gaiters	طماق = غطاء للحذاء
Gallery	صالة عرض
Game	الطرائد = الطيور المصيدة
Gardener	بستانى

Gemmules	بريعمات = براعم صغيرة
Genealogy	علم الأنساب
Generalise	يعمم
Generous	سخى
Genesis	النشوء = التكوين
Genial	لطيف
Gentleman	رجل محترم *
Genus (Pl. Genera)	طبقة
Geology	الـچيولوچيا = علم طبقات الأرض
Germinate	ينبت
Gesture	إيماء = إيماءة
Get up	استذكار = اكتساب معرفة
Ghosts	أشباح
Giddiness	دوار
Gist	فحوى
Glacial period	العصر الجليدى
Glacir	مجلدة (جمعها مجالد) = نهر جليدى
Glacier-lake (theory)	نظرية البحيرة الثلجية

Globular bodies	الأجسام الكروية
Goldfinch	طائر الحسون الذهبى
Gospels	رسائل الإنجيل (العهد الجديد)
Grandfather	الجد
Great grandfather	والد الجد
Grandson	الحفيد
Great grandson	ابن الحفيد
Gravil-pit	حفرة مليئة بالحصى
Gravity	ثقل = جاذبية الأرض
Green house	بيت النباتات الزجاجى *
Grenadiers	رماة الرمانات
Grind	يطحن
Grumble	يتذمر
Habit	عادة = سلوك
Habits of life	السلوكيات الحياتية
Half-bred	نصف أصيل
Hall	قصر = قاعة = رواق
Hammer	مطرقة = شاكوش

Harangue	يحاضر = يخطب
Hare	أرنب وحشى (مشقوق الشفة)
Harmonise	يتوافق = ينسجم
Haven	ملاذ
Hazel	شجر البندق
Heath	نبات الخلنج
Hedge	سياج
Hemipterous insect	حشرة نصفية الأجنحة
Hermaphrodite	خنثى
Heterostylism	تغاير قلم السمة *
Hilly	شديد التحدر = كثير التلال
Hindoos	الهندوسيون
Hinge	مفصلة
Hoax	دعابة خادعة *
Holly	نبات البهشية = عود الخير = شرابة الراعى = طيم
Homology	تماثل
Honours	الدرجات الشرفية = درجات الشرف
Hook	كلاب = خطاف = عقيفة

Horn beam	شجر الدردار المستدق *
Host	مضيف
Hot-house	البيت الدافئ (للنباتات)
Howl	ولولة
Hum	صوت همهمة
Human	بشر = بشرى
Humane	شفوق = رحيم
Humble bee = Bumble bee	النحلة الطنانة
Hunt	يستخدم
Husband	اقتصاد = عناية
Hybrid	نغل (جمعها أنغال)
Hydropathic treatment	علاج تجريبى بالمياه
Hypothesis (Pl. Hypotheses)	فرضية
Icebergs	الجبال الثلجية الطافية
Ideal	مثل أعلى = مثالى
Idiosyncracy	خصوصية = خاصية
Ignoramus	جهول
Ill	مريض = عليل = سقيم = ردىء

Illegitimate	نغل = خارج عن المألوف = غير قانونى
Illustrations	رسومات (أو أمثلة) توضيحية
Immortal	خالد = لا يموت
Imperitive	ملح = ضرورى = أساسى
Impressed	مطبوع
Impaling	يخترق = يخوزق
Impudence	صفاقة = وقاحة
Incipient	ابتدائى = أولى
Incorporated	مجسد
Inculcation	طبع = غرس
Indignant	ساخط = ناقم
Individuality	الشخصية الفردية = شخصية
Indomitable	لا يقهر
Industry	مثابرة = كد
Inferior	أقل فى المستوى
Ingenuity	إبداع
Ink	المداد = الحبر
Innate	متأصل = أرومى

Inquest	تحقيق
Insanity	فقدان العقل = الخبل
Inscribe	يكتب = ينقش
Insectivorous	ملتهم للحشرات
Institution	مؤسسة
Intellectual	فكرى
Intellectual employment	مشغولية عقلانية *
Interbreeding	استيلاد بينى * = تهاجن
Intercourse	اتصال = تعامل = علاقة = جماع
Interest	اهتمام
Intollerance	التعصب = عدم التقبل
Intrinsic	جوهرى = داخلى
Intuitive	بديهى
Invalid	عاجز
Invertebrate	الحيوانات اللافقارية = اللافقاريات
Involved	ملتوى = معقد
Irksome	مؤرق = مضجر
Irrefragable	لا يمكن دحضه

Isolation	الانعزال = العزل
Ivory	عاج
Jar	جرة (زجاجية) = مرطبان
Journal	يوميات = سجل
Juniper	شجر السرو الجبلى = العرعر = شيزى
Keystone	المرتكز = حجر العقد
Kindred	مشتق
Knapsack	جربندية = حقيبة ظهر
Knee-breeches	بنطال يصل إلى الركب
Lake	بحيرة
Lament	يتفجع
Lamentable	مؤسف
Lamenting	التفجع
Languish	يضنى = يهن = يغتر = يضعف
Larch	شجر الأرز = الأرزية من الفصيلة الصنوبرية
Larva (Pl. Larvae)	يرقة
Larval	يرقانى
Latent	كامن = دفين

Lateral	جانبى
Lava	حمم بركانية
Lawn	المرج المعشوشب *
Lawn-tennis	لعبة كرة المضرب على أرض معشوشبة *
Leap-year	سنة كبيسة (انتقالية) *
Ledger	سجل
Lenient	متساهل
Lengthy	شديد التطويل = مطول
Lethargic	كسول
Liberal	متحرر
Liberty	حرية
Lichen	الأشنة = حشائش البحر = الحزاز
Lichemologist	عالم فى حشائش البحر
Licinus	خنفس ليسينى #
Lime tree	شجر الزيزفون
Limpet	البطلينوس (حيوان رخوى يلتصق بالصخور)
Linum flavum	نبات الكتان الأصفر *
Litany	ابتهال

Literary	أديب واسع الاطلاع
Literary honour	الشرف الأدبى
Literature	الأدب
Little go	الامتحان الابتدائى للدرجة
Liveliness	حيوية
Lobelia	نبات التبغ (الدخان) الهندى
Lodgings	غرف مستأجرة
Lower animals	الحيوانات المتدنية (المستوى)
Low-spirited	منخفض المعنويات
Luncheon	وجبة الغداء
Lurking	يترصد
Lythrum	نبات الحناء = الفرندل
Make-shift	استخدام بديل مؤقت
Mankind	الصنف البشرى *
Mantel piece	رف المدفأة
Manor	عزبة
Marble	بلية: كرة صغيرة من الزجاج أو الرخام
Marine	بحرى

Marked	موسوم = عليه علامة
Marriage	اقتران
Pairing	التزاوج =
Marshalling	الانتظام = الترتيب
Mate	الماتى: شراب يشبه الشاى فى أمريكا الجنوبية
Materia Medica	علم المواد الطبية
Maternal uncle	الخال
Mathematics	الرياضيات = الحسابيات *
Maxim	مثل سائر
Mayor	العمدة
Measuring glass	معيار زجاجى = قنينة معايرة
Medal	وسام = نوط
Melancholy	سوداوى = كئيب = حزين
Memories	ذكريات
Mental	ذهنى
Merit	فضيلة
Metaphor	مجاز * = استعارة
Metaphsics	ما وراء الطبيعة = الغيبيات

Methodical	منهاجى
Micrometer	أداة قياس دقيق جدًا = ميكرومتر
Microscope	المجهر = الميكروسكوب
Microtome	قاطع مجهرى *
Might	جبروت = قوة
Migrate	يرتحل
Mimosa = Acacia	شجر السنط = الخرنوب المصرى
Mind	ذهن = ذهنى
Minerals	المعادن
Minerology	علم المعادن = المعدنيات *
Miniature	صورة مرسومة صغيرة جدا (على عاج)= منمنمة
Minister	الوزير (المفوض)
Miracle	معجزة
Miser	بخيل
Mixed sciences	العلوم المختلطة *
Mock-solemn	متسم بالجلال *
Modern	عصرى

Modified	معدل
Mollusca	رخويات
Monograph	دراسة منفردة
Monopolise	يحتكر
Moral	أخلاقى
Moral judgement	القرار الأخلاقى *
Moralist	متخصص فى علم الأخلاق
Morality	المبادئ الأخلاقية
Morain	ركام: تراب وحجارة مجروفة بنهر جليدى
Mortals	البشر = المعرضون للموت والفناء
Moss off	إزالة الطحالب *
Moth	حشرة العثة (جمعها عث)
Mould	الثرى = التراب
Mound	رابية
Mourning	حداد
MS. Journal	دفتر يوميات بخط اليد
Mucus	مخاط
Mule-track	درب للبغال

Multifarious	عديد التنوع
Multiplied	متعدد (الطبقات)
Mural tablet	لوح جدارى
Musk-orchis	شجر مسك السحلب
Mutable	قابل للتغيير أو التحول أو التقلب = غير ثابت
Naivete	السذاجة
Marrative	قصة = حكاية
Natatory	سباحى
Natural history	التاريخ الطبيعى
Natural philosophy	الفلسفة الطبيعية
Natural Selection	الانتقاء الطبيعى *
Naturalist	ممارس للعلوم الطبيعية
Naughty	شقى = مشاغب
Neottia	شجر النيوتيا #
Neutralise	يعادل
Nickname	اسم كنية
Nipple	حلمة (التفجير) *
Nominal	اسمى

Novelist	روائى = قصصى
Nursery	مشتل زراعى
Oak	خشب البلوط أو السنديان
Obituary	تأبين
Occult	خفى = سرى
Odds and ends	نثريات = أشياء متنوعة
Ode	قصيدة غنائية
Offspring	الذرارى (جمع ذرية)
Oi polloi	العامة
Old testament	العهد القديم
Omnipotent	واسع القدرة
Omniscient	عليم بكل شىء = واسع المعرفة
Open	منفتح
Oppressed	ضيق الصدر
Orchids	السحلبيات = الأوركيدات
Orchis	السحلب
Organic being	كائن متعضى
Organisms	الكائنات الحية

Origin	نشأة = أصل
Originality	الأصالة = الإبداع
Ornithology	علم الطيور = الطيوريات
Ornithogist	متخصص فى علم الطيور
Orthodox	المتدين التقليدى = مستقيم التدين
Outline	الشكل الكفافى
Overwork	يتعدى الطاقة فى العمل *
Ox (Pl. Oxen)	ثور (جمعها ثيران)
Oyster	محارة
Palaeontology	علم المستحاثات = علم الأحافير
	(ليس الحفريات = Excavations)
Palpitation	خفقان (قلبى)
Pampean formation	التكوين الپامپيانى (علم طبقات الأرض)
Pamphlet	كتيب = كراسة
Panagaeus crux-major	خنفس الپانغوص الصليبى العظيم*
Panagaeus quadripunctatus	خنفس الپانغوص رباعى الرقطات *
Pangenesis	شمولية التكوين:

نظرية داروين التى تقول بأن جميع خلايا الكائن الحى، تقذف جسيمات ناقلة للوراثة، تطوف فى أرجاء الجسد، وتتوالد بالانقسام، وتتجمع فى بييضات، تتضمن نتيجة لذلك، جسيمات مستقاة من أجزاء الوالد كلها

Pant	يلهث
Parapet	حاجز = سور منخفض
Parasitic	متطفلة
Parentage	الأصل الأبوى
Parenthesis	جملة اعتراضية
Parish church	الأبرشية الكنسية *
Parishioner	التابع للأبرشية
Parliament	البرلمان = مجلس نواب الأمة
Parsonage	منزل كنسى = بيت الكاهن
Partridge	طائر الحجل
Passions	أهواء
Patriotic	محب لوطنه = وطنى
Peal	جلجلة الأجراس
Pebbles	حصى
Pecuniary	مالى

Peer	ند
Pendulous	متدلى
Penuriousness	البخل = التقتير
Perception	الإدراك الحسى
Perched	جاثم
Perfidy	خيانة
Periodicals	النشرات الدورية = الدوريات
Permanence	الاستدامة = الدوام = الثبات
Peroration	الخطاب الختامى
Perseverance	المثابرة = الدأب
Personality	الشخصية
Personify	إضفاء الصفات البشرية
Pet	حيوان مدلل أو أليف
Philanthropy	الخير الإنسانى
Philosophical	منطقى = فلسفى
Photograph	صورة ضوئية
Phrases	شعارات
Phrenology	علم الفراسة الدماغية دراسة شكل الجمجمة لاستخلاص الشخصية والملكات الذهنية

Physics	الفيزياء
Pin	دبوس
Pinch	قبضة = قبصة
Pink (colour)	لون قرنفلى
Pirouetting	يحجل بقدم واحدة *
Pistil	المدقة: عضو التأنيث فى الزهرة
Pittance	حد الكفاية = الكفاف
Pitty	رحمة = شفقة
Pleasures	المتع الحسية
Plot	الحبكة (للقصة)
Plough boy	صبى الحرث
Plume	ريشة
Pococurante	غير مبال
Pose	تكلف = وضع خاص
Politeness	كياسة
Pollen	غبار الطلع = لقاح
Pollen-grains	حبوب اللقاح

Polyanthus	النرجس (نبات)
Ponder	التأمل
Pomtobdella muricata	الراتنجيات المسطحة الأرجوانية *
Poorly	متوعك
Portico	الرواق المعمد = المدخل ذو العمدان
Portrait	صورة مرسومة لإنسان
Posthumous	بعد الوفاة
Power	قدرة = قوة
Preach	يعظ
Prejudice	الحكم المسبق
Premise	فذلكة = مقدمة منطقية
Preordained	مقدر
Presentment	العرض
Preserve	يبقى على = يحتفظ
Pretence	تظاهر
Prim	أنيق
Primrose = Primula	زهرة الربيع (نبات)= كعب الثلج= الزهر مزموم الشفة*
Primula = Primrose	زهرة الربيع

Principles	القواعد = الأسس
Priority	الأسبقية = الأولوية
Privet	شجر النوار الأبيض = ياسم = فاغو
Professed	معترَف به
Pronounce	ينطق
Proofs	التجارب الطباعية
Proof-sheets	صحاف التجارب الطباعية
Propagate	يكثر = يتكاثر = يتناسل
Prose	يخطب (نثرا)
Protoplasm	الجبلة الأولى = الـــبروتوپلازم
Protractor	منقلة: أداة لقياس الزوايا
Provoke	يستفز
Public	عمومى = شعبى
Puff	نفثة
Pure business	أعمال بحتة *
Purport	الفحوى = المعنى = المضاد = المضمون
Purse	كيس النقود
Pursuit	يتابع = يتتبع

Pus	صديد
Quagmire	مستنقع
Qualifying clause	الفقرة الوصفية *
Quality	خاصية
Queer	غريب
Quickest	نبات الزعرور البرى
Quiz	يمازح = يمتحن
Quote	يستند = يقتبس عن = يستشهد
Race	عرق
Raid	يشن غارة = يغير
Raillery	المزاح
Rainbow	قوس قزح
Ramble	يتجول
Ratchatching	الإمساك بالفئران
Rationalism	المذهب العقلانى: القائل بأن العقل هو المرشد الوحيد
Razor	موس = محلاق
Realm	سلطان
Reasoning	الترزن = وزن الأمور *

Rebuke	يوبخ
Reclamations	تصويبات
Recollection	استرجاع = استجماع
Recollections	استجماعات = ذكريات
Recorder	مسجل
Recreation	الاستجمام
Redeemer	المخلص = الفادى
Reed	بوص
Reef	حيد (جمعها حيود)
Relic	تذكار = أثر
Religion	المعتقدات الدينية = الديانة
Remedy	وسيلة علاج
Remittance	تحويل مالى
Remonstrance	احتجاج
Remorse	تأنيب الضمير = الندم
Repose	استكانة
Reproach	تأنيب
Reprove	يؤنب = يوبخ

Repugnant	مقيت = كرية
Reserve	التحفظ
Retiring	منطوى
Retribution	عقاب
Retriever	كلب مسترجع
Revelation	وحى = إلهام
Revenge	انتقام
Reverie	خيال أو استغراق حالم
Review	استعراض
Reviewer	مستعرض
Pevile	يلعن
Revise	ينقح = يعدل
Reward	ثواب
Rhythmical	متواتر = متكرر بانتظام = إيقاعى
Ride	يمتطى = يركب (الجياد)
Robust	شاق = قوى
Romp	يهرج = يصخب
Rote	الحفظ الصم = الاستظهار بدون فهم

Rough land	الأراضى الوعرة
Routine	وتيرة
Rubbish	نفايات
Ruddy colour	متورد اللون
Rustic	ريفى = خشن
Sacred	مقدس
Sacredness	قدسية
Sagacious	فطين
Salvation	الخلاص = إنقاذ
Sand-walk	الممشى الرملى *
Saucers	الصحاف = الأطباق
Savage	همجى = وحشى
Savant	عالم
Scale	مقياس مدرج = ميزان
Scarlet	لون سكارلاتينى : أحمر يميل إلى البرتقالى - وهو اسم قماش بهذا اللون ومن الأخطاء الشائعة ترجمته إلى قرمزى = Crimson
Sceptical = Skeptical	شكوكى = متشكك

Scepticism = Skepticism	النزعة الشكوكية = التشكك
Scissors	مقص
Scored	مثلوم = ممزوز = مخدوش
Scorn	ازدراء
Scoundrel	وغد
Scrape	يقشط
Screw out	يلولب إلى الخارج *
Scribble	الكتابة بلا اعتناء
Scruple	وسواس
Scrupulous	متحوط = محوط بالشكوك
Seal	ختم (للإغلاق)
Seasoned	متبل
Section	قطاع
Security	ضمان
Seed	بذرة
Seedling	نبتة
Selection	الانتقاء *
Self-annihilation	الإنكار الذاتي

Self-fertilised	ملقح ذاتيا
Sense of honour	الحس الشرفى *
Sensible	متعقل
Sensuous	حسى
Sentient	واع
Sequestrate	يصادر
Serjeant-at-low	محام من الطراز الأول
Sexes	الشقان الجنسيان *
Sexual selection	الانتقاء الجنسى
Shame	الخزى
Shamming	خجول = مخجل
Sharp-wit	ذكاء حاد
Shaw	أجمة = دغل
Shell	صدفة = قوقعة
Shod	مبيطر : مزود بكعب أو حدوة
Shrubbery	الشجيرات
Sickness	دوار = اعتلال
Sigh	تحسر

Simultaneous	متزامن = فى نفس الوقت
Sin	خطيئة
Singular	فريد = استثنائى
Siskin	طائر السسكين (طائر كالحسون ولكنه حاد المنقار)
Skeleton	هيكل (عظمى)
Skim	يتصفح
Slavery	الاسترقاق = العبودية
Slap	لطمة = صفعة
Slips	قصاصات
Slur	قذف فى حق
Snipe	طائر الشنقب
Snuff	السعوط = النشوق
Sociability	الاختلاط مع الآخرين
Sofa	الأريكة
"Soirees"	أمسيات = ليالى
Soul	روح
Sounding	مرنان

Sow	يزرع (البذور)
Spanish chestnut	شجر الكستناء الإســپانى
Species (Pl. Species)	نوع حى
Speculation	تخمين = تأمل
Spell	هجاء = تهجئة
Spill	لفافة ورقية
Spiranthes	الزهرة المستدقة * (من السحلبيات)
Spire	شكل لولبى
Spirits	أرواح
Spirituous	روحى
Spitz dog	كلب مستدق الخطم *
Spontaneous	تلقائى = عفوى = ذاتى
Spring	ياى = زنبرك
Squeak	يصرخ بصوت حاد
Squirrel	سنجاب
Stamen	السداة (جمعها أسدية): العضو الذكرى فى الزهرة
Stammering	التلعثم = التهتهة = التمتمة
Stamp	طابع (بريد)

Startle	ينزعج = يجفل = يروع
State of Nature	الحالة أو البيئة الطبيعية
Statistics	إحصائيات
Stature	القامة
Stealtgily	بانسلال
Steam-engine	محرك بخارى
Steep	شديد الانحدار
Stem	ساق (النبات)
Sterile	عقيم
Sterility	عقم
Sticking – plaster	شريط لاصق
Stone	حجر: وحدة وزنية بريطانية تساوى ١٤ رطلا
Stoop	يحدودب = يحنى ظهره
Strain	توتر
Stratum (Pl. Strata)	طبقة (أرضية)
Stray	شارد
String	خيط

Strip	شريط
Study	غرفة المكتب
Stupid	غبى
Style	أسلوب
Sub-classing	التشعيب = التقسيم إلى طوائف
Sublimity	التسامى = الرفعة
Sub-order	رتبة فرعية *
Subsidence	هبوط = انخساف
Suicide	الانتحار
Sundew	نبات الندية = ورد الشمس = الدروسيرة
Super-natural	خارق للطبيعة
Surly	فظ
Surprised	مبهوت
Survival of the Fittest	البقاء (على قيد الحياة) للأصلح *
Sweets	حلويات = الأشياء حلوة المذاق
Swimming	سباحة = مصاب بدوار
Swindler	محتال
Swinging	متأرجح

Sympathetic	ودى (من الشائع قصر ترجمتها على "متعاطف")
System	المنظومة (الجسمانية)
Systematic	نظامى = تصنيفى = ترتيبى
Temperance	كبح الشهوات
Tempered	ممزوج
Tenacious	عنيد
Tendril	محلاق (جمعها محاليق)
Tentacle	مجس
Terminal	طوفى
Terms	علاقات متبادلة
Terrier	الكلب الأرضى *
Testament	العهد (الجديد)
Textbook	كتاب مرجعى
Theorise	يضع نظرية
Theoriser	باحث فى الجانب النظرى = منظر
Thiest	مؤمن بالله ومنكر للوحى
Thyme	نبات الزعتر = الصعتر = الريحان من الفصيلة الشفوية

Toilsome	شاق = منهك
Tone	نبرة
Track	درب
Transactions	محاضر الجلسات
Transmutation	التحول = التبدل
Trap- dyke	خندق ترابى (الطراب= صخربركانى)
Trawl	يجرف قاع البحر (بالشباك)
Tray	صينية (جمعها صوانى) = طبق تقديم
Treasurer	أمين الصندوق
Tree-frog	ضفدعة شجرية *
Trial	محاولة تجريبية
Trifling	تافة
Trimorphic	ثلاثى الشكل
Tropical	استوائى
Trotting	هرولة = خبب
Trouble-some	مزعج
Tuft	خصلة (شعر)
Tune	نغم

Tutor	مدرس = مرشد = مدرب
Twining plant	النباتات الملتفة
Typhoid	مرض التيفود
Typhus fever	الحمى التيفوسية
Tyrant	طاغية
Unanimous	إجماع
Unanswerable	قاطع = لا راد له
Undemonstrative	متحفظ (فى التعبير عن المشاعر و العواطف)
Untenable	متعذر الدفاع عنه
Upright	عمودى = قائم الزاوية
Vanity	الخيلاء = الزهو
Variability	التغايرية = القابلية للتغاير أو التمايز
Variation	التغاير * = التمايز *
Variety	ضرب (حى)
Varying	متغاير *
Vehement	عنيف = متطرف
Veneration	تبجيل
Verandah	الشرفة

Vernier	مقياس صغير منزلق
Verse	المقاطع الشعرية = الشعر
Vestige	مقدار ذرة
Vexed	يغيظ
Vibrations	الذبذبات
Vigour = vigor	عنفوان
Vile	ردىء
Virtuoso	باحث مدقق
Vista	مجاز (الذى يرى المشهد من خلاله)
Vivisection	تشريح الحيوانات الحية
Volcanic	بركانى
Volute	حلزونى
Vow	عهد = وعد
Voyage	رحلة (بحرية)
Waiter	النادل
Wastes	الأرض البور
Water-cure	الشفاء بالماء
Waterproof (the)	المعطف الواقى من الماء

Wearisome	مرهق
Well	بئر
Wheelchair	كرسى ذو عجلات
Wig	شعر مستعار
Wild	جامح
Wine	النبيذ
Wit	سرعة بديهة
Wonder	تعجب
Wood	غابة
Wood-cutter	قاطع الأخشاب = الحطاب
Woodpecker	ناقر الخشب (طائر)
Wordiness	(الإسهاب = كثرة الكلام
Wormlike	شبه دودى *
Wrangler	الرياضة البحتة * درجات الشرف فى الرياضيات (كامبريدج)
Wrinkled	مغضن = مجعد
Wrist	معصم = رسغ
Yeoman	إقطاعى = مالك أرض = قيم
Yield	يدر = ينتج

Zeal	حماس
Zoology	علم الحيوان = الحيوانيات *
Zygaena	متماثلات الأصل *

مسرد بالعلماء والثقات الوارد ذكرهم بالكتاب

ألكزاندر أجاسيز (تاريخ طبيعى)	Agassiz, Alexander
أينزورث (چيولوچــى) نشر كتابا على رحلاته فى آشور	Ainsworth
أودوبون (تاريخ طبيعى – طيور)	Audubon
باباچ	Babbage
الآنسة أوستن (كاتبة روائية)	Austen Miss
بالفور	Balfour
مؤلف كتاب "علم الأجنة" Embryology	
بيكون (الفيلسوف المشهور)	Bacon
السيدة بارلو (من معارف والد داروين)	Barlow, Mrs.
نورا بارلو (حفيدة تشارلس داروين)	Barlow, Nora
أصدرت الفقرات المستقطعة من قصة حياته فى ١٩٥٩	
إيلى دى بومونت (عالم فى طبقات الأرض)	Beaumont, Elie de
الآنسة بيرد	Bird, Miss
بولتون (مهندس مشهور)	Boulton
روبرت براون (تاريخ طبيعى)	Brown, Robert

Buckle	باكل
	مؤلف"تاريخ الحضارة" **History of Civilisation**
Bulwer, E. Lytton, Sir	السيد إليتون بولور (كاتب قصصى)
Butler, Dr.	الدكتور بتلر (صاحب المدرسة الداخلية لداروين)
Byron	بايرون (شاعر)
Carlyle	كارليل (مؤرخ)
	مؤلف "ذكريات" **Reminiscences**
Case, G. Rev.	المبجل ج ٠ كاس
	(قس – ناظر المدرسة الصباحية التى كان فيها داروين فى طفولته)
Castlereagh, Lord	اللورد كاستليرى (الوزير المفوض فى "ريو" Rio)
Coldstream, Dr.	الدكتور كولد ستريم (زميل دراسة – حيوانيات)
Coleridge	كوليريدج (شاعر)
Columbus	كولومبوس (الرحالة المشهور)
Cotton, Mr.	السيد كوتون (طبقات الأرض)
Darwin, Caroline	كارولين داروين (الابنة الثانية لدكتور داروين)
Darwin, Catherine	كاثرين داروين (الأخت الصغرى لتشارلس داروين)
Darwin, Erasmus, Dr.	دكتور إراسموس داروين (جد تشارلس داروين)
	مؤلف **Zoonomia**

De Candole, M.	م. دى كاندول (تاريخ طبيعى)
Dohrn, Dr.	الدكتور دوهرن (تاريخ طبيعى)
Duncan, Dr.	الدكتور دانكان (أستاذ علم المواد الطبية - إدنبرة)
Earle, Erasmus	إراسموس إيرل (والد زوجة وليام داروين)
Edge worth, Mr.	السيد إيدچورث (من معارف إراسموس داروين)
Elliot	إليوت (مصور ضوئى)
Eliot, George	چورچ إليوت (كاتب روائى)
Eyton	إيتون (صديق)
Falconer	فالكونر (تاريخ طبيعى)
Farrer, Mrs.	السيدة فارير (مغنية مشهورة)
Farrer, Thomas, Sir	السير ثوماس فارار (صديق لداروين)
Fitz-Roy, Captain	القبطان فيتز روى (قبطان السفينة البيجل)
Fitzwilliam	فيتزوليام (رسام مشهور)
Forbes, E.	إ. فوربس (إنسانيات)
Fox, W. Darwin	و. داروين فوكس (ابن العم الثانى لداروين)
Fry	فراى (مصور ضوئى)
Garnett	جارنت (زميل دراسة ابتدائية)
Gaskell, Mrs.	السيدة جاسكيل (كاتبة روائية)

Geikie, Mr.	السيد چيكى (علم طبقات الأرض)
Goethe	جوثة (عالم فيزياء - الضوء)
Grant, Dr.	دكتور جرانت (زميل دراسة - حيوانات)
Gray	جراى (شاعر)
Grote	جروت (مؤرخ)

مؤلف كتاب "التاريخ" History

Gulley, Dr.	دكتور جالى (صاحب مؤسسة للعلاج بالمياه)
Hackel	هاكل (تاريخ طبيعى - ألمانى)
Hacon, Mr.	السيد هاكون (المحامى الخاص بداروين)
Hardie	هاردى (زميل دراسة - نباتيات)
Haughton, Prof.	الأستاذ هوتون (تاريخ طبيعى)
Henry and Parkes	هنرى وپاركيس

مؤلفا "التساؤلات الكيميائية" Chemical Catechism

Henslow, Prof.	الأستاذ هنسلو (عالم نباتيات)
Herbert, John Maurice	چون موريس هيربرت (قاضى)
Herschel, J. Sir	السير ج. هيرتشيل

مؤلف "مقدمة لدراسة الفلسفة الطبيعية" Introduction to the Study of Natural Philosophy

Hilderand, F., Dr.	دكتور ف. هيلوبراند (عالم ألمانى – تاريخ طبيعى)
Hill, Major (lord Berwick)	الماجور هيل (لورد بيرويك) (صديق)
Homer	هومر (شاعر إغريقى – الأويا)
Hooker	هوكر (عالم نباتيات)
Hope	هوب (أستاذ الكيمياء – إدنبرة)
Horace	هوراس (شاعر)
Horner, Leonard, Mr.	السيد ليونارد هورنر
Royal Society of Edinburgh	**عضو جمعية إدنبرة الملكية**
Humboldt	هامبولدت
Personal Narratives	**مؤلف "حكايات شخصية"**
Huth, Mr.	السيد هوث
Consanguineous Marriage	**مؤلف "زواج الأقارب"**
Huxley, Prof.	الأستاذ هوكسلى (عالم التاريخ الطبيعى)
Innes, Brodie, Mr.	السيد برودى إنز (كاهم أبرشية "داون")
Jameson, Prof.	الأستاذ جاميسون
Plinian Society	**مؤسس الجمعية البيلينية**
Jenyns, Leonard	ليونارد چينينز (تاريخ طبيعى)
Jenyns, Soame	سوم چينينز (عالم تاريخ طبيعى – أسماك)

Jones, Bence, Dr.	دكتور بنس چونز (طبيب معالج لداروين)
Kingsley	كينجسلى (تاريخ طبيعى - أسماك)
Krause. Ernst, Dr.	دكتور إيرنست كراوس

مؤلف " حياة إراسموس داروين" **Life of Erasmus Darwin**

Lamarck	لامارك (تاريخ طبيعى)
Lane, Dr.	دكتور لان (معالج تجريبى بالمياه)
Lushington. Veron. Mrs.	السيدة ڤيرنون لاشينجتون (عازفة موسيقية)
Lavater	لاڤايتر (كتاب عن علم الفراسة)
Leighton. W. A. Rev.	المبجل و. أ. ليتون (قس - زميل دراسة لداروين)
Linnaeus, Carl (Von)	كارل ڤون لينوس (رائد التصنيف الحيوى)
Litch Field, Henrietta	هنرييتا ليتشفيلد

مؤلفة كتاب"إيما داروين" **Emma Darwin**

Lyell	لايل

مؤلف"أساسيات علم طبقات الأرض" **Principles of Geology**

Macaulay	ماكولانى (مؤرخ)
Macgillivray	ماكـچيليـڤراى (أمين متحف إدنبرة)

مؤلف كتاب عن طيور اسكتلاندة

Mackintosh. J. Sir	سير ج. ماكينتوش (من كبار المثقفين)

Mahon, Lord	لورد ماهون
Malthus	مالثوس (مؤلف كتاب عن التعداد السكانى)
Martineau	الآنسة مارتينيو (كاتبة)
Meteyard, Miss	الآنسة ميتيارد (كاتبة)
Miller, Prof.	الأستاذ ميلر (علم طبقات الأرض - المعادن)
Milton	ميلتون (شاعر)

Paradise Lost **مؤلف ديوان" الفردوس المفقود"**

Mitsukuri, Prof.	الأستاذ ميتسوكورى (مدرس فرانسيس داروين)
Motley	موتلى (مؤرخ)
Muller, Fritz	فريتز موللر (تاريخ طبيعى - حشرات)
Muller, Herman	هيرمان موللر (تاريخ طبيعى - حشرات)
Murray, John	جون موراى (ناشر كتب)
Newport	نيوبورت (تاريخ طبيعى)
Norman, E., Mr.	السيد إ. نورمان (كاتب المخطوطات اليدوية لداروين)
Owen, Captain	كابتن أوين (صديق)
Paget, James, Sir	السير چيمس پاچيت (طبيب)
Paley	پالى

Evidences of Christianity **مؤلف"براهين المسيحية"**

	وكاتب "الفلسفة الأخلاقية" **Moral Philosophy**
Pelham, William, Sir	السير وليام بلهام (قائد فرقة من الخيالة)
Peneden, Van, Prof.	الأستاذ ڤان بينيدين (رئيس الجمعية الملكية البلـــجيكية)
Phillips, Spencer, Mr.	السيد ســـپنسر فيليبس
	(قام بشراء منزل دكتور ر.و. داروين)
Piombo, Sebastian del	سباستيان ديل پيومبو (فنان)
Ramsay	رامسى (تاريخ طبيعى)
Reynold, Joshua, Sir	السير چاشورا رينولد (مؤلف كتاب عن الفن)
Richardson, Dr.	دكتور ريتشاردسون (طبيب معالج بالمياه)
Richter, Hans	هانس ريختر (عازف بيانو)
Sanderson, Dr.	دكتور ساندرسون (عضو الجمعية الملكية)
Scott	سكوت (شاعر)
Scott, Walter	مالتر سكوت (كاتب روائى)
Scott, Walter, Sir	السير مالتر سكوت
	رئيس جمعية إدنبرة الملكية **Royal Society of Edinburgh**
Sedgwick	سيد جويك (عالم فى طبقات الأرض)
Shakespeare	شكســـبير (الشاعر الإنجليزى المشهور)
Shelburne, Lord	لورد شيلبورن (من معارف دكتور داروين)

Shelley	شيلى (شاعر)
Shuttleworth, J. Kay, Sir	السير ج. كاى شاتلورث

Royal Medical Society أحد أعضاء الجمعية الطبية الملكية

Spencer, Herbert	هيربرت شـــپنسر (إنسانيات)
Sprengel, C.K.	س.ك.سپرنجل (تاريخ طبيعى)

Das entdeckte Geheimniss der Natur مؤلف

Stanhope, Lord	لورد ستانهوپ (مؤرخ)
Stephens	ستيفنس

Illustrations of British Insects مؤلف"رسومات الحشرات البريطانية"

Stuart, Sobieski Ch E.	ش. إ. سوبيكى ستيوارت

Count d'Albanie كونت ألبانى

Sullivan, Admiral	الأدميرال سوليـــڤان (صديق)
Sydney Smith	سيدنى سميث
Thomson	ثومسون (شاعر)

Seasons مؤلف" فصول"

Thompson, H.	هـــ. ثومـــپسون (زراعى كبير - عضو برلمان)
Tollett, Ellen	إلين توليت (صديق)
Turner	تيرنر (رسام إنجليزى مشهور)

Turner	تيرنر (صديق)
Tyler	تايلر (إنسانيات)
Vandyke	ڤاندايك (مصور ضوئى)
Virgil	ڤيرجيل (شاعر)
Wallace, Mr.	السيد والاس (عالم تاريخ طبيعى – الملايو)
Wallich, Dr.	دكتور واليش (هاو للتصوير الضوئى)
Waring, Robert	روبرت وارينج (والد زوجة وليام وليام داروين)
Waterton	واترتون (رحالة مشهور)
Way, Albert	ألبرت واى (عالم آثار)
Wedgwood, Hensleigh, Mr.	السيد هنسلى ويدجوود (خال تشارلس داروين)
Wedgwood. Josiah	جوشيا ويدجوود (والد سوزانه زوجة تشارلس داروين)
Wedgwood. Josiah	جوشوا ويدجوود (خال تشارلس داروين)
Wedgwood, Kitty	كيتى ويدجوود (أخت زوجة تشارلس داروين)
Wedgwood, Susannah	سوزانة ويدجوود (زوجة تشارلس داروين)
Whewell	هويويل (عالم رياضيات)
Whewell, Dr.	الدكتور هويويل (مؤرخ)
White	هوايت

Selborne "مؤلف"سيلبورن

Whitley	هويتلى (عالم رياضيات)
Whitley, C., Rev.	المبجل س. هويتلى
	كاهن "ديرهام" (Durham)
Words Worth	وردزورث (شاعر)

مراجع الترجمة

المورد: قاموس إنجليزى - عربى

منير البعلبكى - دار العلم للملايين - بيروت.

قاموس إلياس: إنجليزى - عربى

دار إلياس العصرية للطباعة والنشر - القاهرة.

قاموس النهضة فى اللغتين الإنجليزية والعربية

إسماعيل مظهر - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.

مختار الصحاح

الشيخ محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى

دائرة المعاجم - مكتبة لبنان - بيروت.

المعجم العربى

مجمع اللغة العربية - القاهرة.

المعجم الكبير

مجمع اللغة العربية - القاهرة.

معجم البيولوجيا، فى علوم الأحياء والزراعة

مجمع اللغة العربية - القاهرة

معجم الجيولوجيا

مجمع اللغة العربية ــ القاهرة

معجم المصطلحات الطبية

مجمع اللغة العربية – القاهرة

معجم المصطلحات العلمية

محمود عبد الرحمن البرعى – عبد العزيز محمود – هانى البرعى – حسن ريحان – مكتبة الأنجلو – القاهرة.

قاموس المصطلحات العلمية

دار أطلس للطباعة – القاهرة.

قاموس شهاب العلمى

الأستاذ الدكتور / سعد شهاب – دار الكتاب الجامعى – القاهرة.

قاموس المصطلحات العلمية

مطبعة أطلس ــ ١٩٧٣

المعجم العلمى المصور

الدكتور / أحمد رياض ترك ــ ١٩٦٣

قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالاتفاق مع دائرة المعارف البريطانية

قاموس علم الأحياء المصور: إنجليزى – عربى – إنجليزى

إعداد / أحمد شفيق الخطيب – عام ١٩٨٩ – مكتبة لبنان – بيروت.

معجم مصطلحات علم الأحياء

نبات – حيوان – تصنيف – وراثة

كمال الدين الحناوى - عام ١٩٩٠ - المكتبة الأكاديمية - القاهرة.

دليل مصطلحات العلوم البيولوجية

اتحاد البيولوجيين العرب - القاهرة - كلية العلوم - جامعة القاهرة.

دليل مصطلحات علم الحيوان

د. عطا الله خلف الدوينى - د. حلمى ميخائيل بشاى

عام ٢٠٠١ - دارا لمعارف - القاهرة.

معجم الحيوان

الفريق / أمين المعلوف - عام ١٩٠٨ - دار الرائد العربى - بيروت- لبنان.

المعجم المصور لأسماء النباتات: "Polyglottic"

أرمنياك ك. بديفيان (١٩٣٥) - مكتبة مدبولى (١٩٩٤) - القاهرة.

تصنيف النباتات الزهرية

دكتور محمد أحمد حمودة - دار الخليل للطباعة - القاهرة.

معجم إنجليزى - عربى فى العلوم الطبية والطبيعية

دكتور محمد شرف - عام ١٩٢٨ - وزارة المعارف العمومية- القاهرة.

معجم المصطلحات الطبية والعلمية الحديث

دكتور ميلاد بشاى - مطابع السجل العربى - القاهرة.

القاموس الطبى الوجيز: إنجليزى - عربى

دكتور محمد فوزى جاب الله - دار الكتاب الجامعى - القاهرة.

معجم ألفاظ علم بنيان جسم الإنسان والتشريح

باللغتين الإنجليزية والعربية: الدكتور شفيق عبد الملك - القاهرة.

موسوعة علم الإنسان

المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية

تأليف: شارلوت سيمور - سمث

ترجمة تحت إشراف: محمد الجوهرى - عام ١٩٩٨، المشروع القومى.

للترجمة - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة.

أصل الأنواع: تشارلس داروين

ترجمة مجدى محمود المليجى

عام ٢٠٠٣ - المشروع القومى للترجمة - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة.

نشأة الإنسان والانتقاء الجنسى: تشارلس داروين

ترجمة مجدى محمود المليجى (ثلاثة مجلدات)

عام ٢٠٠٥ - المشروع القومى للترجمة - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة.

طرق وأسس علم تصنيف الحيوان

أرنست ماير - إ. جورتون لينسلى - روبرت ل. يوسنجر

ترجمة: د. يحيى محمود عزت - د. على على المرسى

مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة.

قاموس علم النفس: إنجليزى - عربى

الدكتور حامد عبد السلام زهران - عالم الكتب - القاهرة.

معجم علم النفس والتربية

مجمع اللغة العربية - عام ١٩٨٤ - القاهرة.

The New Century Dictionary of the English Language

Edited by H. G. Emery & K. G. Brewster, (Two Volumes),

D. Appleton – Century Company, New York – London.

New Webster's Dictionary of the English Language

Consolidated Book Publishers, Chicago, New York.

A Dictionary of Modern English Usage

By H. W. Fowler – Oxford University Press.

Everyman's English Pronounciny Dictionary

Daniel Jones – Everyman's Reference Library

Thesaurus of English Words and Phrases

By Peter Mark Roget, 1873, Longman, Green, and Co., London.

Cassel's New French Dictionary

Cassel & Company LTD, London.

Cassel's Spanish – English, English – Spanish Dictionary

Cassel & Company LTD, London.

Harrap's Shorter French and English Dictionary

Edited by J. E. Mansion, George G. Harrap & Co. LTD,

London – Toronto – Wellington – Sydney.

Illustrated Polyglottic Dictionary of Plant Names

By Armenag K. Bedevian. 1935

Madbouli Book-shop (Cairo).

Black's Medical Dictionary

By John D. Comrie

Adam & Charles Black, London.

Larousse, Dictionnaire encyclopedique

Librairie Larousse – Paris.

Chamber's Biographical Dictionary

Edited by David Patrick & Francis Hindes Groome, 1908

W. & R. Chambers, LTD., London & Edinburgh.

Larousse Encyclopedia of animal life

Forwarded by Robert Cushman, 2nd ed., 1968, American

Musium of Natural History.

Paul Hamlyn, (London, New York, Sydney, Toronto).

The Popular Natural History

By Rev. J. G. Wood, 1904

George Routledge & Sons, London.

Kingdom of the Beasts

By Julian Huxley, 1956, Thames and Hudson (London).

Purnell's Prehistoric Atlas

P. Arduint and G. Teruzzi, 1982, Purnell Books, Paulton, Bristol

The Encyclopaedia Britannica

"A Dictionary of Arts, Sciences & General Literature", Ninth ed., MDCCCLXXV, 1895, Adam and Charles Black: Edinburgh.

Nelson's Encyclopaedia

Thomas Nelson & Sons, London, Edinburgh, Dublin, Lssds, Leipzig & New York.

Pear's Shiling Cyclopaedia

1898 – A. & F. Pears, LTD – London.

Newne's Pictorial Knowledge

Editor: R. H. Poole, George Newnes LTD - London.

The University Atlas

By Harold Fullard & H. C. Darby,

George Philip Printers, LTD, London.

المؤلف فى سطور:

السير فرانسيس داروين (١٨٤٨- ١٩٢٥)

* ولد "فرانسيس داروين" فى ١٦ أغسطس عام ١٨٤٨ بمنزل والده الكائن ببلدة "داون" – بمقاطعة "كنت" بإنجلترا وكان الابن الذكر الثالث والطفل السابع لداروين و زوجته "إما".

* بدأ "فرانسيس" دراسة الرياضيات فى "كلية الثالوث" Trinity بجامعة "كيمبريدج" ثم غير مسار دراسته إلى العلوم الطبيعية و حصل على شهادته فى عام ١٨٧٠، وانطلق بعد ذلك لدراسة الطب فى كلية "سانت چورج" بلندن، وحصل على بكالوريوس الطب و الجراحة عام ١٨٧٥، لكنه لم يمارس مهنة الطب .

* اشترك "فرانسيس" مع والده فى التجارب المتعلقة بحركة النباتات، وخاصة فى مجال "الانحناء الضوئى" Phototropism واشترك معه فى تدوين كتاب " القدرة على الحركة الموجودة فى النباتات" the Power of Movement in Plants ، الذى نشر عام ١٨٨٠ .

* انتخب "فرانسيس" زميلا للجمعية الملكية فى ٨ يونيو ١٨٨٢ ، وهو نفس العام الذى توفى فيه والده، ثم انكب على تدوين كتابه الحالى عن "حياة وخطابات تشارلس داروين "، الذى نشر فى عام ١٨٨٧ .

* تم الإنعام عليه بلقب فارس (سير) فى عام ١٩١٣م .

* توفى عام ١٩ سبتمبر عام ١٩٢٥ عن عمر ٧٧ عامًا.

المترجم فى سطور:

الأستاذ الدكتور/ مجدى محمود المليجى

- أستاذ متفرغ بكلية الطب- جامعة عين شمس.
- تخرج فى كلية الطب- جامعة عين شمس فى ١٩٦٢، وتم تعيينه معيدًا بها فى ١٩٦٣، وتدرج في الوظائف بها إلى أن حصل على لقب أستاذ الطب الشرعي والسموم في عام ١٩٨٤.
- عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة في الطب الشرعى والسموم بالجامعات المصرية.
- شهاداته وإنجازاته العلمية تبدأ من دبلوم طب صناعات (طب عين شمس)، دبلوم العلوم الطبية الفنية، في الطب الشرعي والكيمياء الطبية الشرعية (طب عين شمس)، دبلوم الأمراض الجلدية والتناسلية (طب القاهرة)، دكتوراه الفلسفة في العلوم الطبية (طب عين شمس)، عضوية كلية الأطباء الملكية (إدنبره).
- قام بالعمل والتدريس لمدة خمسة أعوام، في مجال الأمراض الجلدية, في كل من مستشفيات جامعات ليدز ومانشستر، من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٢، وما زال يمارس هذا التخصص في عيادته الخاصة بالقاهرة، منذ عودته من بعثته.
- شغل منصب الطبيب الشرعى لدولة الإمارات العربية المتحدة، لمدة ثلاث سنوات من ١٩٩٣ إلى ١٩٩٦، مع التدريس للهيئات القضائية والشرطية الموجودة هناك.

- قام بالتدريس لمادة الطب الشرعى, فى أكاديمية الشرطة المصرية.
- قام بالتدريس لمادة الطب الشرعي, في معهد طب الطيران والفضاء بالقاهرة.

** الكتب التي قام المترجم بترجمتها إلى اللغة العربية:

* أصل الأنواع (نشأة الأنواع الحية)- "تشارلس داروين"- ٨٨٤ صفحة المجلس الأعلى للثقافة (جمهورية مصر العربية)- عام ٢٠٠٣.
* أصل الإنسان والانتقاء الجنسي (٣ مجلدات)- "تشارلس داروين"- ١٧٤١ صفحة - المجلس الأعلى للثقافة (جمهورية مصر العربية)- عام ٢٠٠٥.
* التعبير عن الانفعالات فى الإنسان والحيوان- "تشارلس داروين"- ٧٢٦ صفحة المجلس الأعلى للثقافة (جمهورية مصر العربية)- عام ٢٠٠٥.
* قصة حياة تشارلس داروين- "فرانسيس داروين"- ٣٥٠ صفحة - تمت ترجمته في عام ٢٠٠٦- لم ينشر بعد.
* رحلة السفينة البيجل (٣ مجلدات)- "تشارلس داروين- ١٢٠٨ صفحة - تمت ترجمته في عام ٢٠٠٦- لم ينشر بعد.
* داروين والتطور للصغار- "كريستان لوسون"- ١٤٦ صفحة - تمت ترجمته في عام ٢٠٠٧- لم ينشر بعد.
* دليل المراهقين إلى الجلد اليافع- "راي سيموندس"- ١٢٨ صفحة - دار إلياس العصرية للطباعة والنشر- عام ٢٠٠٧.
* دليل المراهقين إلى النمو والتطور- "جين فورد"- ١٢٨ صفحة - دار إلياس العصرية للطباعة والنشر- عام ٢٠٠٧.

* من الميكروسكوب إلى أبحاث الخلايا الجذعية- "سالي مورجان"- ٦٥ صفحة - دار إلياس العصرية للطباعة والنشر- عام ٢٠٠٧.

* سلسلة الدورات الخاصة بالكرة الأرضية- ٦ مجلدات (حياة النبات- حياة الحيوان- الماء- الصخر- الفصول- الطعام)- ٢٠٠ صفحة - مكتبة ماك ميللان مصر- عام ٢٠٠٧.

* سلسلة الكائنات الآلية والآليات- ٦ مجلدات (كيف تعمل- في العمل واللهو- الصورة والخيال- المعرضة للخطر- الخاصة بالفضاء- الطبية والعلمية)- ٢٠٠ صفحة - مكتبة ماك ميللان مصر- عام ٢٠٠٧.

* سلسلة علماء يعملون- ٦ مجلدات (علماء: العلوم الطبية الشرعية- الأحيائيات البحرية- الطبقات الأرضية- الآثار- الفلكيون- الأرصاد الجوية)- ٢٠٠ صفحة - مكتبة ماك ميللان مصر- عام ٢٠٠٧.

* سلسلة الوظائف الخطيرة- ٣ مجلدات (عمال الارتفاعات الشاهقة- الغواصون- رواد الفضاء)- ١٠٠ صفحة - ماك ميللان مصر- عام ٢٠٠٧.

* سلسة الألعاب الرياضية- ٢ مجلد (كرة القدم- كرة السلة)- ٦٦ صفحة - ماك ميللان مصر- عام ٢٠٠٧.

* * *

التصحيح اللغوى: موسى عجلان
الإشـــراف الفنى: حســـن كـــامل